الدكتور أسعد السحمراني

مِنَ اليهوديّة إلى الصهيونيّة

الفِكر الدّيني اليهودي في خِدمَةِ المَشروع السّياسي الصهيوني



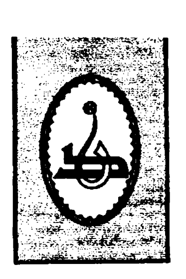
دار النفائس



أهمية الكتـاب، وفي هذا الـوقت بالـذات، أنه يفضح عقائد يهود، ويكشف زيف ادعاءاتهم التاريخية، ويوضح أساليبهم الشيطانيـة في توظيف الدين في خدمـة مشاريعهم السيـاسيــة، ولـو أدى ذلك إلى تحريف الـــدين والعقيـدة والتاريخ.

وقــد استطـاع المؤلف، وهـــو بحَّـاثــة متخصص في الدراسـات الإسلامية والفكريـة، أن يعطي في عشرة فصول فكرة واضحة عن اصطلاحات يهود، وفرقهم، وعقائدهم، ونظرتهم إلى المرأة، وأعيادهم، وأخلاقهم، وكتبهم الدينية، ومشاريعهم السياسية الصهيونية.

الناشر



مِنَ اليَهوديّة إلى الصُهيونيّة

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا اليَهُودَ﴾(1).

(1) سورة المائدة: آية ٨٢.

مِنَ اليَهودِيَّة إلى الصُّهْيُونِيَّة

الفِكر الدِّيني اليَهُودي
في خِدمَةِ المَشْرُوع السِّيَاسيّ الصُّهيُوني

الدكتور أسعد السحمراني

أستاذ فلسفة في جامعة بيروت العربية

وكلية الإمام الأوزاعي للدراسات الإسلامية

دار النفائس



للطباعة والنشر والتوزيع
شارع فردان ـ بناية صفي الدين
ص.ب ١١/٦٣٤٧ أو ١٤/٥١٥٢
برقياً: دانفايسكو ـ ت ٨١٠١٩٤
أو ٨٦١٣٦٧ بيروت ـ لبنان

الطبعة الأولى: ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م

الإهـداء

إلى أرواح الشهداء الأبرار

الذين قضوا في مواجهة العدو

وإلى كل مجاهد حمل راية المقاومة

من أجل استرداد أرضنا ومقدساتنا وكرامتنا

أهدي عملي هذا

كلمة الناشر

ألحان السلام تطرق الآذان صباح مساء. وكثيرٌ منا يحلم بأيام حلوة آتية معه، بعدما استطاعت «الصهيوصليبية» أن تقنط الكثيرين منا من النصر، نتيجة هزائم اصطنعتها، مُنِيَ بها العرب ولم يخوضوا حروبها، فسادت بين بعضهم فكرة «اختيار أهون الشرين».

والاستعمار الذي خرج من الباب، بعدما أذلّنا دهراً، وعاد إلينا من «الشبابيك» ليمتص دماءنا بطرق أكثر حنكة وذكاء. هذا الاستعمار تغيرت أخلاقه، وتاب إلى الله العفوِّ القدير عن جرائمه التي ارتكبها بحقنا. وهو يسعى ليكفِّر عنها بمساعدتنا في الدخول في العصر الأميركي، عصرِ الحرية والعدالة وحقوق الإنسان (!)..

وهو لم يغرس إسرائيل في خاصرتنا، ولم يستخدمها ليفصل بين العالم العربي الإسلامي الآسيوي والعالم العربي الإسلامي الإفريقي.

والصهيونية التي سلبت أرضنا، وقتلت رجالنا، واغتصبت نساءنا، خرج منها الشيطان، وسكنها الرحمن، فهي تسعى للتكفير عن خطاياها قبل عام الألفين (فمن يعلم ما سيحدث عام الألفين)، فتمنحنا السلام وتعلمنا التكنولوجيا، وتقدم لنا الحور العين...

وهكذا سيختلط الزيت بالماء، ولن يكونا بعد اليوم عنصرين

مختلفين. إنها إرادة أميركا، سيِّدة العالم، وصانعة التكنولوجيا. . وعلينا نسيان المآسي التي سببتها لنا منذ وجودها إلى الآن، أو تناسيها. ومن لا ينسى، أو يتناسى، تمحى ذاكرته بالتكنولوجيا الغربية، أو يمحى من الوجود، باسم الحرية والديمقراطية. . . وحقوق الإنسان أيضاً.

وعلينا أن نقبل بتفوق شرذمة احتلت فلسطين في غفلة من الزمن، على جميع العرب والمسلمين، مع ملاحظة أن يكون التفوق عامّاً شاملاً، لا عسكرياً فقط.

كما علينا أن نقبل بتدمير أسلحتنا الصاروخية وغير الصاروخية، ونقبل بالسلاح النووي الإسرائيلي. . بل علينا أن نكفَّ عن تلاوة آيات القرآن الكريم التي تتحدث عن يهود.

فنحن إما إرهابيون، أو أصوليون، أو متخلفون. . إلى غير ذلك من الصفات، أو المصطلحات، التي تطلقها أبواق «الصهيوصليبية» ويعرف كذبها صانعوها وكثير من مروجيها. بينما «الصهيوصليبيون» إنسانيون، حضاريون، دعاة حقوق الإنسان. . مع أن جميع ديكتاتوريي العالم من صنعهم، أو صنائع لهم، أو على الأقل ينفذون مخططاتهم، فينطبق عليهم مبدأ «إن الخطأ قد يكون أكبر من الخيانة».

وربما كان النصر بعيداً، بل ربما لا ينصرنا الله ونحن على هذه الحال، لأن في نصرنا مخالفة لسننه في خلقه. . ولسنا بحاجة لشرح طويل في هذا المجال، فالمفروض أننا ندرك حقيقة واقعنا، ولكن السلام الآتي، أو المفروض، لن يلغي الصراع الذي سيأخذ أشكالاً مختلفة. . .

فقد كان الصراع العسكري يطغى على الجوانب الأخرى. وحالت

المقاطعة الاقتصادية دون سيطرة البيوتات المالية الإسرائيلية على اقتصادنا. وأدت حالة الحرب إلى التقليل من التأثير الثقافي اليهودي علينا. . والأهم من ذلك أن القضية بقيت حيَّة في النفوس، تتوارثها الأجيال. فإذا بأطفال الحجارة عمالقة يلقِّنون أجدادهم دروساً في الجهاد والنضال، وينتزعون إكبار العالم وإجلاله، ويكسبون تأييده وعطفه.

من هنا تبرز أهمية هذا الكتاب، وفي هذا الوقت بالذات، فهو يفضح عقائد يهود، ويكشف زيف ادعاءاتهم التاريخية، ويوضح أساليبهم في توظيف الدين في خدمة مشاريعهم السياسية، ولو أدى ذلك إلى تحريف الدين والعقيدة والتاريخ . . .

وقد وُفِّق المؤلف، وهو أستاذ جامعي وبحاثة متخصص في الدراسات الإسلامية والفكرية، في تقديم المادة بأسلوب شائق، واستطاع أن يلم بجوانب العقيدة اليهودية، وتاريخ الحركة الصهيونية، وألقى أضواء كاشفة على مشاريعها التوسعية، وأخطارها المستقبلية، مما يجعله أهلاً للشكر والتقدير، ويجعل بحثه ضرورياً لكل مسؤول، ولكل مثقف.

أحمد راتب عرموش

مقدمة

يعيش جيلنا واحداً من أخطر الصراعات الَّتي تخوضها أمتنا في تاريخها القديم والحديث، هو الصراع ضد العدو الصهيوني صاحب المشروع الاستعماري المدعوم من قوى دولية تقف على رأسها اليوم الولايات المتحدة الأمريكية والغرب عامة.

إن الحركة الصهيونية المعاصرة تضم يهود العالم مع صهاينة غير يهود، هم جماعة ما يسمى بالأصولية المسيحية الَّتي تؤمن بالعهد القديم وما ورد فيه من مزاعم، ونبوءات كاذبة تقرر، زوراً، حقاً ليهود بدولة في أرض فلسطين.

إن هذا الاتجاه الديني الصهيوني التقى مع الأطماع الاستعمارية الَّتي تريد الانقضاض على أمتنا العربية، وبعدها على العالم الإسلامي، والعالم الثالث عموماً، لأن أمتنا إن توحدت، بما تملك من إمكانات، تستطيع تعديل خريطة الوضع السياسي العالمي.

إن أمتنا تملك الموقع الاستراتيجي الهام وفي قلبه قناة السويس، وتملك الثروة الروحية؛ فهي مهد النبوات وموطن المقدسات، منها انطلقت الدعوة المسيحية، ومنها انتشرت دعوة الإسلام؛ فالقرآن الكريم بلغتها وكذلك السنّة النبوية، وكتب الفقه وسائر العلوم الدينية، يضاف

إلى ذلك ما فيها من ثراء اقتصادي متنوع يتربع على قمته النفط حالياً، لكل هذا يريد الأعداء بأداة هي دولة إسرائيل، ومعها الصهيونية، تقويض هذه الأمة.

بعد اطلاعي على مؤلفات عديدة عن اليهودية والصهيونية وجدت أن أغلبها قد ناقش الموضوع من جانب واحد، إما ديني بحت أو سياسي ـ تاريخي صرف، ولمًّا وجدت الحاجة ملحة لمعالجة الموضوع دفعة واحدة، من جانبيه الديني والسياسي، ولكي نتبيَّن الارتباط بين الوجهين، لا بل لكي نرى أن الفكرة السياسية ترتكز غالباً عندهم إلى تبرير ديني مزعوم، لذلك سعيت لإخراج هذا العمل ليضاف إلى ما كتب وهو كثير وغني.

وما يلفت نظر الدارس المدقِّق أن ما بين أيدي يهود من أدبيات بما في ذلك العهد القديم بعيد كل البعد عن رسالة موسى عليه السلام. إن نصوص العهد القديم الَّتي نقلت بأشكال متفرقة، والتي تمّ تدوينها على مراحل متباعدة، أصابها من التحريف الشيء الكثير، حيث أُدخلت عليها مفاهيم قبلية، أو أفكار من هنا وهناك والغاية كانت أن تتحول هذه النصوص إلى ما يرضي الهوى اليهودي، لذلك يكون التعامل مع أدبيات يهود، ومع «العهد القديم»، تعاملاً مع نصوص عبثت بها الأيدي والأهواء، ولذلك يكون من الواجب أن نتعامل معها بحذر وبقراءة نقدية فاحصة، وسأترك لصفحات الكتاب مسألة تبيين ما ذهبت إليه.

لا أدَّعي الكمال لعملي، ولا أنني سبقت فيه سواي إلى مبتكرات، وإنما هو جهد بذلته لأساهم في تعريف القارىء العربي بعدوه، عدو الوجود، لا بل يمكن القول إن الصهاينة أعداء للتقدم

والحضارة والإنسانية، وقد اعتمدت الأسلوب التحليلي الَّذي يستقرىء النصوص ليستخرج من خلالها الصورة الحقيقية لهؤلاء القوم الذين يشكلون حالة عنصرية من واجب كل مؤمن مواجهتها.

سأترك صفحات الكتاب تتحدث عن تهافت مزاعم الصهيونية المعاصرة وتفضح حقيقتهم، وما قمت به هو مساهمة جهادية بالكلمة.

وأسأل الله تعالى أن يتقبل عملي هذا، وأن يكتب لي فيه أجر المجاهد باللسان والكلمة، وأرجو أن تكون فيه فائدة للقراء العرب، وأن يكون من ضمن حوافزهم للإعداد من أجل أن يعملوا لساعة مواجهة لا بد آتية تهزم فيها المشروع الصهيوني ـ الاستعماري وتعلو راياتنا خفّاقة عزيزة بنصر هو من عند الله تعالى الَّذي يقول:

﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾.

[سورة الحج: آية ٣٩].

٢٦ / ١١ / ١٩٩٢

أسعد السحمراني

الفصل الأول

قراءة في الاصطلاحات

تحتاج الكتابة عن يهود اليوم إلى قراءة متأنية لمعرفة الأسباب الَّتي دفعتهم إلى تنويع مصطلح الاسم الَّذي يطلقونه على أنفسهم، وما ذلك إلا لأن الاسم يشكل، بالنسبة لهم، مدخلاً للعقيدة الدينية من جهة، وللمشروع السياسي من جهة أخرى.

وتشكل التسمية، في هذه الحالة، عنوانًا هاماً لصفحات من المبررات الَّتي يعملون على حشدها من أجل أن يصبح الفكر الديني عندهم في خدمة الفكرة السياسية الَّتي تتلخص في هدف لم يعد خافياً على أحد، وإنما يطرحونه جهاراً نهاراً وأمام بصر العالم وسمعه، هذا المشروع هو إقامة دولة صهيونية في فلسطين وما حولها تحقيقاً لوهم يهودي، ولهدف استعماري أوروبي أمريكي.

وإذا كان اللبس في استخدام الاصطلاحات أمراً متعمداً من قبل قادة المشروع العنصري من يهود، فإن الأمر لم يتوقف عند هذا الحد وإنّما تحوَّلت الأكذوبة إلى ميدان تضليل في أوروبا وأمريكا، وبذلك التقى الدافع الاستعماري عندهم مع زعم ديني، واشتد الحماس في بلدانهم للمشروع الصهيوني، وباتوا يعملون على خدمته بكل ما يستطيعون.

إن الاصطلاحات المستخدمة عندهم هي: عبريون ـ إسرائيليون ـ يهود ـ صهاينة. وفي متابعة متأنية سنحاول تبيان مدلولات هذه الاصطلاحات لنرى الشبهة اللاحقة في الاستخدام لها عندهم في أدبياتهم، وكأنها ذات مدلول واحد.

١ ـ عبريون:

عند الشعوب القديمة الَّتي سكنت أرض الأمة العربية، وعلى اختلاف لهجاتها ولغاتها، وعلى تعدد معتقداتها وثقافاتها، كان استخدام كلمة «عبري» متداولاً، وكان وصف «عبري» يُطلق على من يعتمد الترحل في نمط معاشه. والكلمات المتداولة في هذا المعنى هي: العبري ـ الابري ـ العبيرو ـ الهبيري ـ الخبيرو...

الإشكالية، في هذا الاصطلاح، أتت من تأثير الكتابات والأدبيات اليهودية الَّتي كانت تستخدم كلمتي عبرية ويهودية وكأنهما تدلان على المعنى نفسه، والواقع يخالف ذلك تمام المخالفة، فالعبرية، كما سبق القول، استخدمت قبل موسى عليه السلام، بآلاف السنين، واستخدامها كان سابقاً على وجود اليهودية، ومما جاء عن هذا المعنى في «معجم اللاهوت الكتابي»: «إن المعنى الأصلي لتسمية العبرانيين ليس بواضح. ففي كتاب التكوين، يدل الاسم دائماً على أناس استوطنوا كغرباء في بلد ليس بلدهم الأصلي»[1].

من النصوص الَّتي تفيد ذلك ما جاء عن وصف إبرام (إبراهيم)

---

(١) معجم اللاهوت الكتابي، بيروت، دار المشرق، ط ٢، سنة ١٩٨٦م، ص ٥٢٧.

بالعبراني: «فجاء من أفلت وأخبر أبرام العبراني وهو مقيم عند بلوطات مَمْرَا الأموري أخي أشكول وعانر وهم حلفاء أبرام»[1]. فإبرام الَّذي كان يعمل لنجدة ابن أخيه، لم يكن في موطنه الأصلي فلُقِّب بالعبراني.

ويبدو أن اسم، أو لقب عابر، قد أطلق على شخص ما قبل إبرام (إبراهيم)، وتسمية شخص بعابر، الَّتي عُرفت، تؤكد على أهمية هذا اللقب عند شعوب المنطقة لآلاف السنين قبل اليهودية، وإلاَّ لما تحوَّل إلى اسم علم يُسمّى به بعض الأشخاص. جاء في سفر التكوين: «وعاش شالح ثلاثين سنة وولد عابر»[2]. وجاء كذلك: «وولد لعابر ابنان اسم أحدهما فالج لأنه في أيامه انقسمت الأرض واسم أخيه يقظان»[3].

وإذا كانت تسمية عبري، أو عبراني، قد عرفت قبل موسى عليه السَّلام بقرون عديدة، لماذا اللبس إذن؟ الإجابة عن ذلك تبين لنا أن الأدبيات اليهودية هي الَّتي أحدثت هذا اللبس ليخدموا، عبره، فكرتهم في أرض الميعاد وبأنهم أصحاب حق تاريخي بفلسطين وما حولها.

لقد «اعتاد الناس منذ زمن طويل، بتأثير الكتابات التوراتية، أن يفهموا أن العبرية واليهودية كلمتان بمعنى واحد، وهذا خلاف الواقع، فالعبرية، في نحو القرن العشرين قبل الميلاد، كانت كلمة عامة تطلق على طائفة كبيرة من القبائل الرحَّل في صحراء الشام... ولم يكن لليهود وجود في ذلك الحين. ولما وُجد اليهود وانتسبوا إلى إسرائيل كانوا هم أنفسهم يقولون عن العبرية إنها لغة كنعان.

---

(١) سفر التكوين، الإصحاح ١٤، آية ١٣.
(٢) سفر التكوين، الإصحاح ١١، آية ١٥.
(٣) سفر التكوين، الإصحاح ١٠، آية ٢٥.

ومجمل القول إن الحاخاميين الـ «يهـود» وجدوا أن أحسن طـريقة يمكن اتبـاعها لـربط تاريخهم بـأقدم العصـور، ولجعل عصـر الـ «يهود» متصلاً بأقدم الأزمنة هو استعمال مصطلح عبري، أو عبيرو، للدلالة على يهـود بوجـه عام، وبـذلك يصبـح تاريـخ فلسطين تـاريخاً واحـداً متصلاً ومرتبطاً، منذ أقدم العصور، بالشعب الـ «يهودي»[1].

إن متابعة مصـطلح عبري في الكتـاب المقدس (العهـد القديم)، تبيّن لنـا ما ذهبنـا إليه. فقـد أطلقت تسمية عبـري على يعقوب ويـوسف عليهما السَّلام. فلقد جاء عن حـادثة امـرأة العزيـز، الَّتي راودت يوسف عن نفسه، أنها، ستراً لفعلها، حاولت اتهامه بالأمـر وتحويله عن نفسهـا فجاء على لسانها: «فلما رأت أنـه قد تـرك رداءه بيديهـا وهرب خـارجاً، صاحت بأهل بيتها وقالت لهم انظروا كيف جاءنا برجل عبـراني ليتلاعب بنـا. أتاني ليضـاجعني فصرخت بصـوت عـالٍ»[2]. وفي السجن يقـول يوسف عليه السَّـلام، لمن معه، بـأنه ليس من أرض مصـر وإنما هـو من أرض العبـرانيين: «لأني قـد خـطفت من أرض العبـرانيين وههنـا أيضـاً طرحوني في هذا الجب من غير أن أفعل شيئاً»[3].

وإذا كان يوسف، بالأصل، من أرض العبرانيين، فهل العبـرانيون هم بنو إسرائيل وإسرائيل، كما يأتي لاحقاً، هـو يعقوب والـده؟ نصوص الكتـاب المقدس نفسهـا، وفي خطاب مـوجه إلى الإسـرائيلي من أتباع يعقـوب أو من ذريته، تقـول له عن العبـراني بأنـه أخوه: «إذا بـاع منـك

---

(١) الموسوعة الفلسطينية، م ١، دمشق، ط ١، سنة ١٩٨٤م، ص ١٨٦، ١٨٧.
(٢) سفر التكوين، الإصحاح ٣٩، آية ١٣، ١٤.
(٣) سفر التكوين، الإصحاح ٤٠، آية ١٥.

أخوك العبراني أو أختك العبرانية نفسه فليخدمك ست سنين، وفي السنة السابعة أطلقه من عندك حراً»[1]، وفي المعنى نفسه عن واجب الإسرائيلي الّذي استرق عبرانياً بماله، وبعد أن يخدمه العبراني ست سنوات، فعلى الإسرائيلي أن يطلقه حراً في السنة السابعة. «عند تمام سبع سنين أطلقوا كل واحد أخاه العبراني الّذي باع نفسه لك وخدمك ست سنين فتطلقه من عندك حرّاً فلم يسمع لي آباؤكم ولم يميلوا مسامعهم»[2].

نخلص إلى القول: إن يهود، وبشكل متعمد، حاولوا أن يصوروا على أن العبرية لقب خاص بهم، سواء فُهم ذلك على أنه انتماء ديني أو انتماء قومي، المهم عندهم أن يجدوا مبرراً تاريخياً، ولو مزوراً، لحق مزعوم، ونختم بما جاء في معجم اللاهوت الكتابي: «فهكذا، حتى السبي، لا يظهر اللفظ قط، لا كتسمية لشعب، ولا كلقب له قيمة دينية»[3].

٢ ــ إسرائيليون:

«إسرائيل» كلمة غير عربية، وقد تكون لغة الكنعانيين القدماء، وهي كلمة لا تقبل الصرف، وتتكون من مقطعين: إسرا، إيل. وقد قال ابن عباس رضي الله عنهما، كما ورد في تفسير القرطبي: إسرا بالعبرية هو عبد، وإيل هو الله. وقيل: إسرا هو صفوة، وإيل هو الله. وبذلك

---

(١) سفر تثنية الاشتراع، الإصحاح ١٥، آية ١٢.
(٢) نبوءة إرميا، الإصحاح ٣٤، آية ١٤.
(٣) معجم اللاهوت الكتابي، م.س، ص ٥٢٧.

يكون معنى الكلمة عبد الله لكن الأرجح أنها عبد الإآله، وليس عبد الله، لأن كلمة «إيل» معناها «إآله» وليس الله.

إسرائيل «عبد الإآله»، وهو اسم أطلق على يعقوب عليه السَّلام، وبعده عُرف المنحدرون منه بالنسب بالإسرائيليين. وبذلك فإسرائيل رابطة قرابة ونسب لا رابطة دين، ولا رابطة مفتوحة للمنتسبين ممن يريدون.

لكن يهود ومن باب توليد اللبس، ومن قبيل التضليل أعطوا للكلمة مدلولات أخرى، ويكفي أن نقرأ النص التوراتي الوارد عندهم وبذلك يتضح مفهومهم لأصل تسمية يعقوب بإسرائيل، وما تحمله التسمية من تضخيم للأمر يترافق معه تقليل من شأن الإآله.

جاء في سفر التكوين: «وبقي يعقوب وحده فصارعه رجل إلى مطلع الفجر، ورأى أنه لا يقدر عليه فلمس حُقَّ وركه فانخلع حُقُّ ورك يعقوب في مصارعته له. وقال أطلقني لأنه قد طلع الفجر. فقال لا أطلقك أو تباركني. فقال له: ما اسمك؟ قال: يعقوب. قال: لا يكون اسمك يعقوب فيما بعد بل إسرائيل لأنك إذ رَؤُست عند الله فعلى الناس أيضاً تستظهر»[1]. وفي ترجمة أخرى للنص: لأنك جاهدت مع الله والناس وقدرت.

ورد في معجم اللاهوت الكتابي عن كلمة «إسرائيل»؛ إسرائيل: رؤوس عند الله (صارع الله)[2]

---

(١) سفر التكوين، الإصحاح ٣٢، الآيات ٢٤، ٢٥، ٢٦، ٢٧، ٢٨.

(٢) معجم اللاهوت الكتابي، م.س، ص ٦٨.

إن هذا النص كافٍ وحده كشاهد على التشويه للنصوص الدينية الَّذي مارسه يهود، وهو يشهد أيضاً على فساد العقيدة عندهم. ففيه تجسيد للإلّه وأنه يظهر على هيئة رجل يصارع يعقوب ليلاً بأكمله، وفيه، فوق التجسيد، تحديد لقدرة الإلّه الَّذي لم يتمكن من أن يفك نفسه من مصارعة مع يعقوب، وفي هذا النص تحميل لكلمة إسرائيل غير ما تحتمل، وإذا بهم ينقلونها من «عبد الإلّه»، وهذا معنى لا خلاف فيه، إلى معنى قوة تصارع الإلّه وتظهر وتبرز قدرتها حتى في مواجهته، وبالتالي يكون، مما لا يقبل الجدل، ظهور مثل هذه القوة على البشر، وما داموا هم «إسرائيليون» فإنهم وارثون لهذه القدرة الَّتي سيظهرون بها على البشر، وهنا ينجلي اللبس عن نفسية عندهم تقوم على الاستعلاء والقوة، وأنّها بهما تظهر ما دام إسرائيل الأول قد جاهد الله والبشر وقدر كما زعموا.

وللمصطلح مدلول سياسي، بعد مدلوله الديني، حيث أطلقوه على مملكة الأسباط الَّتي أقيمت في الشمال، بمقابل مملكة يهوذا وبنيامين في الجنوب.

الأسباط ــ كما نعلم ــ هم اثنا عشر سبطاً ورقمهم ثابت لا يقبل التبديل وهم: يهوذا ــ بنيامين (وهما بانيا مملكة الجنوب) ورأوبين ــ شمعون ــ زبولون ــ يسّاكر ــ نفتالي ــ لاوي ــ أشير ــ يوسف ــ جاد ــ دان.

«وقد أطلق اسم إسرائيل في التوراة على المملكة الَّتي قامت في فلسطين وحكمها شاؤل وداود وسليمان، من حوالي سنة ١٠٢٠ ق.م حتى ٩٢٢ ق.م. ثم خُصَّ هذا الاسم، بعد انقسام المملكة، بالجزء

الشمـالي، وكانت عـاصمته السـامرة وقـد قضى الأشـوريـون على هـذه المملكة في سنة ٧٢٢ ق. م»[١].

إن قضاء الأشوريين على دولة الشمال «إسـرائيل» وسبـي أهلهـا، كمـا جاء ذكـره في أسفـار العهـد القـديم، هـو مـا عـرف بـاسم السبـي الأول[٢].

تنقل المصادر التاريخية أن «ياهو» حاكم «إسرائيـل» دولة الأسبـاط العشرة، كان يؤدي الجزية لشلمنـأصر، ملك أشـور، وكان ذلـك حوالي العـام ٨٤٢ ق. م. وأثناء حكم تغلث فـلاسر (٧٤٦ ق. م ـ ٧٢٨ ق. م) بدأ الأشوريون يسبون سكـان الأرض. وفي أثناء حكم فقـح سُبـي سبط نفتـالي، ثم سبـي بقية السكـان من الـرأوبيين والجـاديين، ونصف سبط منسّى إلى مـا بين النهرين «فحـرك إلّه إسـرائيل روح فـول ملك أشور ثم روح تلجت فلنآسر ملك آشـور فجلا الـرأوبينيين والجاديين ونصف سبط منسّى وأتى بهم إلى حلاح وخابور وهارا ونهر جوزان إلى هذا اليوم»[٣]. وبعد هذا النفي حوصرت عاصمة مملكة الشمال السامرة، وسقـطت بيد سـرجون عـام ٧٢٢ ق. م، وسُبـي بقية السكـان منها إلى مـاداي وما بين النهـرين «وصعـد ملك أشـور على الأرض كلهـا، وصعـد إلى السـامـرة وحـاصرهـا ثلاث سنين. وفي السنـة التاسعـه لهوشـع أخـذ ملك أشـور السامرة وجـلا إسرائيـل إلى أشور وأسكنهم في حـلاح وعلى خابـور نهر

---

(١) الموسوعة الفلسطينية، م ١، م. س، ص ٢٣٨.

(٢) قاموس الكتاب المقدس، تحرير د. بـطرس عبد الملك وآخـرون، بيروت، صدر عن مجمع الكنائس في الشرق الأدنى، ط ٢، سنة ١٩٧١م، ص ٤٥٨.

(٣) سفر أخبار الأيام الأول، الإصحاح ٥، آية ٢٦.

جوزان وفي مدائن ماداي»[1].

فإسرائيل إذن إما أنه الاسم الثاني ليعقوب عليه السلام ومعناه: عبد الإلّه، أو أنه اسم أطلق على مملكة الشمال الّتي أقامها الأسباط العشرة من نسل يعقوب، وكانت عاصمتها السامره. على أي حال «إسرائيل» يتعلق بنسب واسم، ولا علاقة له بمشروع استعماري ـ استيطاني يقوم اليوم، وما الاستخدام اليوم إلا من باب إيجاد المبرر الديني، أو قل: الستار الديني اليهودي.

٣ ـ يهود:

إنه من المرجح، وفق قواعد اللسان العربي، أن كلمة«هاد» معناها: تاب ورجع. فلقد جاء عند الشهرستاني: «هاد الرجل: أي رجع وتاب. وإنما لزمهم هذا الاسم لقول موسى عليه السَّلام: ﴿إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ﴾[2]... وهم أمة موسى عليه السَّلام وكتابهم التوراة، وهو أول كتاب نزل من السماء، أعني أنه ما كان ينزل على إبراهيم وغيره من الأنبياء عليهم السَّلام ما كان يسمى كتاباً، بل صحفاً»[3].

وذهب ابن منظور، في لسان العرب تحت مادة«هود»، إلى المعنى نفسه فقال: الهَوْدُ: التوبة. هاد، يهود هوداً وتهوَّد: تاب ورجع إلى الحق، فهو هائد... والتهوّد: التوبة والعمل الصالح... والهود:

---

(١) سفر الملوك الرابع، الإصحاح ١٧، آية ٥، ٦.

(٢) سورة الأعراف، آية: ١٥٦.

(٣) الشهرستاني، الملل والنحل، ج ١، تحقيق محمد سيد كيلاني، بيروت، دار المعرفة، سنة ١٤٠٢هـ، ١٩٨٢م، ص ٢١٠، ٢١١.

اليهود. . . وسُميت اليهود اشتقاقاً من هادوا والتهويد أن يصير الإنسان يهودياً.

وإذا ما عدنا إلى الكتاب المقدس نجد أنهم «دُعوا يهوداً من يهوذا، أحد أسباطهم، وتغلب هذا الاسم واشتهروا به لأن سبط يهوذا كان مزمعاً أن يكون له السؤدد والمجد في إسرائيل، لأنه عندما دنا يعقوب من الموت خاطب ابنه بهذه الكلمات»[1]: «يهوذا إياك يحمد إخوتك. يدك على قُذُل أعدائك. يسجد لك بنو أبيك. . . لا يزول صولجان من يهوذا ومشترع من صلبه حتى يأتي شيلو وتطيعه الشعوب»[2]. من هذا النص يتضح أن يهوذا هو الموعود بصولجان مملكة يهود.

ويهوذا أطلقت أصلاً على مملكة الجنوب الَّتي كانت عاصمتها «أورشليم»، والَّتي وجد بمقابلها مملكة إسرائيل «افرائيم» وعاصمتها السامرة في الشمال، وفيها الأسباط العشرة، وأما يهوذ فكان فيها يهوذا وبنيامين فقط[3].

بعد وفاة سليمان، نحو سنة ٩٥٠ ق.م، انشق ملك أسباط بني إسرائيل إلى مملكتين، ومملكة الجنوب تعرض لما سُمّي في التاريخ بالسبي الثاني، وهو الأساسي عندهم، أما السبي الأول فيطلق على سبي مملكة الشمال (إسرائيل).

---

(١) عبود، القس بولس، الـ «يهود» في التاريخ إلى عهد المسيح، يافا (فلسطين)، سنة ١٩٢٠م، ص ٥، ٦.
(٢) سفر التكوين، الإصحاح ٤٩، آية ٨ و ١٠.
(٣) قاموس الكتاب المقدس، م.س، ص ٤٥٨.

والسبـي الثاني هذا حصل «على يد نبوخذنصر في أربع مـراحل، فـي عـام ٦٠٥ ق.م. و٥٩٧ ق.م و٥٨٧ ق.م، ثـمّ فـي عـام ٥٨٢ ق.م»، ومـا يفيـد حصـول ذلـك هـذا النص: «وكـان يـويـاقيم ابن خمس وعشرين سنة حين ذلك، وملك إحدى عشـرة سنة بـأورشليم وصنـع الشرّ في عيني الـرب إلّهه. فخـرج عليه نبـوخذنصـر ملك بـابـل وأوثقه بسلسلتين من نحاس ليسوقه إلى بابل»[1].

فاليهودية، إذن، نسبة إلى يهـوذا أحد الأسبـاط، ومنه كـانت مريم عليها السَّلام. والسبـي بالنسبة لأبناء يهوذا لم يـطل، بل «سقـطت بابـل في عام ٥٣٩ ق.م في يد كورش الفارسي، فسمح بعودة الـ «يهـود» إلى أرضهم، ولكن كثيرين منهم فضلوا البقاء في بـابل، فصـار اسمهم يهود الشتـات. وعاد بعضهم إلى أرض آبـائهم، تحت قيادة زربـابـل. . . ثم تحت قيادة عزرا. . . ثم تحت قيادة نحميا»[2].

والنصوص الَّتي تفيد هذه الوقـائع منهـا: «وهؤلاء بنو البـلاد الذين صعـدوا من الجلاء ممن جـلاهم نبـوخـذنصـر ملك بـابـل ورجعـوا إلى أورشليم، ويهوذا كل واحد إلى مدينته. الذين جاءوا مع زربابل ويشـوع ونحميا وسرايا ورعليا ومردكاي وبلشان ومسفار وبجـواي ورهوم وبعنـة. عدد رجال شعب إسرائيل»[3].

وبعد أن ملك ارتحششتا ملك فارس تمت عودة لجماعة مع عزرا، وجـاء عن ذلك «صعـد عزرا هـذا من بابـل وهو كـاتب مـاهـر في تـوراة

---

(١) سفر أخبار الأيام الثاني، الإصحاح ٣٦، آية ٥، ٦.
(٢) قاموس الكتاب المقدس، م.س، ص ٤٥٨.
(٣) سفر عزرا، الإصحاح ٢، آية ١، ٢.

موسى، أعطاها الرب إلّه إسرائيل، فبذل لـه الملك كل مـا طلبه بحسب يـد الـرب إلّهـه عليـه. وصعـد معـه قـوم من بني إسـرائيـل ومن الكهنـة والـلاويين والمغنين والبوابين والنتينيين إلى أورشليم في السنـة السـابعـة لأرتحشستا الملك»[١].

لكن كلمة يهودي (Juif) توسّع استخـدامها من أبنـاء مملكة يهـوذا (Juda) الذين عادوا بعـد سبيهم، لتطلق على جميـع يهود أينمـا كانـوا، وحيثما حلوا أو وُجد أحد منهم.

وانطلاقا من واقع حالهم تكون «اليهودية نسبة إلى يهوذا، وهو أحد أسباط بني إسرائيل الإثني عشر، الّـذي ولد منـه مسيح النصـارى، ومنه سيولد مسيح الـ «يهود» على زعمهم ويهـوذا هو الـرابع من أبنـاء يعقوب وأمه ليئة»[٢].

اليهودية، بعـد رسالـة موسى عليـه السَّلام، بـاتت عقيدة وشـريعة وهي ليست نسباً كإسرائيل، ولا هي صفة لهيئة معاش كالعبرية، ولا هي عنوان مشروع سياسي كالصهيونية.

٤ ـ صهيونيون:

ليست الصهيـونية مصـطلحـاً دينيـاً، وإنمـا هي مصـطلح سيـاسي يحمل فكرة يهودية تقوم على حق مزعوم بعودة إلى أرض فلسـطين، الّتي يـطلقون عليهـا اسم: «أرض المعـاد». وهـذه العـودة من بين أهـدافهـا ـ حسب زعمهم ـ إعادة إقامة «هيكل سليمـان» في القدس، ولهـذا كلّه

---

(١) سفر عزرا، الإصحاح ٧، آية ٦، ٧.

(٢) الحاج، يوسف، هيكـل سليمان أو الـوطن القومي اليهـودي، بدون تـاريخ، ص ٩٠.

عدّوا قيام منظمة سياسية تحقق هذا الغرض ضرورة لا بد منها.

لكن هذا المشروع السياسي لا ينبثق من معتقد ديني، لأن العودة إلى أرض الميعاد لا تكون وفق نصوص الكتاب المقدس على يد حركة سياسية، وإنما تتحقق بمسيح مخلص مبعوث من الخالق.

رغم ذلك قامت الحركة الصهيونية وعملت على تحقيق الحلم في إقامة كيان سياسي يهودي في أرض فلسطين وما حولها، وحاولت هذه الحركة تجاوز الحقيقة الدينية عندهم لتعتمد الحقيقة الاستيطانية الاستعمارية أساساً لعملها.

كلمة «صهيون» كما يرجح «قاموس الكتاب المقدس» معناها: حصن وصهيون هي «رابية من الروابي الَّتي تقوم عليها أورشليم. ورد ذكرها، للمرة الأولى، في العهد القديم كموقع لحصن يبوسي، فاحتل داود الحصن، وسماه مدينة داود»[1].

واليبوسيون، كما هو معلوم تاريخياً، قبيلة عربية وأبناء عمٍّ للكنعانيين، ثبت أنهم أقاموا إمارتهم في القدس ومنها حصن صهيون بقيادة أميرهم سالم اليبوسي، حوالي سنة ٢٥٠٠ ق.م، وبذلك تكون القدس موطن اليبوسيين قبل إبراهيم عليه السَّلام بما يزيد عن ٥٠٠ سنة، وبحوالي ١٠٠٠ سنة قبل موسى عليه السَّلام.

إن نصوص الكتاب المقدس تفيد بأن اليبوسيين هم سكان أورشليم «القدس» الأصليين، من هذه النصوص: «وسار داود وجميع إسرائيل إلى أورشليم الَّتي هي يبوس حيث كان اليبوسيون سكان

---

(١) قاموس الكتاب المقدس، م.س، ، ص ٥٥٨.

الأرض. فقال سكان يبوس لداود إنك لا تدخل إلى ههنا. فأخذ داود حصن صهيون وهو مدينة داود. . . وأقام داود في الحصن ولذلك سمّي مدينة داود»[1].

وهيكل سليمان الَّذي أقيم على جبل صهيون، بُني على تلة الموريا، وهي ملك رجل يبوسي، كما جاء في الكتاب المقدس؛ «وشرع سليمان في بناء بيت الرب في أورشليم في جبل المورِيّا الَّذي كان قد أُريه داود أبوه في المكان الَّذي أعدَّه داود في بيدر أرنان اليبوسي»[2].

أصل القدس وجبل صهيون لليبوسيين، ومع ذلك يسعى يهود لتبرير فكرتهم السياسية بإيجاد ارتباط ما معها، ويهود لا ينظرون للأمر إلا من زاوية أنهم أمة متكاملة، وهذا مخالف للمنطق، فما الَّذي يجمع يهود العالم، على تنوع قومياتهم وأعراقهم، في أمة واحدة؟.

الصهيونية ربطت نفسها بجبل صهيون من أجل إيجاد مسوغ ديني لنفسها لكنها في الحقيقة «حركة سياسية عنصرية أحيت فكرة أرض الميعاد وإقامة الوطن القومي لليهود في فلسطين بحجة الحقوق التاريخية لليهود في تلك الأرض»[3].

إن الصهيونية هي حركة العاملين من أجل احتلال فلسطين ضمن

---

(١) سفر أخبار الأيام الأول، الإصحاح ١١، الآيات ٤، ٥، ٧.
(٢) سفر أخبار الأيام الثاني، الإصحاح ٣، آية ١.
(٣) التميمي، د. عبد الملك خلف، الاستيطان الأجنبي في الوطن العربي، الكويت، سلسلة عالم المعرفة، محرم/صفر ١٤٠٤هـ، نوفمبر (ت ٢) ١٩٨٣م، ص ١٠٩.

مشروع توسعي، ورمز جنسيتهم وزعمهم إعادة بناء هيكل سليمان في القدس.

وإذا أردنا تحديد الرابط بين اليهودية والصهيونية، فمن الممكن أن نأخذ بتحديد معقول وضعه د. أحمد سوسة يقول فيه: «إن اليهودية عقيدة دينية شاملة على عكس الصهيونية الَّتي تمثل حركة سياسية عنصرية متطرفة، تستغل العاطفة الدينية في سبيل صهر جميع يهود العالم، من مختلف القوميات والأجناس، في وطن قومي واحد بالضغط والعنف والتهديد وإسكانهم في فلسطين بعد طرد سكانها بالقوة»[1].

• • •

(١) سوسة، د. أحمد، العرب واليهود في التاريخ، دمشق، العربي للإعلان والنشر والطباعة والتوزيع، ط ٧، بدون تاريخ، ص ٧٥٧.

الفصل الثاني

يهود ليسوا ساميين

يزعم صهاينة اليوم أنهم متحدِّرون من أصل سامي، انطلاقاً من تلك الأسطورة الَّتي أوردوها في سفر التكوين عن قضية ستر العورة لنوح من قبل ولديه سام ويافث، وغضبه على ابنه الثالث حام الذي لم يقم بذلك.

ورد في هذه الأسطورة ما يلي: «وابتدأ نوح يحرث الأرض وغرس كرماً. وشرب من الخمر فسكر وتكشَّف داخل خبائه. فرأى حام أبو كنعان سوءة أبيه فأخبر أخويه وهما خارجاً. فأخذ سام ويافث رداءً وجعلاه على منكبيهما ومشيا مستدبرين فغطيا سوءة أبيهما وأوجههما إلى الوراء وسوءة أبيهما لم يرياها. فلما أفاق نوح من خمره علم ما صنع به ابنه الصغير. فقال ملعون كنعان عبداً يكون لعبيد إخوته»[1].

هذه الأسطورة فيها، إضافة إلى الإساءة إلى نبي الله تعالى نوح عليه السلام ــ وهذا موضوع سنتناوله في مبحث نظرة يهود لعصمة الأنبياء ــ، تعليل يحمل في طياته فكرة الاستعلاء عند يهود الذين يحاولون، من خلال هذه الأسطورة، أن يبرهنوا على أنهم من سام،

---

(١) سفر التكوين، الإصحاح ٩، الآيات ٢٠ ــ ٢٥.

وأنهم الصفوة، أما كنعان المتحدر من حام فقد أصابته اللعنة.

لكن هذا الكلام كله على أسطوريته هو قبل موسى عليه السَّلام وقبل اليهودية، لا بل قبل إبراهيم عليه السَّلام والعبور، وقبل يعقوب عليه السَّلام المسمّى إسرائيل كذلك. فما الرابط يا ترى؟ الربط هادف ومقصود من أجل ادعاء حقٍ تاريخي لا صحة له.

وإذا سلمنا حتى بعرق سامي لنوافق زعمهم برغم أسطورية الأمر ـ فإننا نجد أن الغالبية الساحقة من يهود العالم اليوم ليسوا ممن عرفوا فلسطين، ولا ممن عرفها أجدادهم مهما علوا، بل الغالبية الساحقة من يهود هي أولاً وأخيراً من غير بلادنا، وما السامية إلا أكذوبة نسبوا أنفسهم لها ليتخذوا منها ستاراً يخفون وراءه أطماعهم.

تشير الدراسات التاريخية إلى أن قلَّة من يهود هم من سكان الأرض العربية تاريخياً، وأما الأغلبية الباقية فهي إما أنَّها من يهود الخزر (بحر قزوين)، أو يهود أشكناز من التشكيل الحضاري الجرماني، أو سفارد ينتمون إلى التشكيل الحضاري اللاتيني.

إن تعبير «أشكناز» عُرِف به يهود ألمانيا في القرون الوسطى خاصة في منطقة ماينز وفورمز على ضفاف نهر الراين. وتعبير «سفارد» ويقابله أحياناً تعبير «يهود شرقيين» فيشمل يهود أسبانيا في القرون الوسطى مع بعض يهود حوض البحر المتوسط.

وقد حدَّد د. أحمد سوسة هاتين الفئتين بشكل دقيق فقال عن الأشكناز: «تنتسب طائفة الأشكناز إلى الـ «يهود» الألمان، أو الذين ينحدرون من أصل ألماني، عاشوا في القرون الوسطى في البلدان التي كانت تتكلم الألمانية ثمَّ امتدوا إلى الشرق والغرب، وقد حافظوا، إلى

عهد قريب، على لغتهم اليديش (Viadish) وكانت في أساسها اللغة الألمانية المستعملة في القرون الوسطى»[1].

وقال عن السفارديين: «هم الـ «يهود» الذين انحدروا من أصل الـ «يهود» الذين هاجروا إلى شبه الجزيرة الأيبرية، خصوصاً بعد فتح المسلمين لها سنة ٧١١. وكان هؤلاء يتكلمون في أسبانية، في أول الأمر، باللغة العربية حتى القرن الثالث عشر، ثم أخذوا يتكلمون باللغة الأسبانية التي تمسكوا بها واعتبروها لغتهم التقليدية، إذ كانوا في آخر عهدهم، قبل أن يطردوا عن أسبانية سنة ١٤٩٢م. ثمّ سنة ١٤٩٦م، مارانيين، أي يتظاهرون بالمسيحية وهم يقومون بالعبادات والطقوس الدينية اليهودية سراً، ثم عادوا إلى الـ «يهود» بعد خروجهم من أسبانية، وقد هاجر هؤلاء إلى جنوب أوروبا وشمال أفريقيا وبلدان الشرق الأوسط، وذهب بعضهم إلى لندن وأمستردام وهامبورغ... وتعرف لغة السفارديين، التي لا يزالون يتكلمونها، باللادينو الأسبانية (Ladino)»[2]. «وكلا اليديش واللادينو بقيتا على الأصل منذ القرن الخامس عشر مع أن الألمانية والأسبانية تغيرتا وتطورتا منذ ذلك الحين»[3].

لكن ما يجب أن نعلمه هو أن يهود اليوم، بنسبة ٩٢ بالمئة، هم من سلالة الخزر، هذه الحقيقة يترتب عليها سؤال هو: ما الرابط بين الخزر والحق المزعوم بالعودة إلى فلسطين؟

---

(١) سوسة، د. أحمد، م. س، ص ٦٩٨.

(٢) المرجع السابق ص ٦٩٩.

(٣) نفس المرجع السابق.

يقول بنيامين فريدمان في هذا الأمر: «إن من يزعمون أنفسهم يهوداً، المتحدرين تاريخياً من سلالة الخزر، يشكلون أكثر من ٩٢ بالمائة من جميع من يسمون أنفسهم يهوداً في كل مكان من العالم اليوم. والخزر الآسيويون الذين أنشأوا مملكة الخزر في أوروبا الشرقية، أصبحوا يسمون أنفسهم يهوداً بالتحول والاعتناق سنة ٧٢٠م، وهؤلاء لم تطأ أقدام أجدادهم قط الأرض المقدسة في تاريخ العهد القديم. هذه حقيقة لا تقبل جدلاً»[١].

إن مملكة الخزر على بحر قزوين، التي تحاذي الأمبراطورية البيزنطية، كانت مملكة واسعة الأرجاء، وكانت تطمع، وفق موازين العصر يومها، بدور ما، وهذا الدور لا يمكنها إن هي اعتنقت المسيحية فستكون عندها ملحقة بالأمبراطورية البيزنطية، وإن اعتنقت الإسلام فستكون تحت حكم الخلافة الإسلامية ـ العربية، إذن لا بد من تمييز نفسها عقيدياً ليكون ذلك مقدمة للتمييز في الموقع السياسي القيادي العالمي، إنطلاقاً من هذا الواقع اعتنقت مملكة الخزر اليهودية.

ما موقع دولة الخزر الاستراتيجي بمقاييس عصرها؟ ترجح الكتابات التاريخية أنه «حوالي الوقت الذي توِّج فيه شارلمان أمبراطوراً للغرب، كانت تحكم تخوم أوروبا الشرقية، الممتدة بين القوقاز ونهر الفولجا، دولة يهودية عُرفت بأمبراطورية الخزر، وقد لعبت، وهي في أوج سلطانها من القرن السابع إلى القرن العاشر الميلادي، دوراً هاماً

---

(١) فريدمان، بنيامين، يهود اليوم ليسوا يهوداً، إعداد زهدي الفاتح، بيروت، دار النفائس، ط ٢، سنة ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م، ص ٤٤، ٤٥.

في تشكيل أقدار أوروبا في العصور الوسطى، وبالتالي في العصور الحديثة أيضاً.

... وقد شغلت بلاد الخزر ـ وهم شعب من أصل تركي ـ موقعاً استراتيجياً رئيسياً في المدخل الحيوي بين البحر الأسود وبحر قزوين، حيث وقفت القوات الشرقية العظمى، في ذلك العصر، وجهاً لوجه، وكانت بلاد الخزر بمثابة حاجز حمى بيزنطة ضد غارات قبائل البرابرة الأشدّاء، أهل السهوب الشمالية من بلغار ومجريين وبشنج... ثم الفايكنج والروس»[1].

إن العرب عرفوا هذه البلاد منذ تأسيسها، ويبدو أن الخلفاء العباسيين، في مراحل لاحقة، حاولوا استطلاع أحوالها وعقائد أهلها ربما من أجل الاستيلاء عليها فتحاً، أو التعاون معها.

ومحط الاهتمام ربما ينبع من أن تهور الخزر، كأكبر كتلة بشرية دخلت اليهودية في تاريخها كلّه وحتى يومنا هذا، هو عامل من عوامل هذا الاهتمام، عطفاً على أنها شكلت موقع جذب ليهود يومها كما يقول المسعودي: «فأما اليهود فالملك وحاشيته والخزر من جنسه، وكان تهوّد ملك الخزر في خلافة هارون الرشيد، وقد انضاف إليه خلق من اليهود. وردوا عليه من سائر أمصار المسلمين ومن بلاد الروم»[2].

لقد حملت موسوعة «معجم البلدان» لياقوت الحموي رسالة

---

(١) كيستلر، آرثر، القبيلة الثالثة عشرة ويهود اليوم، ترجمة أحمد نجيب هاشم، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة ١٩٩١م، ص ٢١.

(٢) المسعودي، مروج الذهب، م ١، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، بيروت، دار الفكر، ط ٥، سنة ١٣٩٣هـ ـ ١٩٧٣م، ص ١٧٨.

لـرحالـة اسمه ابن فضـلان تدل على هـذا الاهتمام كـذلك رغم تـأرجح المعلومات الواردة فيها حول عقيدة الخزر عامة، ونسبة يهود منهم.

ورد في معجم البلدان: «قال أحمد بن فضلان رسول المقتدر إلى الصقالبة في رسالة فيها ما شاهده بتلك البلاد فقال:

الخزر اسم إقليم من قصبة تسمّى إتِل، وإتِل اسم لنهر يجري إلى الخزر من الروس والبلغـار، وإتِل مـدينة، والخـزر اسم المملكة لا اسم مدينة، والإتل قطعتان: قطعة على غربـي هـذا النهر المسمّى إتـل وهي أكبرهما، وقـطعة على شـرقيّه، والملك يسكن الغـربـي منهما، ويسمى الملك بلسانهم يَلِك، ويسمى أيضاً بـاك... والخزر مسلمـون ونصارى وفيهم عبـدة الأوثان، وأقـل الفرق هنـاك اليهـود، على أن الملك منهم، وأكثرهم المسلمون والنصـارى إلاّ أن الملك وخاصتـه يهود... ولسـان الخزر غير لسان الترك والفارسية ولا يشاركه لسان فريق من الأمم...

والخزر وملكهم كلهم يهود، وكان الصقالبة وكل من يجاورهم في طاعته ويخاطبهم بالعبودية ويدينون له بالطاعة»[1].

يقول آرثر كيستلر «على الأرجح في سنة ٧٤٠م اعتنق ملك الخزر وحاشيته والطبقة العسكرية الحاكمة الديانة اليهودية، وأصبحت اليهوديـة الدين الرسمي لدولة الخزر»[2].

تتفاوت المصادر في تحديد السنـة التي تهوّد فيهـا بولان (Bulan)

---

(١) الحموي، ياقوت، معجم البلدان، م ٢، بيروت، دار صادر ودار بيروت، سنة ١٣٧٥هـ ـ ١٩٦٥م، ص ٣٦٧، ٣٦٨، ٣٦٩.

(٢) كيستلر، آرثر، م. س، ص ٢٣.

ملك الخزر، لكنّها تلتقي على أن ذلك قد تمَّ أبَّان القرن الثامن الميلادي، ورغم أنه بقي في بلاد الخزر نصارى ومسلمون، لكن الحاكم ومن حوله باتوا يهوداً، وهذا حكماً شجع أعداداً كبيرة من الشعب على التهوُّد، لذلك يكون الدخول في اليهودية، الذي حصل في بلاد الخزر، أكبر حالة تهوُّد في تاريخ اليهودية، وكانت هذه الكتلة البشرية الضخمة أهم مصدر للمنتمين إلى اليهودية في العالم.

لقد «كانت أكبر الكتل المتهوِّدة قبائل الخزر، وهم من الأتراك المغول وطنهم في بلاد الخزر الواقعة في جنوب روسيا في جوار مصب نهر الفولغا في بحر الخزر (بحر قزوين)، فقد اعتنق أكثر أهلها الدين اليهودي في العصور الوسطى بعد اعتناق أميرهم اليهودية، وبقيت تمارس الديانة اليهودية بحرية هناك حتى أواخر القرن العاشر الميلادي»[1].

هذه الكتل البشرية المتهودة تشكل ـ كما ذكرنا سابقاً ـ حوالي ٩٢ بالمائة من مجموع يهود العالم، وهؤلاء لا ساميين، وفق أسطورتهم، ولا هم من أصحاب الحق التاريخي المزعوم. إن معظم يهود اليوم في الولايات المتحدة الأمريكية وفي عموم أوروبا الشرقية هم من أصل خزري.

بعد سقوط مملكة الخزر، مع إطلالة القرن الحادي عشر الميلادي، توزع يهودها في دول أوروبا الشرقية، ومن هناك كانت هجرات يهود إلى أمريكا بعد اكتشافها في العصور الوسطى.

---

(١) سوسة، د. أحمد، م. س، ص ٦٩٤.

يقول بنيامين فريدمان عن هذا الموضوع: «إن من يزعمون أنفسهم يهوداً من ذوي الأرومة الأوروبية الشرقية في كل مكان من عالم اليوم هم تاريخياً يتحدرون، على نحو لا يرقى إليه الشك ولا نزاع فيه، من سلالة الخزر... ذلك الشعب الوثني القديم ـ التركي ـ الفنلندي المغولاني (شبيه بالمغول)، الغامض الأصول بالنسبة لوجوده التاريخي في قلب آسيا، الذي شقَّ طريق كفاحه بحروب دموية في حوالي القرن الأول قبل الميلاد نحو أوروبا الشرقية، حيث أقام مملكة الخزر... في حوالي سنة ٧٢٠ م، أصبحت مملكة الخزر الوثنية تشكل شعب من يزعمون أنفسهم يهوداً، كما أضحى الملك بولان (Bulan) أول ملك للخزر، في السنة ذاتها، يدعي يهودياً بالتحول والاعتناق. وكُرِّس دين الملك بولان الجديد بعد ذلك ديناً رسمياً لمملكة الخزر»[١].

لكن هذه المملكة التي تهودت لم تعمَّر طويلاً، واقتحمتها جارتها إمارة روسيا فقضت عليها وشرَّدت أهلها في البلدان المجاورة. فبعد قيام مملكة يهودية خزرية في القرن الثامن الميلادي «لم تمض ثلاثة قرون حتى قضت إمارة روس على مملكة الخزر، مستولية على جميع أراضيها؛ أي على ٨٠٠ ألف ميل مربع، وبهذا زالت مملكة الخزر كدولة حرة مستقلة، وكجسم سياسي ذي سيادة، في أوروبا... وقد تلاشى آخر أثر في مملكة الخزر عن خارطة أوروبا في القرن الثالث عشر للميلاد»[٢].

إن الاختلاف بين المؤرخين حول التحديد الدقيق للسنة التي تهوَّد

(١) فريدمان، بنيامين، م.س، ص ١٤، ١٥.

(٢) فريدمان، بنيامين، م.س، ص ٤٠.

فيها بولان، ملك الخزر مع مملكته، يقابله اختلاف آخر أيضاً حول المصير الذي لقيه الخزر المتهودون بعد سقوط مملكتهم.

القرن الثالث عشر للميلاد هو قرن تشتت شعب الخزر المتهود في دول أوروبا الشرقية، وإن كانت المملكة قد سقطت بيد الروس منذ أواخر القرن العاشر الميلادي.

يفيد هذا الأمر أن يهود أوروبا الشرقية لا علاقة لهم، من قريب أو بعيد، بشيء من الأصول السامية أو العبرية. يقول آرثر كيستلر: «والواقع أن موضوع الجدل هو مصير الخزر الـ «يهود» بعد تدمير أمبراطوريتهم في القرن الثالث عشر، والمصادر شحيحة عن هذه المسألة، وإن ورد ذكر بعض مستوطنات الخزر في القرم وأوكرانيا والمجر وبولندة وليتوانيا، وتكشف الصورة العامة التي تنبثق من هذه المعلومات المتناثرة عن هجرة قبائل وجماعات خزرية إلى تلك الأقاليم الواقعة في شرق أوروبا، ولا سيما روسيا وبولندة، حيث وجدت في فجر العصر الحديث أكبر تجمعات من اليهود، الأمر الذي دفع كثيرين من المؤرخين إلى الحدس بأن جزءاً هاماً أو قل الأغلبية من اليهود الشرقيين (أعني من شرق أوروبا) وبالتالي يهود العالم، ربما كانوا أصلاً من الخزر لا من أصل سامي»[1].

يهود العالم، في غالبهم، من أصل خزري وليسوا ساميين، أو من السكان السابقين لأية أرض عربية، لا فلسطين ولا سواها. أما عن سبب تشتت يهود الخزر في أكثر من بلد أوروبي شرقي، فربما كان مبرره أنه

(١) كيستلر، آرثر، م . س، ص ٢٣.

بعد سقوط مملكة الخزر قد «دخلت الأمبراطورية الروسية في حروب متكررة» مع الشعوب الناشئة الفعالة الشابة في أوروبا الشرقية. . . وقد انهزمت روسيا في بضعة من هذه الحروب، حتى أنها أكرهت على التنازل للمنتصرين عن مساحات شاسعة من المناطق التي كانت في السابق من جملة أراضي مملكة الخزر. . . نلاحظ بنتيجة هذه العملية التاريخية، أن ليتوانيا، غاليشيا، بولندا، هنغاريا، وغيرها من دول أوروبا الشرقية. . . قد اكتسبت مناطق من أراضي مملكة الخزر سابقاً، مع سكانها الكثر ممن يزعمون أنفسهم يهوداً، المتحدرين تاريخياً من سلالة الخزر»[1].

نخلص من هذا المبحث بأنه ومع عدم إيماننا بنظرية الأعراق البشرية لعدم صدقها ودقتها، إلا أننا، ومن منطق المزاعم والأوهام اليهودية المختلقة، وبعد العرض السابق، نقول: إن يهود اليوم، في غالبيتهم المطلقة، هم من أصل خزري ومن أصل ألماني (أشكناز)، وحتى السفارديين فيهم من كانوا غير عرب ولا ساميين بحكم إقامتهم في أسبانيا، وبهذا يسقط الادعاء اليهودي بسامية لا سند لها.

● ● ●

(١) فريدمان، بنيامين، م.س، ص ٤٣، ٤٤.

الفصل الثالث

العرب سكان القدس الأوائل

يطرح يهود من بين مزاعمهم الكثيرة لتبرير اغتصابهم لفلسطين بدعم استعماري، أن القدس (أورشليم) هي عاصمة دينية لهم كانت ويجب أن تعود، ويجب أن لا ينافسهم أحد في ذلك الحقّ المدَّعىٰ.

وإذا كانت حجة يهود بأنهم ساميون؛ أو من سكان فلسطين والأرض العربية، سابقاً، ساقطة، لما أوردناه عن أن يهود ليسوا أمة ولا كياناً سياسياً مستقلاً دون الناس، فيهود ككل المنتمين إلى عقيدة، أو مذهب، ينتمون اجتماعياً إلى أمم وقوميّات متعددة، وفوق ذلك غالبيتهم من أصل خزري؛ لكن رغم ذلك تفيد حقائق التاريخ أن القدس، قبل أن يأتي إليها يهود ليقيموا هيكلهم على جزء منها، هي في الأصل مأهولة من قبل الكنعانيين العرب أصلاً، ويوم دخل يهود القدس وجدوا فيها اليبوسيين الكنعانيين.

وتفيد المصادر التاريخية، ودراسات الكتاب المقدس نفسه عطفاً على نصوص كثيرة منها ما ذكره الدكتور أحمد سوسة حين قال: «كان اليبوسيون الكنعانيون أول من سكن أورشليم، ويرجع الخبراء تاريخ وجودهم في المدينة إلى ما قبل خمسة آلاف عام. حين نزح الكنعانيون من جزيرة العرب إلى فلسطين، وكانوا يقطنون في المنطقة حوالي

أورشليم، وكانت أورشليم مركزهم الرئيسي وعاصمة ملكهم»[1].

وفي تحليل اسم المدينة نفسه يظهر أن الاسم كنعاني في اشتقاقه اللغوي، ويأتي هذا الأمر ليؤكد ما ذُكر عن أن القدس مدينة كنعانية عربية أصلاً وتاريخياً ويهود وفدوا إليها.

المعلوم من المصادر التاريخية أن «أول اسم ثابت لمدينة القدس، هو أوروسالم، أو أوروشالم . . . وأحدث ما توصل إليه البحث التاريخي في أصل اسم أوروسالم، أو أوروشالم، هو أن الاسم مكون من مقطعين: سالم أو شالم وهو اسم إلّه، وأورو وهي كلمة تعني أسَّس أو أنشأ فيكون معنى أوروسالم أسسها سالم. ويعتبر الاسم اسماً عمُّورياً . . . والعموريون، حسب الكتاب المقدس، هم سكان كنعان الأصليون. ولغة العموريين تدعىٰ غالباً الكنعانية»[2].

إن نصوص الكتاب المقدس (العهد القديم) أتت لتؤكد كل هذه التحليلات والوقائع. ففي سفر نبوءة حزقيال ورد النص التالي عن أورشليم: «وكانت إلي كلمة الرب قائلاً. يا ابن البشر أخبر أورشليم بأرجاسها. وقل هكذا قال السّيد الرب لأورشليم معدنك ومولدك من أرض الكنعانيين وأبوك أموري وأمك حثّيّة»[3].

وتحمل مدينة القدس اسماً ثالثاً هو يبوس، نسبة إلى اليبوسيين الكنعانيين الذين أقاموا فيها بعد العموريين الكنعانيين أيضاً، وقد برز في

---

(١) سوسة، د. أحمد، م.س، ص ٧٩٠.

(٢) العسلي، د. كامل، مكانة القدس عربياً وإسلامياً عبر التاريخ. في: الموسوعة الفلسطينية، الدراسات الخاصة، القسم الثاني، م ٦، بيروت، ط ١، سنة ١٩٩٠م، ص ٧٩٧.

(٣) سفر نبوءة حزقيال، الإصحاح ١٦، الأيات ١، ٢، ٣.

تاريخ القدس اسم شيخ اليبوسيين «سالم اليبوسي» مؤسس زعامة اليبوسيين.

ويقول د. كامل العسلي في هذا الباب: «ظهر اسم أوروسالم مرة ثانية فيما يعرف بألواح تل العمارنة، وهي ست رسائل بعث بها عبد ـ خيبا، ملك أوروسالم في القرن الرابع عشر قبل الميلاد، إلى فرعون مصر ـ أخناتون ـ يشكو فيها من الخطر الذي تتعرض له مدينة أوروسالم من جراء هجمات ما يعرف بالخابيرو أو العبيرو.

وفي هذه الفترة أخذ اسم يبوس واليبوسيين يظهر في الكتابات الهيروغليفية. ويبدو أن اليبوسيين تلوا العموريين في سكنى المدينة، خلال النصف الأول من الألف الثاني قبل الميلاد، فأطلق على أوروسالم اسم يبوس، وهو الاسم الثاني لمدينة القدس»[١].

ونصوص «العهد القديم» في الكتاب المقدس أوردت هذه التسمية، من النصوص التي جاء فيها هذا الاسم «يبوس»: «وأما اليبوسيون سكان أورشليم فلم يقدر بنو يهوذا على طردهم، فأقام اليبوسيون مع بني يهوذا في أورشليم إلى هذا اليوم»[٢]. وفي نص آخر: «فلم يرضَ الرجل أن يبيت بل قام وانصرف حتى انتهى إلى مقابل يبوس التي هي أورشليم ومعه حماران موقران وسريَّته. وفيما هو عند يبوس، وقد مال النهار جداً، قال الغلام لمولاه: مِلْ بنا إلى مدينة اليبوسيين هذه فنبيت فيها»[٣]. وفي نص ثالث: «وسار داود وجميع إسرائيل إلى

---

(١) العسلي، د. كامل، م.س، ص ٧٩٧.
(٢) سفر يشوع، الإصحاح ١٥، الآية ٦٣.
(٣) سفر القضاة، الإصحاح ١٩، الآية ١٠، ١١.

أورشليم التي هي يبوس حيث كان اليبوسيون سكان الأرض. فقال سكان يبوس لداود إنك لا تدخل إلى ههنا. فأخذ داود حصن صهيون، وهو مدينة داود»[1].

إن هذه النصوص تؤكد، ومن خلال ما يؤمن به يهود أنفسهم، على أن القدس هي يبوس، واليبوسيون كنعانيون من جزيرة العرب، وأنهم مع داود حاولوا الدخول إليها لأول مرة، وقد احتلَّ داود «صهيون»، وهو مرتفع بجانب القدس، وكلمة «صهيون» كلمة كنعانية تعني مرتفع، وهذا يعني أن داود نفسه لم يتمكن من القدس (يبوس) كلها في البداية.

تفيد نصوص الكتاب المقدس أن يهوذا هو الذي دخل أورشليم بالقوة، لكن دخوله إليها أدى إلى تعايش بين بني إسرائيل وبين اليبوسيين، وبذلك يكون الدخول الإسرائيلي دخولاً على شكل احتلال قد يحصل لأية مدينة وبلد، لكن سيأتي وقت تعود فيه الحقوق لأصحابها.

لقد جاء في سفر القضاة عن هذا الموضوع ما يلي: «وحارب بنو يهوذا أورشليم، فأخذوها وضربوها بحد السيف وأحرقوا المدينة بالنار. ومن بعد ذلك نزل بنو يهوذا ليحاربوا الكنعانيين المقيمين بالجبل والجنوب والسهل... فأما اليبوسيون المقيمون بأورشليم فلم يطردهم بنو بنيامين، فأقام اليبوسيون مع بنو بنيامين بأورشليم إلى هذا اليوم»[2].

بعد هذا الدخول الإسرائيلي لم تستقر لهم الحال فيها بل بقيت

---

(١) سفر أخبار الأيام الأول، الإصحاح ١١، الآية ٤، ٥.

(٢) سفر القضاة، الإصحاح الأول، الآيات ٨، ٩، ٢١.

حال مدينة القدس غير مستقرة حيث دخلتها قوى عديدة، وبالتالي لم تكن القدس مرة مكان سكنٍ يهودي خاص وإن سيطروا عليها لفترات قصيرة، وبذلك يسقط زعمهم بالحق فيها.

يسرد «قاموس الكتاب المقدس» واقع حال أورشليم (القدس) فيقول: «إن رجال يهوذا أخذوا أورشليم ولكن أخذها منهم اليبوسيون، ومنهم أخذها داود... وجعلها عاصمة ملكه. ولقد نهب شيشق ملك مصر أورشليم... وكذلك نهبها الفلسطينيون والعرب معاً في عصر يهورام... وكذلك نهبها يهوآمش ملك إسرائيل... وقد فشل سنحاريب، ملك آشور، في أخذ المدينة... وأما نبوخذنصر، ملك بابل، فقد أخذ المدينة مرتين... وقد أذن الملك كورش الفارسي وشجع كثيرين من اليهود للرجوع إلى أورشليم... وكذلك تمكن نحميا بمساعدة أحشويروش (ارتزركسيس) ملك فارس من العودة إلى أورشليم، وإعادة بناء أسوار المدينة.

وقد ضم الإسكندر الأكبر أورشليم ضمن أمبراطوريته، وبعد موته صارت أولاً تحت حكم البطالسة في مصر ثم انتقلت إلى حكم السلوقيين في سوريا.

وفي عام ١٦٥ قبل الميلاد ثار المكابيون اليهود وأقاموا في النهاية مملكة يهودية وكانت عاصمتها أورشليم. وبعد أن أخذ القائد الروماني بومباي أورشليم عام ٦٣ ق.م أصبحت المدينة تحت حكم الرومان، أما عن طريق غير مباشر، كما كانت الحال في حكم بنطيوس بيلاطس.

وبعدما ثار اليهود على روما أخذ القائد تيطس الروماني المدينة وأحرق الهيكل، وباع كثيرين من شعبها في السبي، وكان ذلك سنة ٧٠

ميلادية»[1].

إن هذا العرض المكثف والواضح لتعاقب السلطات على مدينة القدس معطوفاً على ما ذكر سابقاً، يعطي فكرة واضحة عن تزوير الحقائق الذي تمارسه الحركة الصهيونية.

وإذا كانت القدس كنعانية منذ الألف الخامس قبل الميلاد، وإذا كان يهوذا وبعده داود، قد دخلوها مع اقتراب الألف الأخير قبل الميلاد، وأعقب ذلك تبدل في القوى المسيطرة على المدينة، أو في بعض المراحل كان يُنفى منها كل سكانها إلى أن وصلنا إلى النفي الذي لا عودة بعده في سنة ٧٠ ميلادية، وإذا كانت إقامة بني إسرائيل الأولى في القدس مشتركة مع سكانها الأصليين من اليبوسيين، كيف يصح أن يطرح زعمهم بحق تاريخي في مدينة لم يقيموا فيها منفردة، أو لم تكن لهم السلطة عليها وحدهم قرناً من الزمن؟!، بينما هي لأهلها العرب منذ أسسها الكنعانيون وذلك مما يزيد عن ستة آلاف سنة.

إن الارتباط الروحي الذي يتذرع به يهود مع القدس، أو على الأصح مع جزء منها، أو ربوة بالقرب منها هي مرتفع صهيون يعودون به إلى تلك الفكرة التي أطلقها داود، بعد دخول القدس، بأنه من الضروري بناء بيت للرب ثابت، وهذا المشروع ـ الفكرة أنجزه بعد ذلك سليمان حيث بنى هذا البيت الذي اشتهر باسم هيكل سليمان.

كان يهود منذ موسى عليه السَّلام، وبحكم ترحالهم، يقيمون حيث حلُّوا، خيمةً للعبادة وهي في مفهومهم خيمة إقامة الرب الذي

---

(١) قاموس الكتاب المقدس، م.س، ص ١٣٥.

يكـون أمامهم في عمـود غمـام حين التنقـل، وقـد أراد داود أن يستبـدل الخيمة ببيت ثابت وربما كان من أهدافه الكـامنة وراء هـذا المشروع أن يكون ليهود بيتُ عبـادة ثابت تعبيـراً عن استقرارهم ووقف منهـج حياتهم القائم على الترحال، وبذلـك يكون هـذا البيت مبرراً للتمسـك بالأرض والدفاع عنها.

نصل إلى القول بأن «داود هو صاحب فكرة بناء هيكل ثـابت للرب بدل خيمة الشهادة المتنقلة، وهو الذي جمع الأموال وخزن المجـوهرات وجهـز الأدوات والمعدات... وفي الكتـاب إحصاء دقيق لـلأموال التي أرصدها داود لهذا الأمر المقدس، إما من خزائنه أو من أعماله وحلفائه.

وقـد وعـد الـربُّ داودَ بـأن يكـون البنـاء في مهــد ابنـه ووريثــه سليمان... أما موضع الهيكل وهندسته فقد عينه داود قبل موته. ثم بـدأ سليمان العمل في البناء في السنة الـرابعة من حكمـه، واستغرق العمـل سبـع سنوات وستـة أشهر... واعتمـد سلميان على مصـادر أخرى غيـر عبرية.

... ارتفع بناء الهيكـل فوق جبـل موريـة في القدس، عنـد بيدر أرونـة اليبوسي حيث بنى داود مـذبحاً للرب... وكـان الهيكل، بشكـل عام، على شكل خيمة الشهادة.

وكان الهيكل يتجه إلى جهة الشرق... أما المذبح فكان صندوقـاً من الخشب الثمين، مربع الحجم، مغطى بالنحاسِ. وكانت النار تُشعل على رأسه، وإلى جانبها وضعت أوعية الغسل، من النحاس، ليتطهر بها الكهنة والذبائح.

... وتحت رواقــه وضـع عمــودان مـزخـرفـان همـا: بـاكين

وبوعز»[١]. وغير معروف مبرر تسمية العمودين وقد يكون السبب أنهما اسمان لشخصين قدما العمودين أو عملاهما، وقد تكون الكلمتان مشتقتين من معانٍ رمزية.

يدخل ثمة ارتباط ديني ـ روحي في زعم يهود بالحق في موقع الهيكل، لأن ذلك وفق ما جاءهم، وعد من الرب له صفة الديمومة ولذلك تسمعهم اليوم يقولون: القدس عاصمة أبدية لدولة إسرائيل. جاء عندهم في خطاب لداود من الرب: «فيكون إذا تمت أيامك لتنصرف إلى آبائك وأقمت من يليك من نسلك الذي يكون من بنيك وأقررت ملكه. أنه هو يبني لي بيتاً وأنا أقر عرشه إلى الأبد»[٢].

بعد أن أتمّ سليمان المهمة ببناء الهيكل باتت أورشليم تحتل مكانة مميزة عند يهود. إن نظرتهم لها اليوم هي أنها «ترمز واقعياً، كعاصمة سياسية، إلى وحدة شعب الله، وهي تعدّ، كعاصمة دينية، مركزاً روحياً لإسرائيل لأن الله[٣] يسكن فيها على جبل صهيون، وقد اختاره مسكناً له»[٤].

حاول يهود، تبريراً لمزاعمهم، أن يصنعوا شكلاً من أشكال الربط التاريخي المفجع مع أورشليم بحيث تدور حولها أحداثهم التاريخية من نفي وسبي وتشريد، وعملوا على التغرير بيهود العالم ليصدقوا أكذوبتهم بأن القدس حقّ لهم.

---

(١) قاموس الكتاب المقدس، م.س، ص ١٠١٢، ١٠١٣.
(٢) سفر أخبار الأيام الأول، الإصحاح ١٧، الآية ١١، ١٢.
(٣) استخدم مترجمو «معجم اللاهوت الكتابي» كلمة «الله» اسم الجلالة مع أن ما يقول به يهود هو: رب أو إله ولذلك الأصح استخدام تعبيرهم.
(٤) معجم اللاهوت الكتابي، م.س، ص ١٢٥.

ومن الأقوال المنسوبة لزعماء صهاينة نقرأ قول هرتزل في مؤتمر بال (١٨٩٧م): «إذا حصلنا يوماً على القدس، وكنت لا أزال حياً وقادراً على القيام بأي شيء فسوف أزيل كل شيء ليس مقدساً لدى اليهود فيها وسوف أدمر الآثار التي مرت عليها القرون».

وفي قول ينسب إلى بن غوريون: «لا معنى لفلسطين بدون القدس، ولا معنى للقدس بدون الهيكل»[١].

عمل يهود، بعد آخر سبي لهم على يد الرومان في القرنين الأول والثاني بعد الميلاد، وبعد خراب هيكلهم، على أن يقفوا نائحين متفجّعين عند مكان زعموا أنه حائط المبكى، وأنه من بقايا الهيكل، وأنهم سيجددون بناءه يوماً ما.

ما هو واقع الأمر بالنسبة لجدار المبكى الذي يسميه المسلمون حائط البراق؟ وهو يرتبط عند المسلمين بمعجزة الإسراء والمعراج التي كانت للنبي محمد ﷺ، «يسمي المسلمون الحائط الغربي للحرم الشريف حائط البراق، وتوجد في داخله غرفة صغيرة (تجويف) يعتقد المسلمون بأن الرسول ﷺ ربط فيه البراق ليلة الإسراء والمعراج. ويبلغ طول حائط البراق ٤٨ متراً وارتفاعه ١٧ متراً ويشكل جزءاً من أساسات المسجد الأقصى. وأقيم عنده مسجد صغير لصلاة النافلة. ويقوم في منطقة الحرم الشريف مسجدان هما: المسجد الأقصى المبارك، ويلاصق الحائط الخارجي الجنوبي للحرم الشريف ويمتد لغاية حائط البراق. ومسجد قبة الصخرة ويقع في وسط ساحة الحرم الشريف.

---

(١) وردت عند: عوض، د. عبد العزيز محمد، الأطماع الصهيونية في القدس، في: الموسوعة الفلسطينية ــ الدراسات الخاصة، م.س، ص ٨٣٩.

أما اليهود فيدَّعون أن حائط البراق جزء من جدران الهيكـل الثالث الذي بناه هيرودوس الكبير عام ١٨ ق.م، ودمّره القائد الـروماني تيـطس عام ٧٠م. ولا يوجد أي دليل مادي على صحة هذا الادعاء، على الرغم من الحفريات الأثرية التي قام اليهود بها حيث تضاربت الآراء في تحديد موقع الهيكل، ولكنهم حاولوا ربط رغبتهم بالصلاة أمامـه بادِّعـاء الملكية عليه»[1].

إن هذا العرض لواقع تاريخ مدينة القدس ولموضوع الهيكل يظهر عـدم صدق المقـولات اليهوديـة، ولكن يهوداً، كعـادتهم، يعملون على خلط الأمور وتوليد حالة من اللبس والغموض ليسوغوا فعلهم العدواني.

تبيِّن الوقائع التاريخية مع نصوص العهد القديم «أن مدينـة القدس كـانت، منذ خمسـة آلاف عام، مـدينة عـربية كنعـانية، وقـد بقيت بيـد سكانها اليبـوسيين أكثر من ألفي عـام قبل عهـد موسى، بقيت بيـد أهلها ثلاثمائة عام بوجود الموسويين في فلسـطين، ثم بعد دخـول اليهود إليهـا في عهد داود، وبقي سكانهـا على أراضيهم وفي بيوتهم، وعـاش اليهود في فتــرة وجــودهم أقلِّيــة بينهم حتى تمَّ سبيهم إلى بــابــل في عهــد الكلدانيين، فعاد سكان أورشليم واستقلوا بمدينتهم استقلالاً تاماً»[2].

وإذا ما أكملنا المسيرة التاريخية للقدس نجـد أنها كـانت عاصمـة لإحـدى أهم الكنـائس المسيحيـة، وفيهـا عقــد التـلامــذة أول مجمـع مسيحي، إنها كنيسة أورشليم وبعد أن نفاهم تيطس، القائـد الرومـاني،

---

(١) عوض، د. عبد العزيز محمد، م.س، ص ٨٦٠.

(٢) سوسة، د. أحمد، م.س، ص ٧٩٢.

لم يعودوا إليها واستمر الأمر. والقدس عربية بعد الفتح في زمن الخليفة الراشدي الثاني عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وهكذا عاشت القدس مدينة عربية واستمرت، ولم يقم فيها ثمة نفوذ لكيان سياسي يهودي.

تأسيساً على ما تقدم نستنتج أن القدس مدينة عربية، وأن الفترات التي كان فيها النفوذ ليهود أو لبني إسرائيل كانت قصيرة، ناهيك عن أن تلك الفترات لم يكن فيها سكان القدس يهوداً فقط.

وإذا كان يهود لم يستقلوا بالقدس، ولا صدق لأقوالهم بحق تاريخي فيها بمفردها، فكيف يدَّعون حقاً غير موجود بفلسطين كلها؟!!

إن لليهودية أتباعاً من أمم وقوميات متعددة، وليس هؤلاء القوم أمة دون الناس ولم يكونوا، ولا أقاموا كياناً سياسياً خاصاً بهم لا في القدس ولا في فلسطين ولا في غيرها، لذلك تصبح مسألة حق العودة إلى فلسطين مسألة مختلفة، والأصح أن تُسمى حق الاغتصاب والاحتلال.

لن أطيل في هذا الموضوع حتى لا يخرج البحث عن منهجه، وقد يحتاج الأمر لبحث تاريخي مستقل عن الموضوع لكن ما نقوله هو: «إن الزعم بأن ليهود العالم حقاً تاريخياً في فلسطين غير صحيح، فيهود العالم لا يشكلون أمة منفردة، وإنما هم أفراد في الأمم التي يعيشون فيها ويتكلمون لغاتها. كما أن التاريخ وعلم الأجناس والقانون لا يقر هذا الادعاء في تبرير العودة إلى فلسطين»[١]. وبما أن تبرير حق العودة إلى فلسطين غير ممكن، وهو زعم باطل، فمن المسلم به أن ينطبق ذلك على القدس، وهي جزء من فلسطين. فالقدس عربية وفلسطين عربيّة

---

(١) عوض، د. عبد العزيز محمد، م.س، ص ٨٦٢.

والادعاء والتزوير لا يغيِّران من الحقيقة شيئاً، وبناء على دراسة التاريخ يمكن القول بأن إقامة كيان سياسي تحت اسم «دولة إسرائيل». في أرض فلسطين، والادعاء أن القدس هي عاصمة أبدية لها، كل هذا ليس سوى موجة استعمارية ككل الموجات التي عرفها التاريخ، ولكُل موجة نهاية.

● ● ●

الفصل الرابع

المصادر العقيدية والفكرية لليهودية

يعتمد يهود في عقيدتهم وشريعتهم وأفكارهم، حتى في قراءة تاريخ اليهودية، مصدرين دينيين أساسيين هما:

١ ــ العهد القديم أو العهد العتيق.

٢ ــ التلمود.

١ ــ العهد القديم:

إن ما يعرف اليوم باسم الكتاب المقدس ينقسم إلى قسمين أساسيين هما: العهد القديم وهو الكتاب المقدس ليهود، والعهد الجديد ويتضمن الأناجيل وأعمال الرسل وهو خاص بالنصارى، لكن المسيحيين يأخذون بالقسمين معاً، إنطلاقاً من قاعدة أن المسيح عليه السَّلام لم يأتِ لينقض ناموس موسى عليه السَّلام بل ليكمله.

يتكون «العهد القديم» من ثلاثة أقسام رئيسية هي:

(أ) **التوراة**: وأصل الكلمة عبري ومعناها الهداية والإرشاد، والتوراة تسمى عندهم أيضاً الناموس، وهي بمفهومهم منزَّلة على موسى عليه السَّلام من ربِّه.

وتتكون التوراة من خمسة أسفار هي: سفر التكوين، وهو في

خمسين إصحاحاً. سفر الخروج وهو في أربعين إصحاحاً. سفر اللاويين ويقال له كذلك سفر الأحبار، وهو في سبع وعشرين إصحاحاً. سفر العدد، وهو في ست وثلاثين إصحاحاً. سفر التثنية أو سفر تثنية الاشتراع، وهو في أربع وثلاثين إصحاحاً.

(ب) **الأنبياء**: وهي أسفار منسوبة لأنبياء بني إسرائيل جاءت في مراحل زمنية مختلفة وترتيبها في الكتاب المقدس لم يكن على أساس التسلسل التاريخي وهي:

١ ـ **أسفار الأنبياء الأولين**: سفر يشوع، سفر القضاة، سفر صموئيل الأول، سفر صموئيل الثاني، سفر الملوك الأول، سفر الملوك الثاني.

٢ ـ **أسفار الأنبياء الكبار المتأخرين**: سفر إشعيا، سفر أرميا، سفر حزقيال.

٣ ـ **أسفار الأنبياء الصغار من المتأخرين**: سفر هوشع، سفر يوئيل، سفر عاموس، سفر عوبديا، سفر يونان، سفر ميخا، سفر ناحوم، سفر حبقوق، سفر صفنيا، سفر حجّاي، سفر زكريا، سفر ملاخي.

(ج) **الكتابات**: وتتضمن، سفر المزامير، سفر الأمثال، سفر الجامعة، سفر نشيد الإنشاد، سفر المراثي أو مراثي أرميا، سفر أستير، سفر دانيال، سفر نحميا، سفر عزرا، سفر أخبار الأيام الأول، سفر أخبار الأيام الثاني.

إن العهد القديم بأقسامه الثلاثة: التوراة وأسفار الأنبياء والكتابات يمثّل النص الشرعي الذي قبلته كل فرق يهود وعلمائهم ولم يختلفوا حوله، وقد جعلوا منه جملة كتابهم المقدس.

نصوص العهد القديم «تسمى عندهم بأسماء أهمها وأشهرها (التناخ)، ويكتبونها بالعبرية (ت، ن، ك) وهي حروف اختصار من الألفاظ: توراة، نبيئيم (الأنبياء)، كتوبيم (الكتب)، وهي، كما عرفنا، الأجزاء الثلاثة الكبيرة التي يتألف منها العهد القديم. ومن الأسماء المستعملة عندهم لتحديد هذا الكتاب (المِقْرِ)، أي النص المقروء، لأنهم مطالبون بقراءته في عباداتهم وللرجوع إلى الأحكام الشرعية التي تنظم حياتهم.

وهناك اسم ثالث، له عندهم صفة علمية خاصة، هو (المِسُورَةْ) أو (المِسُورتْ) ويعنون بذلك النص المقدس المروي عن الأسلاف رواية متواترة ارتضتها أجيال العلماء ورفضت ما عداها»[1].

إن العودة إلى نصوص العهد القديم، بأقسامه الثلاثة، تبيِّن أنه ليس من صياغة مؤلف واحد. فالأسلوب فيه متفاوت، كما أن لهجة الخطاب مختلفة من سفر إلى آخر، لذلك نرى بأن الإضافة إلى الكتاب المقدس استمرت حتى زمن عزرا، في حوالي القرن الخامس قبل الميلاد؛ أي أن العهد القديم مع الشريعة الموسوية يؤرخ لأنبياء اليهودية على مدى ما يقارب عشرة قرون.

هذا الأمر دفع بعض الدارسين، ومنهم موريس بوكاي إلى القول: «إن العهد القديم مجموعة مؤلفات غير متساوية الطول، ومختلفة النوع، كتبت خلال أكثر من تسعة قرون في لغات عدة أخذاً بالسماع. وكثير من

(١) ظاظا، د. حسن، الفكر الديني الإسرائيلي، منشورات معهد البحوث والدراسات العربية التابع لجامعة الدول العربية، القاهرة، سنة ١٩٧١م، ص ٧٣.

هذه المؤلفات صححت ثم أكملت تبعاً للأحداث أو للضرورات الخاصة على مدى أجيال متباعدة أحياناً بعضها عن بعض.

ومن المعقول أن يكون ازدهار هذا الأدب الثري، قد تمَّ في مطلع عهد الملكية الإسرائيلية[1] في القرن الحادي عشر قبل المسيح... وترجع إلى هذا العصر بدايات الكتابات الأولى... وفي وقت متأخر قليلاً[2]، ولعله في مجرى القرن العاشر قبل الميلاد، كان قد وضع النص اليهودي للأسفار الخمسة التي شكلت، فيما بعد، هيكل الأسفار الخمسة المنسوبة إلى موسى.

وظهر العهد القديم كصرح لأدب الشعب اليهودي من أصوله حتى العصر المسيحي، وقد حُرِّرت الأجزاء التي يتألف منها، وتمت وروجعت، فيما بين القرنين العاشر والأول قبل المسيح»[3].

ما ذهب إليه موريس بوكاي يؤكده «قاموس الكتاب المقدس» الذي جاء فيه كلام شامل عن الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد فيقول: «ويبلغ عدد الكتاب الملهمين[4] الذين كتبوا الكتاب المقدس أربعين كاتباً، وهم من جميع طبقات البشر، بينهم الراعي والصياد

---

(١) إشارة إلى مملكة داود في أورشليم بعد أن انتزعها من اليبوسيين.

(٢) المقصود في وقت متأخر عن عهد موسى عليه السَّلام الذي عاش في القرن الخامس عشر قبل الميلاد.

(٣) بوكاي، د. موريس، التوراة والإنجيل والقرآن والعلوم، ترجمة نخبة من الأساتذة، بيروت، دار الكندي، ط ١، سنة ١٣٩٨هـ ١٩٧٨م، ص ٢٠، ٢١.

(٤) إشارة إلى تعليم الروح القدس لهم وفق المفهوم المسيحي.

وجابي الضرائب والقائد والنبي والسياسي والملك»[1].

لقد أدى تنوع المستوى الثقافي، مع تنوع المواقع الاجتماعية لمن ساهموا في صياغة نصوص الكتاب المقدس إلى تباين نصوصه شكلاً ومضموناً. وقد أورد المساهمون في وضع الموسوعة الفلسطينية، عن هذا الأمر، كلاماً مقبولاً، ومن المفيد أن نذكره لتأييد ما ذهبنا إليه من ضعف وتناقض نصوص العهد القديم. جاء في هذه الموسوعة تحت مادة «التوراة»:

«وتشير الأسفار الأخيرة إلى أمرين:

أولهما: أنه لكل ملك من ملوك يهوذا وإسرائيل سفر خاص به.

وثانيهما: أن الأسفار كانت تكتب في فترة قريبة من الحدث الذي تتناوله مع صياغتها بالقالب الذي أراده لها كاتبها. ولما كان عدد من روايات الأسفار قد انتقل مشافهة، فإن معظم المؤرخين يرجحون تعرضها، خلال جيل أو أكثر، لما تتعرض له عادة الأقوال المنقولة كلها مشافهة. ومن هنا نشأ كثير من التناقض غير المسوَّغ في بعض الأحيان. . . ولهذا يعتقد كثير من المؤرخين أن التوراة المعاصرة ليست التوراة الأصلية، أو أنها، على أفضل تقدير، التوراة مع كثير أو قليل من الإضافات.

تذكر المصادر أن موسى عليه السَّلام كتب هذه الأوامر وسلَّمها إلى اللاويين لحفظها في تابوت العهد[2] في شيلون وأمرهم بقراءتها أمام

---

(١) قاموس الكتاب المقدس، م.س، ص ٧٦٢.

(٢) تابوت العهد: أو تابوت الشهادة هو، كما جاء في سفر الخروج، تابوت من خشب السنط صنعه موسى عليه السَّلام، وفي هذا التابوت وضعت الوصايا =

كل بني إسرائيل بعد سبع سنوات. . . وقام خليفته يشوع بتنفيذ ذلك الأمر، ومن ثم حفظ نسخة التوراة الوحيدة. وأثناء الحرب مع الفلسطينيين اصطحب اليهود توراتهم المحفوظة في تابوت العهد. . . وبنتيجة الحرب استولى عليها الفلسطينيون واحتفظوا بها سبعة أشهر ضاع فيها أي ذكر للتوراة.

ثم وردت أخبار عن استعادة اليهود التابوت الذي فقد مرة أخرى أثناء مصادرة القائد البابلي نبوخذنصر بيت المقدس (٥٨٨ ق.م —

= العشر مكتوبة على لوحين سميا لوحا العهد ومعهما عصا هارون والوعاء الذي يحتوي على المن.

أما عن وصف هذا التابوت فالكلام متروك لما جاء في سفر **الخروج في الإصحاح الخامس والعشرين**: «**يعملون** تابوتاً من خشب السنط يكون طوله ذراعين ونصفاً، وعرضه ذراعاً ونصفاً، وسمكه ذراعاً ونصفاً. وغَشِّهِ بذهب خالص من داخل ومن خارج تغشّيه واصنع عليه إكليلاً من ذهب محيطاً به. وصُغ له أربع حلقات من ذهب واجعلها على أربع قوائمه حلقتين من جانبه الواحد وحلقتين من جانبه الآخر. واصنع عتلتين من خشب السنط وغشّهما بذهب. وأدخل العتلتين في الحلق على جانبي التابوت ليحمل بهما. وتبقى العتلتان في الحلق لا تزولان منها. واجعل في التابوت الشهادة التي أعطيكها. واصنع غشاء من ذهب خالص يكون طوله ذراعين ونصفاً في عرض ذراع ونصف. واصنع كَرُوبَيْن من ذهب صَنْعة طَرْقٍ تصنعهما على طرفي الغشاء. تصنع كَرُوباً على هذا الطرف وكروباً على ذاك الطرف من الغشاء تصنع الكروبين على طرفيه. ويكون الكروبان باسطين أجنحتهما إلى فوق مظلّلين بأجنحتهما على الغشاء وواجههما الواحد إلى الآخر وإلى الغشاء تكون أوجههما. وتجعل الغشاء على التابوت من فوق، وفي التابوت تضع الشهادة التي أعطيكها. فأجتمع بك هناك وأخاطبك من فوق الغشاء من بين الكروبين اللذين على تابوت الشهادة بجميع ما أوصيك به إلى بني إسرائيل.»

٥٨٦ ق.م)، وبعد خراب بيت المقدس. . . خرج المدعو عزرا يزعم عثوره على الأسفار التي تمسك بها اليهود»[1].

عزرا اسم عبري معناه «عون» وهذا اختصار لاسم عزريا. وعزرا الكاتب، كما يسمونه، عاصر نحميا وكان لهما دور بارز في العودة إلى القدس بعد السبي وذلك بعد مجيء الحكم الفارسي.

جاء في «قاموس الكتاب المقدس» بأن عزرا الكاتب «كان موظفاً في بلاط امبراطور الفرس أرتحشتا ومستشاراً له في شؤون الطائفة اليهودية، التي كانت تقيم فيما بين النهرين منذ أيام السبي. وقد تمكن عزرا، لثقة الامبراطور به وتلبية لطلباته، من أن ينال عفو الأمبراطور عن اليهود وسماحه لهم بالعودة إلى القدس. . . ولما كان عزرا قد عاصر نحميا في القدس نستطيع أن نؤرخ عودته إلى القدس حوالي سنة ٤٥٨ قبل الميلاد أو ٤٥٧ قبل الميلاد؛ أي في حكم أرتحشتا الأول، أو سنة ٣٩٨ ق.م؛ أي في حكم أرتحشتا الثاني.

. . . وقد قام عزرا، بمجرد عودته إلى القدس، بقراءة ناموس موسى أمام اليهود، وتفسيره لهم بمعونة اللاويين، مستعيناً أيضاً بالترجمة الآرامية للأصل العبراني.

. . . وهذا ما جعل اليهود المتأخرين عنه عدة أعصر يعتبرونه زعيماً لهم، بعد موسى الذي أخرجهم من مصر، ويعتبرونه أيضاً مؤسس نظم اليهودية المتأخرة (أي التي وضعت في القرن الخامس قبل الميلاد)، ولقبوه بالكاهن وبالكاتب، لأنه كان دارساً مجتهداً، ومفسراً

---

(١) الموسوعة الفلسطينية، م ١، م.س، ص ٥٨٩، ٥٩٠.

عميقاً لوصايا الله وعهده لبني إسرائيل. . . وكان عزرا أول كاتب بهذا المعنى. وقد تعاقب بعده الكتّاب. . . وقد أوصى عزرا بتنقية الدم اليهودي وفصل الزيجات المختلطة وإبعاد الزوجات الأجنبيات مع أبنائهن»[1].

يوجد في أسفار العهد القديم سفر باسم «سفر عَزْرا» يؤرخ للوقائع التي كانت في عصره، ويبين كيف نجح عزرا بانتزاع قرار من أرتحششتا للعودة بيهود بعد سبيهم إلى القدس أورشليم.

إن عزرا هذا هو ابن سَرَايا بن عزريا بن صلقيا وهو من سلالة هارون، أما قصته مع ملك الفرس فقد صورها العهد القديم على الشكل التالي: «صعد عزرا هذا من بابل، وهو كاتب ماهر في توراة موسى التي أعطاها الرب إلّه إسرائيل، فبذل له الملك كل ما طلبه بحسب يد الرب إلّهه عليه. وصعد معه قوم من بني إسرائيل ومن الكهنة واللاويين والمغنين والبوابين والنيتينيين إلى أورشليم في السنة السابعة لأرتحششتا الملك. . . لأن عزرا وجّه قلبه لالتماس شريعة الرب وليعمل ويعلّم في إسرائيل بالرسوم والأحكام»[2].

ويبدو أن عزرا، وفق ما جاء في السفر الذي يحمل اسمه، أراد ممارسة فكرة الاستعلاء اليهودية بأعلى معانيها، كما يبدو أنه كان مشبعاً بالعنصرية التي تقوم على فكرة الشعب المختار؛ من هذا المنطلق أراد تنقية جنس بني إسرائيل، كما زعم، وعدّ إثماً زواج اليهودي من الشعوب من غير بني إسرائيل، وقد جاء على لسانه:

---

(١) قاموس الكتاب المقدس، م.س، ، ص ٦٢١.

(٢) سفر عزرا، الإصحاح ٧، الآيات ٦،٧،١٠ .

«فقام عزرا الكاهن وقال لهم إنكم قد تعديتم واتخذتم نساءً غريبات لتزيدوا في إثم إسرائيل، فاعترفوا الآن للرب إله آبائكم واعملوا مرضاته واعتزلوا أمم الأرض والنساء الغريبات»(١).

وإذا كان عزرا الكاتب قد قام بجمع العهد القديم وتحريره، ولذلك سُمِّي بالكاتب كما قلنا، لكن عزرا الذي عاش في القرن الخامس قبل الميلاد لم تصل مخطوطات للعهد القديم ترجع إلى عصره.

إن أقدم مخطوطات العهد القديم، وغالبها بالعبرية، هي تلك التي اكتشفت في أواسط القرن العشرين للميلاد في وادي قمران قرب البحر الميت، وبعض هذه المخطوطات يرجع تاريخها ـ كما أكد الخبراء ـ إلى القرن الثالث قبل الميلاد.

ما هي مكتشفات وادي قمران؟ وما قصتها؟

«خلاصة قصة لفائف البحر الميت هي أن أحد الرعاة الرُّحَّل، واسمه محمد الديب، فقد أحد خرافه فأخذ يبحث عنه في الشقوق والمغاور، وكان ذلك في ربيع عام ١٩٥٤م، فوجد في إحداها، بدل خروفه، أحد أهم اكتشافات القرن العشرين، فقد اكتشف مجموعة كبيرة من الطوامير واللفائف العريقة في القدم، وقد عرفت فيما بعد باسم لفائف البحر الميت.

... وبعد ذلك ببضعة سنوات، عام ١٩٥٢م، اكتشف أحد الرعاة مغارة أخرى على مسافة مئة متر من المغارة الأولى كانت هي

---

(١) سفر عزرا، الإصحاح ١٠، آية ١٠، ١١.

الأخرى مليئة باللفائف. . . فأخضعت المنطقة كلها، على مساحة ثمانية كيلومترات، لعملية تمشيط وبحث دقيقتين، فاكتشف المنقبون، هذه المرة، مغارة ثالثة فيها لفائف نحاسية نقشت عليها نصوص بأحرف عربية مربعة، أي يعود عهدها إلى عشرين قرناً مضت على الأقل، وكان ذلك في شهر آذار ١٩٥٢م.

حصيلة المكتشفات كانت بضع عشرة لفافة شبه كاملة ومعها أجزاء من أكثر من ستمائة كتاب مختلف تشكل كل كتب العهد القديم، وبنسخ متعددة من كل منها، وكل أسفار التوراة باستثناء سفر أستير»[١].

إن لفائف البحر الميت، كما سلف القول، تعود إلى حوالي القرن الثالث قبل الميلاد لكن قبل اكتشاف لفائف وادي قمران، فالواقع هو أن أقدم مخطوطات العهد القديم في اللغة العبرية ترجع إلى القرن العاشر الميلادي. ويقول «قاموس الكتاب المقدس» بأن هذه المخطوطة كانت موجودة في حلب لمدة طويلة، واليوم لا يعرف مكانها، ولكن المخطوطة الثانية ــ أيضاً حسب «قاموس الكتاب المقدس» ــ موجودة في لينينجراد.

أما بالنسبة لطباعة العهد القديم فقد كانت بالعبرانية وذلك «سنة ١٤٨٨م في سوتشيو في دوقية ميلانوا. ثم طبع ثانية عام ١٤٩٤م في بريسشيا، وهذه هي النسخة التي استعملها لوثيروس للقيام بترجمته الألمانية المشهورة»[٢].

وبالنسبة لنقل العهد القديم إلى اللغة العربية، فإن ذلك لم يتم،

---

(١) ديب، سهيل، التوراة بين الوثنية والتوحيد، بيروت، دار النفائس، ط ١، سنة ١٤٠١هـ ــ ١٩٨١م، ص ٨٥، ٨٦.

(٢) قاموس الكتاب المقدس، م.س، ص ٧٦٣.

وما حصل كان بعد انتشار الفتح الإسلامي ـ العربي. ويقول سهيل ديب: «أول ترجمة إلى العربية جرت بعد انتشار الإسلام في العصر العباسي الأول... وقد قامت الحاجة إلى هذه الترجمة العربية إلى توسع الإسلام واللغة العربية حتى ضما الكثير من الشعوب التي تدين باليهودية والمسيحية؛ فقد قام عالم يهودي اسمه «سعدية بن يوسف» وقد عاش بين العامين (٨٩٢ ـ ٩٤٢) للميلاد بترجمة العهد القديم إلى العربية ولكن بأحرف عبرية، ثم قام بعده عدد من أعيان يهود بإكمال مشروع النقل إلى العربية»[1].

العهد القديم استقرت أحواله ما خلا الاختلافات بين الترجمات، وهو موجود الآن في لغات عديدة منها العربية، ويهود كلهم، بجميع فرقهم، يأخذون به ولا يوجد بينهم من يرفضه أو يطعن به.

٢ ـ التلمود:

كلمة عبرية معناها «التعليم»، ويقال له: التلموذ، مشتقة من التلمذة. وإذا كانت كتابة «العهد القديم» قد استغرقت عدة قرون، وكان قد ساهم في كتابته عدد كبير من يهود من مختلف فئات الشعب، والعهد القديم كانت له كتابة نهائية على يد عزرا، في القرن الخامس قبل الميلاد، مع الاعتقاد عندهم أن شطر العهد القديم المسمى بالتوراة، والمكون من أسفار خمسة، هو في وحي منزل على موسى عليه السَّلام وهو شريعة مكتوبة في الأصل.

لكن حكاية التلمود تختلف، فالتلمود تأخرت كتابته عن العهد

---

(١) ديب، سهيل، م.س، ص ٢٦.

القديم ما يزيد عن سبعة قرون، لأن كتابته كانت بين القرن الثاني والخامس بعد الميلاد.

ما هو التلمود عندهم؟ التلمود، عندهم ـ حسب زعمهم ـ، شريعة شفوية أعطيت لموسى عليه السَّلام على طور سيناء «ثم تداولها هارون وأليعازر ويشوع وسلموها للأنبياء، ثم انتقلت عن الأنبياء إلى أعضاء المجمع العظيم[1] وخلفائهم حتى القرن الثاني بعد المسيح»[2].

إن حاخامات يهود اختلقوا قوانين وتشريعات لأتباعهم سواء في مجامعهم، أو عبر مزاعم قال بها بعضهم، لكن لإعطائها القداسة نسبوها لموسى عليه السَّلام علماً أن الاطلاع عليها والتعرف على مضمون التلمود يدحضان هذا الزعم لأن في طياته حوادث ومواقف من أمور لم تكن زمن موسى عليه السَّلام، وأبرزها الموقف السلبي من السيد المسيح عليه السَّلام ومن الكنيسة بشكل عام.

لذلك نستطيع القول: إن التلمود «اختلقه الحاخامات بحجة تنظيم الحياة والمعاملات الداخلية لليهود لزيادة تماسكهم وتسلطهم على المجتمع... وقد ابتدع حكماء اليهود... قوانين أخرى مروية عن موسى، غير تلك المدونة في التوراة، وسموها بالقانون الشفهي... وكان الحاخامات يتناقلونها سراً من جيل إلى جيل. وبعد التمرد اليهودي الفاشل على اليونانيين سنة ١٣٥م، بقيادة باركوخبا، بدأ اليهود يجمعون هذه القوانين السِّرية في كتاب التلمود خشية ضياعها.

---

(١) المجمع العظيم عند يهود هو «السنهدرين» وهو مجمع السبعين حبراً الذي كان يقود حياة يهود الدينية وغير الدينية.

(٢) قاموس الكتاب المقدس، م.س، ص ٢٢٢.

وكـان القانـون المكتوب المـوسوي والشفهي الحـاخامي يعتبـران مماثلين في الأحكام عند اليهود الذين لم يفرقوا بينهما»[1].

بعـد تدميـر بيت عبادة يهـود عام ٧٠م. على يـد القائـد الرومـاني «تيطس»، وفشل حـركتهم في التمرد، بقيـادة باركـوخبا اليهـودي، شعر يهـود أن شوكتهم قـد ضعفت، وكلامنـا هنا كله عن يهـود أورشليم حتى لا يظنن أحد أن يهوداً أمة دون الناس، وهذا أمـر أوضحناه سـابقاً، شعـر يهود إذن بالضعف فكان أن بحثوا عمّـا يشدهم إلى بعضهم ولا يتم ذلـك إلا بحـالة من التعصب والاستعـلاء على الآخرين، ومن العـداء لكل من عداهم.

والتلمود، في هذا الباب، كان العمـاد الأساسي، فمن المعلوم أن التلمـود قد سـاهم «في إيجاد ظـاهـرة التعصب، وفي حين يحـرِّم إيـذاء اليهودي يعتبر سرقة أموال غير اليهود واغتصاب أملاكهم وأعراضهم حقـاً لليهودي وتقرباً من الله.

ويشمل التلمود القديم طعناً في المسيحية والمسيح عليـه السَّلام. ومما يذكره عن المسيح أنه كان يهودياً مرتداً كافراً وتعاليمه كفر صريـح، وأن أمه حملت به سفاحاً من جندي يدعى بندارا.

وقد تنبه أحبـار اليهود، الـذين اجتمعوا عـام ١٦٣١م في بولـونيا، لخطورة الموقف فقاموا بحذف الكلمات والعبـارات التي تنال من السيـد المسيـح عليه السَّـلام والمسيحية، وتـركوا مكـانها فـراغاً، واتفقـوا على

---

(١) خان، ظفر الإسلام، التلمود تاريخه وتعاليمه، بيـروت، دار النفائس، ط ٤، سنة ١٤٠١هـ ــ ١٩٨١م، ص ٣٠

تلقينها مشافهة لتلاميذ مدارسهم الدينية»[1].

وإذا كان يهود متفقين بكل فرقهم على تقديس أسفار التوراة الخمسة المنسوبة لموسى عليه السَّلام، إلا أن بعضهم ـ خاصة فرقة الفريسيين الذين سيأتي الحديث عنهم لاحقاً إن شاء الله ـ وجد أن هناك ضرورة لتفاصيل وشروحات يحتاجونها في تنظيم حياتهم تكون أساساً لقانون المعاملات عندهم، لهذا كان التلمود وهو قسمان: «المشنا» و «الجمارا».

لقد «احتاجت محتويات التوراة إلى تفسير يوضحها ويتمُّها، فكان تفسيرها هو المشناة (Mishnaho)، ثم احتاجت المشناة أيضاً إلى ما يفسرها فكان تفسيرها هو الجمارة (Gemara) وقد تطلق كلمة التلمود، أو التلموذ، على الجمارة وحدها، أو على المشناة والجمارة معاً، فالتوراة إذن أساس المشناة، والمشناة أساس الجمارة»[2].

التلمود بقسميه يوازي بقداسته العهد القديم بما في ذلك أسفار التوراة الخمسة التي يقولون بأنها وحي أنزل على موسى مكتوباً. في بدء الأمر كان بين يهود من رفض التلمود ولم يقبل بغير العهد القديم، لكن، ومنذ زمن بعيد، تبدل الأمر وبات عندهم كتابان مقدسان هما: العهد القديم والتلمود.

إن «أول طائفة رفضت قبول التلمود وتعاليمه كوحي إلٰهي هي طائفة الصدوقيين (Sadduecces) ـ (سيأتي الحديث عنها إن شاء الله مع

---

(١) الموسوعة الفلسطينية، م ١، م.س، ، ص ٥٧٢.

(٢) التونسي، محمد خليفة، مقدمة الكتاب: كنوز التلمود، المحرر س. ليفي، القاهرة، دار التراث، ط ٢، سنة ١٤١١هـ ـ ١٩٩١م، ص ١١ .

الفرق اليهودية) ـ . وقد ظهر هؤلاء في القرن الثالث قبل الميلاد، وكان التنافس بينهم وبين طائفة الفريسيين (Phareesis) شديداً، وقد استمر ذلك التنافس حتى كانت الغلبة للفريسيين واندثر الصدوقيون بعد عام ٧٠م»[1]. هذا ما يحملنا على القول بأنه إن لم يكن كل يهود لكن الغالبية الساحقة منهم ـ كما ذكرنا سابقاً ـ تقدس العهد القديم والتلمود معاً.

التلمود عند يهود تلمودان:

١ ـ التلمود المقدسي أو الأورشليمي، وقد كتبه حاخامو بيت المقدس، وتمّ ذلك بين القرن الثالث والخامس الميلادي.

٢ ـ التلمود البابلي الذي كتب في القرن الخامس الميلادي، وهذا التلمود وضعه حاخام من «سوره» قرب بغداد يدعو رب آشي، أو راشي.

التلمود قسمان ـ كما ذكرنا ـ: المشنا وترجح المراجع أنها كانت بالعبرية، والجمارا، التي هي تفسير لها، وكانت بالآرامية. لكن ما هي المشنا التي هي أساس الجمارا، وبالتالي هي القسم الأهم في التلمود؟.

المِشْنا أو المِشْنة «هي مجموعة من الشرائع اليهودية المروية على الألسنة، والتي كان اليهود ـ وما يزالون ـ يعتبرونها مصدراً من مصادر التشريع يأتي في المقام الثاني بعد التوراة مباشرة، ويظنون أنها ترتفع

(١) البار، د. محمد علي، المسيح المنتظر وتعاليم التلمود، جدة، الدار السعودية للنشر، ط ١، سنة ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م، ص ٥٠.

هي أيضا إلى سيدنا موسى، . . . ولذلك يسمون المِشْنة، التوراة الشفوية.

ومن المؤكد أن المحاولات الأولى لرواية المشنة وتقييدها لم تبدأ إلا بعد السبي البابلي في القرن الخامس قبل الميلاد بزمن طويل.

وقد ظلّت هذه الشرائع تروى بلا رقيب ولا حسيب، وتسودها الفوضى الكاملة إلى القرن الأول قبل المسيح»[1].

«المِشْنا» هي المتن التلمودي الأساسي، وهي واحدة في التلمودين الأورشليمي والبابلي، والاختلاف بينهما يأتي من الشروحات المسماة جمارة ـ كما سنبيّن لاحقاً ـ لذلك من المفيد معرفة أقسام وموضوعات هذه المشنا التي صنفوها بمرتبة تشريعية لا تقل عن التوراة، والفارق الوحيد بزعمهم هو أن التوراة نزلت على موسى مكتوبة وأطلقت عليها تسمية «ناموس» وأودعت تابوت العهد، بينما «المشنا» شريعة منزلة لكن موسى عليه السَّلام حملها ونقلها شفوياً وبقيت كذلك يتناقلها الحاخامون إلى حين تمَّ تدوينها، فما هي موضوعات المشنة إذن؟[2].

المِشْنة تنقسم إلى ستة أقسام وتدعى هذه الأقسام سيداريم (Sedarim)؛ أي أنظمة ورسائل، والأقسام الستة ينقسم كل منها إلى أقسام فرعية وتدعى عندهم ماسيختوش (Massechteleh) أي أنسجة أو أبواب، وأبواب المشنة ٦٣ باباً، وكل باب من المشنة ينقسم إلى فصول

---

(١) ظاظا، د. حسن، م.س، ص ٧٨.

(٢) يراجع: ظاظا، د. حسن، م.س، ص ٨٠. والتونسي، محمد خليفة، م.س، ص ٢٠، ٢١.

وأجزاء صغيرة تسمى بيراكيم (Perakim) وهذه الفصول مجموعها ٥٢٥ فصلاً وكل فصل مقسم إلى عدة فقرات.

إن ثمة اختلافاً يقوم في هذا التوزيع من جهة التوازن والضبط، فلا عدد الأبواب في كل رسالة متساوٍ ولا مجموع الفصول في كل باب متساوٍ مع الآخر. سنعرض أقسام المشنة الستة في لمحة موجزة عن كل قسم ليكون بين يدي من يرغب في الاطلاع. على مضامين أقسام المشنة التي هي:

١ ـ زراعيم (Zeraim)؛ أي نظام الحبوب أو البذور، أو الإنتاج الزراعي، وفي هذا القسم توجد كافة القوانين الدينية المتعلقة بالزراعة والأرض، وكيفية تنظيم هذا الأمر، وهذا القسم يتضمن كذلك تحديداً للصلوات المفروضة مع الأدعية والبركات.

٢ ـ مُوعِد (Moed)؛ أو الأوقات، وهذا القسم يحتوي على الأمور الدينية المتعلقة بالأعياد وبالسبت وبالأعياد والأيام المقدسة. وفيه الاحتفالات والطقوس التي يجب القيام بها في كل موسم.

٣ ـ ناشيم (Nashim)؛ أي النساء، وهو يتضمن النظم الخاصة بالزواج والطلاق والخيانة الزوجية، وواجبات وحقوق كل من الرجل والمرأة، مضافاً إلى ذلك موضوعات الإرث والوصية والنذور والأيمان.

٤ ـ نِزِيقين (Nezikin)؛ أي الأضرار، وهو قسم يتحدث عن قانون العقوبات، ويتحدث عن القوانين المدنية والجنائية، ويبيّن المحظورات، وفيه مسألة القصاص والعقوبات والتعويضات. وفي الباب الرابع من هذا القسم، الذي يحوي أحد عشر فصلاً، جاء الحديث عن مجمع السبعين اليهودي المسمّى السنهدرين (Senhedrin) الذي

يشكل، إضافة لصفته الدينية التشريعية، المحكمة العليا عند يهود، وقد حوى هذا الباب نظام هذه المحكمة وسلطاتها وكيفية ممارسة صلاحياتها.

٥ ـ قُدَاشيم (Kodashim)؛ أي المقدسات، وهذا القسم يحوي كل التشريعات الخاصة بالقرابين، وما يقدم للهيكل من ذبائح أو ثمار أو عجائن، وأنواعها وشروطها ومراسم تقديمها، ومدى ارتباطها بعقيدتهم وشريعتهم.

٦ ـ طَهاروت (Taharoth)؛ الطهارات، وهذا القسم فيه أحكام الطهارة للأجسام والملابس والأوعية وأثاث المنازل، والتمييز بين ما هو طاهر وما هو نجس، عطفاً على ما هو حلال أو حرام من الأطعمة والمشروبات.

«الجمارة» وهي القسم الثاني من التلمود ليست واحدة كما هي الحال بالنسبة للمشنا ومرد ذلك إلى أنه بعد التثبيت شبه النهائي لنص المشنا بدأ أحبار يهود بشرحها وتفصيلها، لكن بحكم الواقع السكاني لهم المتمثل في اختلاف السكن بين مجموعتين منهما، مجموعة تعيش في القدس «أورشليم»، وأخرى بعد السبي في أيام «نبوخذنصر» تعيش في العراق.

بسبب اختلاف البيئتين بات هناك نوعان من «الجمارا»؛ أو نوعان من شرح المشنا. والسؤال كيف حصل ذلك؟ المعلوم من تاريخهم أنه في كل من بلاد العراق، حيث بابل، وفي فلسطين بدأت «أحبار اليهود تشرح نص المشنا، شرحاً مستفيضاً، تودع في خلاله كل ما أرادت الاحتفاظ به وإشاعته بين اليهود من شرائع وفتاوى وحكايات وأساطير

وخـرافـات وتفـريعـات واستـطرادات في كـل علم وفن دون تخـطيط أو ترتيب.

وهذا الشرح للمشنة كان يتم بلهجة يهودية بعيدة عن اللغة العبريـة القديمة التي كتب بهـا العهد القـديم، وعن تلك اللغة العبـرية الـوسطى المتـطورة التي كتبت بها المشنـا. كان شـرّاح المشنا، الـذين هم أحبـار التلمود، يشرحونها بلهجة آرامية يهودية قريبة من اللغة السريـانية، وكـان شـرحهم يسمى: **جمارا بمعنى التكملة**، كمـا أنهم يسمـون في تـاريـخ الفكـر اليهـودي بـاسم خـاص بهم هـو: أمـورائيم، ومعنـاهـا في لغتهم **المتكلمـون**، أي الذين انـطلقت ألسنتهم في المـدارس المختلفـة... شارحين ومعلقين وباسطين، في ما يشبه المحاضرات الشفوية»[1].

لأن القضية شروحـات وتعليقات كـان لا بد من مـراعاة كـل بيئة. فبيئة الشراح في أورشليم، وهي عندهم مقدسـة، غير الجـو الذي يعيش فيه يهود بابل بعد سبيهم، مع الإشارة إلى أن البابليين كـانوا أكثـر قدرة، فأحبارهم في الغالب كانـوا مع السبي هـذا الأمر ـ كمـا أشرنـا سابقـاً ـ جعل هناك شـرحان مختلفـان للمشنا، وهـذا ما أدى إلى ظهـور تلمودين لا تلموداً واحداً.

لكن يبـدو أن التلمـود البـابلي كـان أعـظم مكـانـة عنـدهم، لأن موضوعاته مكتملة، ويقـول الدكتـور حسن ظاظـا عن هذا المـوضوع في كتابة القيّم «الفكر الديني الإسرائيلي»: «وإذا كان التلمود البابلي يغـطي بشرحه كل نص المشنا، فإن التلمود الأورشليمي ظل ناقصاً لا يشرح إلا

---

(١) ظاظا، د. حسن، م.س، ص ٩٦.

بعض المشنا فقط. ثم إن أحبار اليهود في بابل كانوا أيضاً يحظون بثقة أرسخ من ناحية التبحر في الفكر اليهودي مما كان يحظى به شراح فلسطين، بحيث بقي التلمود البابلي بعد ذلك يتمتع بتقدير أعظم في أعين اليهود من التلمود الغربي الأورشليمي»[١].

التلمود بفعل الجمارا، التي مكنت اليهود من التمادي في بسط وشرح ما يريدون، حمل في طياته كل معاني الاستعلاء والعنصرية، والعداء بشكل خاص للمسيحية التي وجدوا فيها إلغاءً لهم، خاصة، إذا علمنا أن التلمود انتهت كتابته في القرن الخامس بعد الميلاد؛ أي بعد أن كان حكام الأمبراطورية البيزنطية قد اعتنقوا المسيحية، وبعد أن اتسع انتشارها بفعل ذلك.

لقد حمل التلمود إذن عداء للمسيحية، واتهامات وافتراءات على المسيح وأمه مريم عليهما السلام، وحمل كل معاني الرفض للمسيحية. إضافة للعداء الذي حمله لكل الناس من غير يهود الذين يطلقون عليهم «الغوييم»، ويعدونهم أشبه بحيوانات على هيئة بشر أوجدهم الرب ليكونوا مسخرين لشعب الله المختار.

لهذا كله كان التلمود مصدر متاعب وإشكالات ليهود في أوروبا طوال القرون الوسطى رغم حذفهم بعض العبارات والنصوص.

والمعلوم أن التلمود هوجم بشدة «باعتباره أهم مصدر للتعاليم اليهودية التي أدت إلى مقاومة اليهود للسلطة والدين المسيحي، سراً وعلانية. . . ، وحيث كان العهد القديم ــ المكتوب بالعبرية ــ مقدساً

(١) ظاظا، د. حسن، م. س، ص ٩٧.

لـدى المسيحيين أيضاً، فكـل غضبهم كان مـوجهاً إلى التلمـود باعتبـاره مصدر الشر الكامن لليهود.

وقـد حمل الملوك والبـاباوات حمـلات شديـدة ضد التلمـود منـذ القرن الثالث عشر»[1].

إن التلمــود بمـا حــواه من مـزاعم وافتــراءات ـ خـاصــة ضـد المسيحيـة ـ كان سببـاً لمتاعب ليهـود في عموم أوروبـا، فأوروبـا ذات الأغلبيـة المسيحية لا يمكن أن تقبـل بمـا ورد من تلفيقـات يهـوديـة في التلمود.

يـذكر ظفـر الإسلام خـان في كتابـه «التلمود تـاريخـه وتعـاليمـه» المعلومات التالية عن هذا الأمـر؛ مفاد هـذه المعلومات أن نسـخ التلمود أحرقت لأول مرة في فـرنسا سنـة ١٢٤٤م في باريس. وصـدرت الأوامر بـإتلاف نسـخ التلمود في فـرنسا في عهـد لويس في سنـة ١٢٦٦م حتى ١٢٧٠ م، كما حدث ذلك في إنكلترا أيضاً سنة ١٢٩٠م حين أمر الملك بـطرد يهود عن البـلاد. . . وفي سنة ١٥٦٥م أصـدر البابـا بيوس الـرابع أمراً: أنه يجب حرمان التلمود حتى من اسمه.

وقـد قام البـابـا جـريجـوري الثـالث عشـر (١٥٧٥م ـ ١٥٨٠م) بحملات جديـدة ضد التلمـود. وهاجم مجلس المـدينة في بـولندا عـام ١٨٤٠م التلمود بأنه مصدر احتقار اليهودية للدين المسيحي.

هـذه المقـاومـة للتلمـود من قبـل الكنيسـة في أوروبـا حـدَّت من انتشـاره، وحملت يهود على إخفـائه و «بسبب القـدر الـذي كـان ينتـظر

(١) خان، ظفر الإسلام، م.س، ص ٤٠.

التلمود في كل مكان لم يبق منه إلا عدة مخطوطات قديمة، منها نسخة ميونيخ لتلمود بابل التي كتبت سنة ١٣٦٩م، وتوجد نسخة أخرى في فلورنتين يرجع وقتها لسنة ١١٧٥م. أما تلمود أورشليم، فيوجد مخطوط قديم له في ليدن «هولندا»، وتوجد مخطوطات أخرى ناقصة في متاحف عديدة في مختلف البلدان»[1].

مهما يكن من أمر فإن التلمود اليوم يشكل عند يهود كتاباً مقدساً يحوي نظام معاملاتهم، ويعبر عن عنصريتهم، وعدائهم للمسيحية وللشعوب جميعاً، وبذلك يكون عندهم، في الحقيقة والواقع، كتابان مقدسان لا كتاب واحد إنهما: العهد القديم ـ والتلمود.

٣ ـ بروتوكولات حكماء صهيون:

ليس كتاب البروتوكولات مقدساً عند يهود، ولا هو في مكانة العهد القديم والتلمود، ولكن درج الباحثون والكتّاب. على إدراجه بين الكتب التي يعتمدها يهود مصدراً لسلوكهم، ومستودعاً لمخططاتهم.

ظهر كتاب البروتوكولات في أوائل هذا القرن العشرين للميلاد، وقد يكون من صنع أواخر القرن التاسع عشر. ففي تلك الفترة بدأت تتبلور في أوروبا الفكرة الصهيونية.

إن بروتوكولات حكماء صهيون، وعددها أربع وعشرون، ليست على مستوى واحد من الصياغة وترابط الأفكار، ولكنها تتضمن نزعات عنصرية، ورؤوس موضوعات مخططات ومكائد تصب في مجرى الحركة الصهيونية، وفي ميدان خدمة توجهاتها.

---

(١) خان، ظفر الإسلام، م. س، ص ٤٨، ٤٩.

وإذا كانت قراءة هذه البروتـوكولات مفيـدة ليتعرف القـارىء على منهج التفكير العنصري والتخريبي عند يهود اليـوم المنخرطين في حـركة صهيونية لها مشروعهـا السياسي، لكن قـراءتها لا يصـح أن تحملنا على تصديق ما ورد فيها، أو التصرف وكأن هذه المكائد يمكنهم تنفيذها.

والمطلع على كتاب «الأمير» لمكيافيللي، وهـو قمة في الانتهـازية والاستغلال واتباع الأهواء، كما أنه في الكتب الأولى في توجيه السياسـة الاستعمـاريـة في أوروبـا، يجـد هـذا المـطلع أن كثيـراً من أفكـار البروتوكولات مقتبسة من مكياڤيللي.

تحوم الشبهات حول مصداقية وصحة هذه البروتوكولات، ويـدور سؤال: هل هي فعلاً من وضع حكماء صهيون؟!...

من الشبهات التي طرحت حـول عدم صحـة نسبة البـروتوكـولات ليهود، ما جاء به مراسل جريدة «التـايمس» اللندنيـة في إستانبـول الذي «أعلن في عام ١٩٢١م أن الوثيقة مزوَّرة من أولها إلى آخرهـا، فقد عثـر على أصلهـا في كتاب فـرنسي جاء بـه مهاجـر روسي اشتـراه من ضـابط سابق في الأوخرانا (الشرطة السياسية القيصرية)، وكان الكتاب المذكـور يحمـل مكـان النشـر في جنيف وتـاريخـه ١٥/١٠/١٨٦٤م، ونفـذ من الأسـواق... وتضمن هجومـاً مستتراً على حكم نـابليون الثـالث بشكل ٢٥ حواراً بين مونتسكيو ومكياڤيللي، وعنوان الكتاب: حوار في الجحيم بين مكياڤيللي ومونتسكيو؛ أو سياسة مكياڤيللي في القرن التاسـع عشر، بقلم معـاصر. وأدى نشـر الكتاب إلى سجن المؤلف المحـامي مـوريس جـولي، ووجـدت نسخـة منـه في المتحف البـريـطاني، ولـدى مقـابلة الكتابين تبيَّن أن بروتـوكولات حكمـاء صهيون لم تتـأثر فقط بـالمطبـوع

الفرنسي، وإنما تضمنت اقتباسات منه بالنص تقريباً»[1].

وجدتُ من المفيد أن أذكر، في هذا السياق من الكتاب، بعض فقرات من البروتوكولات، وذلك ليتعرف القارىء على مستوى الحقد والتخريب عند يهود، هذا إذا صح أنه من صنعهم، وإذا كان تعبيراً عن واقع العنصرية الأوروبية في القرن التاسع، فالمنظمة الصهيونية ولدت في رحم هذا النمط من التفكير، وبهذه الطريقة تكون البروتوكولات على علاقة ما مع المشروع الصهيوني.

العمل السياسي لا رابط له مع خلق أو قاعدة أو ذمة، فكل شيء مباح من أجل الهدف. وهذا المذهب المكيافيلي جاء حوله في البروتوكول الأول ما يلي:

«لا علاقة للسياسة بالأخلاق قط، وإن الحكومة التي تسير بالأخلاق ليست حكومة رجال خبرة سياسية، وبالتالي فإنها ليست مكينة في مقاعدها. إن الذي يريد أن يحكم عليه أن يعتمد على الخداع والمكر، وإن الاستقامة والصراحة، اللتين هما فضيلتين شعبيتين، تصبحان نقيصتين في السياسة، لأنهما أشد فتكاً في الكيان الحكومي من أقوى الأعداء... إن حقنا يكمن في قوتنا... إن صاحب الحق هو الذي يملك القوة الكافية لتدمير كل المؤسسات، وكل نظام قائم»[2].

القوة فلسفة عند يهود، وكذلك سادت في أوروبا في القرن التاسع عشر خاصة في ألمانيا، فالقوة كانت، وما زالت، مطلبهم الدائم لكي

---

(١) الموسوعة الفلسطينية، م ١، م.س، ص ٣٨٢.

(٢) بروتوكولات حكماء صهيون، ترجمة وتقديم د. إحسان حقّي، بيروت، دار النفائس، ط ١، سنة ١٤٠٨هـ ــ ١٩٨٨م، ص ٣٤.

يتحكموا بما يريدونه. ويضيفون إلى فلسفتهم هذه استباحة كافة حرمات الكَوييم؛ أي غير يهود بنظرهم، يقولون في البروتوكول الحادي عشر: «إن الكَوييم أشبه بقطيع من الخراف ونحن الذئاب، ولا يخفى عليكم ما يحصل حينما تدخل الذئاب الحظائر»(١).

لا يكتفون بافتراس غير يهود إن تمكنوا، وإنما يعملون كذلك على نشر الفساد بين غير يهود وبذلك يتمكنون منهم. جاء في البروتوكول الأول: «إن الكَوييم مخبولون باستعمال الكحول، وشبانهم ينزلقون نحو البلادة الفكرية بسبب استغراقهم في الدراسات الكلاسيكية، وبسبب السيئات التي اقتيدوا إليها على يد عملائنا من معلمات وخدم ومربيات في بيوت الأغنياء، وعلى أيدي الموظفين وغيرهم، وبالتالي على أيدي نسائنا في مجال لهو الكَوييم»(٢).

إن يهود يستغلون كافة الوسائل، ويستبيحون كل شيء من أجل تحقيق ما يريدون، وفي ذلك تأسيس أو وضع اليد على منظمات تخدم مصالحهم، من هذا القبيل جاء في البروتوكولات أن الماسونية من صنعهم أصلاً.

وفي البروتوكول الحادي عشر نقرأ التناقضات، ونتعرف على الأساليب التي يعتمدونها لنشر مفاهيمهم ونفوذهم، يقولون: «إننا فعلنا ذلك لكي نحصل، بطرق ملتوية، على ما لم يستطع شعبنا المشتت الحصول عليه بالطرق المستقيمة. ولهذا فإننا قد أوجدنا الماسونية

(١) بروتوكولات، م.س، ص ٧٥.
(٢) بروتوكولات، م.س، ص ٣٦.

السريّة لهذه البهائم من الكَوييم الذين لا يعرفون غاياتها ولا يشكون بها. لقد جذبناهم إلى منظماتنا العديدة الظاهرة، أي المحافل الماسونية، لكي نصرف عنهم أبناء دينهم»[1].

ولا يخفي يهود ـ إن صحت نسبتها لهم ـ عداءهم للكنيسة بل يجهرون به، ويحددون هدفهم بالقضاء عليها ووراثتها، وقد جاء في البروتوكول السابع عشر: «سوف نحصر الإكليريكية والإكليريكيين في حدود ضيّقة. بحيث يكون لنفوذهم نتائج خلاف ما هم عليه اليوم. وحينما يأتي الوقت للقضاء على الفاتيكان فسوف تنقضّ الشعوب التي تقودها الأيدي غير المرئية، على هذا القصر، وحينذاك نتدخل نحن بحجة أننا نريد منع سفك دماء كثيرة، بينما تكون الحقيقة لكي ندخل إلى قلب المكان الذي لن نتركه قبل أن نكون قد دمَّرنا أخلاقياً هذه السلطة، وسوف يكون ملك إسرائيل رئيس الكنيسة العالمية»[2].

هذا قليل مما جاء في البروتوكولات مصوِّراً حقيقة النفس اليهودية التي لا تحمل غير الفساد، القارىء للبروتوكولات سيجد ما يصرحون به عن أنهم سيسعون لزرع الفتن والشقاق، وعن أنهم سيعملون على مسك الصحافة لأنها موقع تأثير أساسي على الرأي العام، ويقولون بأنهم سيفسدون المناهج التربوية للكَوييم، كما يزعمون، إلى آخر ما هنالك من أشكال العداء والعنصرية والمكر.

وسواء أكانت البروتوكولات من وضعهم أم لا، فهي بالنتيجة

---

(١) بروتوكولات، م. س، ص ٧٦.

(٢) بروتوكولات، م. س، ص ١٠٢.

صـورة للتفكير الـذي نشـأت في ظـلالـه المنـظمـة الصهيـونيـة، لا بـل المنظمات الصهيونية عامة. وإذا كان يهود لا يقـدسون البـروتوكـولات، وهي ليست عندهم في مكانـة تقرب ولـو قليلاً، من العهـد القديم أو من «التلمـود»، لكنهـا ليست عـديمـة القيمـة عنـدهم، والمتتبـع لأدبيـات الصهيـونية يـرى بأن البـروتوكـولات حلقة في سيـاق هذه الأدبيـات التي لا تفكر بغير ما حملته البروتوكولات.

●●●

الفصل الخامس

الـفِـرق اليـهوديـة

يتوزع أتباع اليهودية، منذ زمن بعيد، في فرق تختلف في نظرتها إلى العهد القديم، ومنها ما تختلف حول قبول «الشريعة الشفوية» التي تمَّ تدوينها في «التلمود» ومن موضوعات الخلاف عندهم كذلك موضوع القيامة، وموضوع اليوم الآخر.

وفرق يهود ليست على مستوى واحد من حيث الانتشار والأتباع، فمن هذه الفرق من بقي أتباعها بالمئات، ومنها من اتبعها الملايين، ومنها من انقرضت لأن أتباعها دخلوا في أتباع شريعة سماوية أخرى، ومنها من ذاب أتباعها في فرق يهودية أخرى. والفرق اليهودية التي ظهرت على المسرح هي:

١ ــ الربانيون أو الناموسيون:

ويقال لهم «ربانيم»... وهي كلمة عبرية معناها الحبر أو الإمام، وهؤلاء هم الفئة المتفقهة في الشريعة الموسوية، وهذه الفئة تتميَّز بالتشدد، وبالتصرف باستعلاء على كل من سوى يهود؛ أي أن هذه الفرقة كانت أكثر فرق يهود عنصرية وتعصباً، لذلك كان يتبعها عدد غير قليل منهم عندما كانوا يمرون بظروف صعبة.

وهناك كاتب مغربي كان يهودياً باسم شموائيل بن يهوذا بن آبوان، وقد اهتدى إلى الإسلام فأطلق على نفسه اسم السموأل بن يحيى المغربي يقول عن هذه الفرقة: «وهم أكثر عدداً، وهم شيعة الحخاميم الفقهاء، المفترين على الله عزَّ وجلَّ، الذين يزعمون أن الله كان يخاطبهم في كل مسألة بالصوت، الذي أسموه (بث قول).

وهذه الطائفة أشد اليهود عداوة لغيرهم من الأمم، لأنّ أولئك الفقهاء المفترين على الله تعالى، قد أوهموهم أن المأكولات والمشروبات، إنما تحِلّ للناس بأن يستعملوا فيها هذا العلم الذي نسبوه إلى موسى وإلى الله تعالى، وأن سائر الأمم لا يعرفون هذا، وأنهم إنما شرّفهم الله بهذا، وأمثاله من الترهات، التي أفسدوا بها عقولهم، فصار أحدهم ينظر إلى من ليس من مثله، كما ينظر إلى بعض الحيوانات التي لا عقل لها، وينظر إلى المآكل التي تأكلها الأمم، كما ينظر الرجل العاقل إلى القَذِرَة»[1].

إن هذا التعريف، المأخوذ من السموأل بن يحيى المغربي، يبيِّن لنا جانباً هاماً من الفكر اليهودي الذي يحلُّ كل شيء ليهود لمجرد أنهم يعتنقون اليهودية، والذي يتعامل مع من هم غير يهود باستعلاء لدرجة، كما لاحظنا، يصنفهم كالحيوانات، وأن ما يأكلونه ما داموا لم يقرأوا عليه من الشريعة الموسوية التي لا يعرفونها فهو قذر.

والناموسيون، أو الربانيون، هم المتضلّعون في ناموس موسى

---

(١) المغربي، السموأل بن يحيى، إفحام اليهود، تقديم وتحقيق الدكتور محمد عبد الله الشرقاوي، القاهرة، دار الهداية، ط ١، سنة ١٤٠٦هـ ــ ١٩٨٦م، ص ١٧٤.

والمختصون في شرحه وتعليمه في المدارس والمجامع، ولقد اضطررتهم مهنتهم «إلى الانزواء والاختفاء في غرف الدرس بعيداً عن عيون الناس، ولكنهم عادوا ونظموا أنفسهم، فيما بعد، في هيئة ثابتة تتوارث هذه المهنة، وأصبح لهم المقام الكبير في عصر المسيح، وكانوا يلقبونهم حيناً بالكتبة وحيناً بالناموسيين، والمعلم منهم كان يدعى حبراً (Rabbi) . . . ولقب ناموسيين، أو ربِّيين، في الناموس يظهر حقيقة مقام تلك الهيئة أكثر مما يظهره لقب كتبة.

وهكذا كانت هذه الفئة الرسمية الَّتي تعلِّم الدين وتشرح التقاليد وتجلس في كرسي القضاء في المجامع الإقليمية والدينية.

. . . كان الناموسيون أصحاب القول الفصل في أمور الحياة، كالزواج والطلاق، وشؤون العبادة كالصيام والصلاة وحفظ السبت، إلى أبسط الأمور التي تعرض لليهودي في حياته»[1].

وبذلك تكون فرقة الناموسيين، أو الربانيين، هي القيادة الدينية عند يهود أو من يعرفون باسم الأحبار أو الحاخامات.

٢ ـ القرّاؤون:

إن تسمية هذه الفرقة مشتقة من المصدر العبري «قَرُأْ»، ومعناه قرأ أو دعا، وهؤلاء لم يؤمنوا بغير «المُقرا» أي الكتاب الَّذي يُقرأ فيه، وهو عندهم التوراة، لذلك رفضت هذه الفرقة كل أدبيات يهود بما فيها التلمود، ولم يتقيدوا بغير ما جاء في التوراة.

هذه الفرقة أخذت موقفاً سلبياً ومعارضاً لأحبار يهود الَّذين خلطوا

---

(١) المغربي، السموأل بن يحيى، م.س، ص ١٧١.

الأمور فأضافوا من عندهم، وذلك ليس من الرب ولا حتى من موسى عليه السَّلام.

هذه الفرقة «عرفت أن أولئك السلف، الَّذين ألفوا المشْنا والتلمود، وهم فقهاء اليهود، قوم كذابون على الله تعالى وعلى موسى النبي عليه السَّلام، أصحاب حماقات ورفاعات هائلة.

فلما نظر اليهود القراؤون، وهم أصحاب عانان بن داود بنيامين، إلى هذه المحاولات الشنيعة، إلى هذا الافتراء الفاحش، والكذب البارد، انفصلوا بأنفسهم عن الفقهاء، وعن كل من يقول بمقالتهم، وكذبوهم في كل ما افتروا على الله تعالى»[1].

إن هؤلاء القرائين، نظراً لرفضهم مجاراة يهود في تحريفاتهم، كانوا أكثر الناس استعداداً للفهم، ومن ثمَّ الانتقال إلى الخط الصحيح. ويقول السموأل بن يحيى المغربي عن القرائين: «أكثرهم خرج إلى دين الإسلام أولاً فأولاً، إلى أن لم يبق منهم إلا نفر يسير، لأنهم أقرب إلى الاستعداد لقبول الإسلام؛ لسلامتهم من محاولات فقهاء الربانيين أصحاب الافتراء الزائد، الَّذين شددوا على جماعتهم الأصر. فقد تبيَّن... أن الحاخاميم هم الَّذين شددوا على هذه الطائفة دينهم»[2].

٣ ـ الإسينيُّون:

أبرز الوثائق عن تاريخ وأفكار هذه الفرقة هي لفائف، أو مخطوطات، البحر الميت التي عثر عليها في وادي قمران مع منتصف هذا القرن العشرين الميلادي.

---

(١) المغربي، السموأل بن يحيى، ص ١٧٥.

(٢) تراجع: الموسوعة الفلسطينية، م ١، م.س، ص ٢٥٥.

وتُبيِّن المصادر أن هذه الفرقة ظهرت بين يهود فلسطين في القرن الثاني قبل الميلاد، ومن الأسماء التي تطلق على أتباعها غير «الإسينيين» تسمية «المغتسلين» أو «الأطهار».

هذه الفرقة كان لها قوانينها الخاصة، ويبدو أن قوانينها وأفكارها كانت تحمل ثمة مؤثرات من أفكار دخيلة من البراهمة والبوذيين والفيثاغوريين اليونان.

إن الإسينيين كانوا خاضعين لقوانين صارمة في نظام جماعتهم التي عرفت شكلاً من أشكال الاشتراكية، حيث كانوا يحظرون الملكية الفردية، ويحضون على الزهد، وعلى عدم الزواج، وإقامتهم كانت غالباً في مناطق نائية بعيداً عن المدن، وغالباً كانوا يقطنون المغاور والكهوف، ومعاشهم كان من الرعي والزراعة، وكانوا يمارسون كل صباح عادة الاغتسال بمياه الينابيع، لذلك ترجح بعض المصادر أن يوحنا المعمدان كان مقرباً من الأسينيين الذين كانوا ينتظرون المسيح ليقيم على الأرض ملكوت السماء.

مع مجيء المسيح عليه السَّلام آمن الإسينيون به وبدعوته لكنهم بعده رفضوا أن يعترفوا بدعوة بولس للمسيحية، وظلوا متمسكين بالنواميس اليهودية، أو الأصح الموسوية، وبعد تدمير الهيكل عرفوا باسم المسيحيين اليهود أو الأبيونيين.

٤ ـ السامريون[١]:

فرقة يهودية قليلة الأتباع لكنها لم تزل حية حتى يومنا هذا. تقوم عقيدتهم على الإقرار بوحدانية الله، وبنبوءة موسى عليه السَّلام،

(١) يراجع: سوسة، د. أحمد، م.س، ، ص ٣٦٠ وما بعدها.

والإيمان بيوم الدينونة، ويتميزون عن باقي الفرق بـأنهم لا يعترفـون بغير الأسفار الخمسة الأولى من العهـد القديم، وهـذه الأسفار هي المنسـوبة لموسى، والَّتي تعرف مجتمعة باسم «التوراة».

أمـا تسميتهم فيبدو أنهـا ترجـع للسامـرة عاصمـة مملكـة الشمـال إسرائيل، واليوم يقيمون في نابلس (شكيم القديمة) والسامـريون لـديهم حتّى اليوم نسخة قديمة من التوراة مخطوطة على ورق يعود تـأريخها إلى ما قبل المسيح ما زالت معتمدة عندهم.

عـاشت هذه الفـرقة منعـزلة عن بـاقي يهود بعـد العودة من السبي البابلي، وحرمت على أتباعها التـزاوج مع بـاقي يهود أو حتّى الاختـلاط بهم.

السـامريـون أقـل عـدداً من أي فـرقـة على وجـه الأرض، إذ يبلغ مجموع أتباعها حوالي ٣٥٠ شخصـاً بين ذكور وإنـاث. ويقول الـدكتور أحمـد سوسـة إنه قبـل حوالي أربعـة قرون لم يكن قـد بقي منهم سـوى خمسة ذكور وخمسة إناث وجمعهم الكاهن صدفة بعد أن كـانوا مفـرقين في دمشق وغزة ومصر في نابلس.

يعتقـد السامـريون أنهم الصفـوة المتبقية من بني إسـرائيل، وأنهم حماة التوراة، والعاملون بما جاءت به، وأنهم المختارون من الله، وأنهم البقية من أولاد يعقوب عليـه السَّلام المعـروف باسم آخـر هو إسـرائيل. والسامريون يفترقون عن سائر يهود في قضيـة أساسيـة هي موقـع الهيكل واتجـاه قبلة الصلاة، وقـد تحدث الشهـرستاني عن الأمـر فقـال: «وقبلة السامرة جبـل يُقال لـ غريـزيم بين بيت المقدس ونـابلس. قالـوا إن الله تعـالى أمر داود أن يبني بيت المقـدس بجبل نـابلس، وهو الـطور الـذي

كلّم الله عليه موسى عليه السَّلام، فتحول داود إلى إيلياء وبنى البيت فيها، وخالف الأمر فظلم. والسامرة توجهوا إلى تلك القبلة دون سائر اليهود، ولغتهم غير لغة اليهود، وزعموا أن التوراة كانت بلسانهم وهي قريبة من العبرانية فنقلت إلى السريانية»[١].

٥ ـ الصدوقيون (Sadducéens):

الصدوقيون فرقة من أبرز فرقتين متخاصمتين عند يهود، والثانية هي فرقة الفريسيين. والمسألة الأبرز التي كانت مثار خلاف بينهما هي النظرة لمصدر الشريعة «ففي حين يتمسك الصدوقيون بالتوراة المكتوبة، وفي نظرهم الكتبة وحدهم هم مفسرو الشريعة الشرعيون، فإن الفريسيين يعترفون كذلك بالحجة ذاتها للتوراة الشفوية، أي بتقليد الأجداد»[٢].

والمسألة الأخرى التي اختلفت عليها الفرقتان هي اليوم الآخر حيث كان الصدوقيون ينكرون القيامة والبعث.

يعود نسب هذه الفرقة إلى «صديق بن أخيطوب سليل أليعازر بن هارون، وكان أحد الكاهنين العظيمين في عهد الملك داود. ثم انفرد بالكهنوت الأعظم في عهد الملك سليمان، وقد احتفظت سلالته بعهد الكهنوت حتى عصر المكابيين.

. . . وكان الصدوقيون طبقة أرستقراطية عريضة الثراء عظيمة

---

(١) معجم اللاهوت الكتابي، م.س، ، ص ٤٤٤.
(٢) شنودة، زكي، المجتمع اليهودي، القاهرة، مكتبة الخانجي، بدون تاريخ، ص ٣٠٤.

النفوذ، ولذلك كانت حريصة على استرضاء السلطة الحاكمة... وبهذا أصبح نفوذهم السياسي يفوق نفوذهم الديني»[1].. ومنهم من يطلق على مؤسس الفرقة صادوق.

هذه الفئة التي كان معظم أعضائها من ذوي الثقافة والثراء مما وفّر لهم مكانة مرموقة يمكن تلخيص أبرز طروحاتها وما تمتاز به بما يلي:

أ ـ أنها لا تؤمن بقيامة الأموات من القبور.

ب ـ ولا تؤمن بالحياة الأبدية للبشر بأفرادهم وأشخاصهم كما كانوا في الدنيا.

جـ ـ وترفض بالتالي الثواب والعقاب في الآخرة.

د ـ تنكر وجود الملائكة والشياطين.

هـ ـ تنكر القضاء والقدر وما كتب للإنسان أو عليه في اللوح المحفوظ.

و ـ تقول تبعاً لذلك، بأن الإنسان خالق أفعال نفسه، حرٌّ التصرف، وبذلك فهو مسؤول.

ز ـ تؤمن بقدسية العهد القديم ولا تؤمن بالتلمود ونحوه»[2].

أنكر الصدوقيون كل أدبيات العهد القديم، ما عدا الأسفار الخمسة أو التوراة، كما أنهم أنكروا القيامة والحساب، وقالوا بأن الحياة مادية والعلاقات فيها تقوم على هذا الأساس.

---

(١) الشهرستاني، م.س، ص ٢١٩.

(٢) ظاظا، د. حسن، م.س، ص ٢٥٩.

يرجح زكي شنوده أن يكون الصدوقيون قد تأثروا ببعض المذاهب الداعية إلى المادية واللذة المادية الحسية، ومنها الأبيقورية ـ مدرسة فلسفية يونانية مؤسسها الفيلسوف أبيقور ـ، ويقول: لقد «اعتنقوا مذهب الأبيقوريين الذي يدعو إلى انتهاب كل ما في من لذائذ جسدية ومتعات مادية، لأنه لا حياة في اعتقادهم إلا في هذه الدنيا، فلا آخرة ولا نعيم ولا جحيم ولا ثواب ولا عقاب، ومن ثمّ أنكر الصدوقيون القيامة بعد الموت، قائلين إن النفس تموت مع الجسد»[1].

ولقد ورد في العهد الجديد نصوص تظهر كيف كان الصدوقيون ينكرون القيامة ويسخرون من الإقرار بذلك، فلقد ورد في إنجيل متى النص التالي: «وفي ذلك اليوم دنا إليه **الصدوقيون الذين يقولون بعدم القيامة** وسألوه، قائلين: يا معلم قال موسى إن مات أحد وليس له ولد فليتزوج أخوه امرأته ويقم نسلاً لأخيه. وكان عندنا سبعة إخوة تزوج أحدهم امرأة ومات ولم يكن له نسل فترك امرأته لأخيه، وكذلك الثاني والثالث إلى السابع. وفي آخر الكل ماتت المرأة. ففي القيامة لمن من السبعة تكون المرأة لأن الجميع اتخذوها»[2].

هذا النص يوضح كيف كان يتعامل الصدوقيون مع المسيح عليه السلام، وكيف أنهم عاندوا ولم يؤمنوا باليوم الآخر وبعد ذلك جعل الأمر مثار سخرية.

ومن النصوص التي تؤكد عدم إيمانهم باليوم الآخر ما جاء في أعمال الرسل في العهد الجديد وفيه: «فإن الصدوقيين يقولون بعدم

---

(١) شنودة، زكي، م.س، ص ٣٠٥.

(٢) إنجيل متى، الإصحاح ٢٢، آية ٢٣ ـ ٢٨.

القيامة وعدم الملاك والروح والفريسيين يقرون بذلك كله»[1].

ونصوص الأناجيل، التي تتحدث عما تعرض له السيد المسيح عليه السَّلام من مكائد ومكر، تبيِّن بأن الفريسيين لم يفعلوا ذلك إلا نادراً، وأمر الأذى يسند غالباً للصدوقيين.

والصدوقيون الذين كان لهم نفوذهم الديني والسياسي في مملكة داود ومملكة سليمان وحتى المكابيين، كان لهم نفوذهم قبل ذلك وبعده، وفي المجمع الأعلى للطائفة اليهودية الذي نشأ تحت اسم السنهدريم أي مجلس السبعين وهذا السنهدريم الذي شكل أعلى سلطة دينية وسياسية، كان للصدوقيين فيه عشرون عضواً من أصل عدد أعضائه السبعين.

٦ ــ الفريسيون (Pharisiens):

الكلمة أصلها بالعبرية «فروشيم» ومعناها المنفصلين أو المفروزين والمنعزلين. وجاء في «قاموس الكتاب المقدس» أن الكلمة من أصل آرامي.

كان الفريسيون «يلقبون أنفسهم، فيما بينهم، بلقب حسيديم؛ أي الأتقياء. وكذلك حبرييم؛ أي الرفقاء والزملاء، ولعلها أصل استعمال العرب لكلمة الأحبار؛ أي علماء اليهود، ومفردها في اللغة العربية حبر»[2].

يشكل الفريسيون فرقة متميِّزة في المجتمع اليهودي لها خصائصها

---

(١) أعمال الرسل، الإصحاح ٢٣، آية ٨.

(٢) ظاظا، د. حسن، م.س، ص ٢٠٣.

ولذلك كانت مفروزة أو منعزلة، وكان همها الدفاع عن الدين ضد المؤثرات الوثنية الدخيلة، التي عاشت زمن المكابيين، وفي إطار هذه المواجهة نقرأ النص التالي: «حينئذ اجتمعت إليهم جماعة الحسيديين ذوي البأس في إسرائيل وكل من انتدب للشريعة. وانضم إليهم جميع الذين فروا من الشر فازدادوا بهم تعزيزاً، وألفوا جيشاً وأوقعوا بالخطأة في غضبهم وبرجال النفاق في خنقِهم وفرّ الباقون إلى الأمم طالبين النجاة. ثم جال متتيا[1] وأصحابه وهدموا المذابح. وختنوا كل من وجدوه في تخوم إسرائيل من الأولاد الغُلْف وتشدّدوا»[2].

كان الفريسيون من العالمين بالشريعة الموسوية المتعمقين بها لذلك نصبوا أنفسهم للدفاع عنها «وقد كانوا يعتقدون أنهم ممتازون بما لهم من دراية بأحكام الشريعة اليهودية وتفسير غوامضها... وأضفوا على أنفسهم كثيراً من ألقاب الكرامة والتبجيل والعلم، فكانوا يسمون أنفسهم السوفريم؛ أي الفقهاء، والشابمهيريم؛ أي المفكرين الأحرار، والتالميدي شكابيم؛ أي تلاميذ الحكماء»[3].

وقف الفريسيون عند ظاهر النصوص، وبالغوا في طلب احترام الناحية الشكلية، ولم يعيروا اهتماماً كبيراً للجانب الروحي.

كان الفريسيون، خلافاً للصدوقيين، لا يقتصرون على أسفار موسى بل يقبلون التقاليد التي تناقلها الخلف عن السلف، ويعتبرون

---

(١) متتيا، أحد الكهنة البارزين في عهد المكابيين وأصله من بني يوياريبس واسمه متتيا بن يوحنا بن سمعان.

(٢) سفر المكابيين الأول، الإصحاح ٢، الآيات ٤٢، ٤٦.

(٣) شنودة، زكي، م.س، ص ٢٩٨.

الأوامر والأحكام المتوارثة معادلة للشريعة المكتوبة، ولا بدّ من الرجوع إليها والاستعانة بها لتفسير التوراة»[1].

ويخالف الفريسيون الصدوقيين في مسألة أخرى أساسية ألا وهي الإيمان بيوم الدينونة، وبالبعث والحساب، لذلك لم يتناقض الفريسيون مع دعوة المسيح عليه السلام في زمانه بمقدار ما تناقض معه وواجهه الصدوقيون.

يمكن أن نجمل عقيدة الفريسيين كما جاء في «قاموس الكتاب المقدس» بما يلي: «من حيث العقيدة فكانوا يقولون بالقدر ويجمعون بينه وبين إرادة الإنسان الحرة. وكانوا يؤمنون بخلود النفس وقيامة الجسد، ووجود الأرواح، ومكافأة الإنسان ومعاقبته في الآخرة بحسب صلاح حياته الأرضية أو فسادها، غير أنهم حصروا الصلاح في طاعة الناموس، فجاءت ديانتهم ظاهرية وليست قلبية داخلية. وقالوا بوجود تقليد سماعي عن موسى عليه السَّلام تناقله الخلف عن السلف، وزعموا أنه معادل لشريعته المكتوبة سلطة وأهم منها»[2].

إن عقيدة الفريسيين ـ كما ذكرنا سابقاً ـ لم تجعلهم في تناقض مع السيد المسيح عليه السَّلام، كما كانت حال الصدوقيين، وبولس نفسه، الَّذي أصبح داعية للمسيحية أساسياً هو فريسي أصلاً.

لقد ورد ذكر الفريسيين مرة واحدة في إنجيل يوحنا، وقد اتخذوا موقفاً سلبياً من السيد المسيح، وذلك عند مؤامرة يهوذا الإسخريوطي. جاء عن هذا الموضوع:

---

(١) الموسوعة الفلسطينية، م ٣، م.س، ص ٤٥٤.

(٢) قاموس الكتاب المقدس، م.س، ص ٦٧٤.

«وكان يهوذا، الذي أسلمه، يعرف الموضع لأن يسوع كان يجتمع هناك مع تلاميذه كثيراً. فأخذ يهوذا الفرقة وخدّاماً من عند رؤساء الكهنة والفريسيين، وجاء إلى هناك بمصابيح ومشاعل وأسلحة. فخرج يسوع وهو عارف بجميع ما يأتي عليه وقال لهم من تطلبون»[١].

ما خلا هذا النص نقرأ في الأناجيل أن بعض الفريسيين كانت تملكهم رغبة للدخول في المسيحية والتقرب من السيد المسيح، فلقد جاء في إنجيل لوقا: «وسأله أحد الفريسيين أن يأكل معه فدخل بيت الفريسي واتكأ»[٢].

ويصور الإنجيل الفريسيين، وهم حريصون على السيد المسيح، مدافعون عنه. وقد جاء في إنجيل لوقا: «في ذلك اليوم دنا إليه قوم من الفريسيين وقالوا له: اخرج واذهب من هنا فإن هيرودوس يريد أن يقتلك»[٣].

يبدو الفريسيون وكأنهم الأسينيون، أو قريبون منهم، لذلك كان تعاملهم مع المسيحية بإيجابية نوعاً ما. وفي إطار مواجهة من فسروا الحياة تفسيراً مادياً تأثراً بالأبيقورية وسواها، ومن هؤلاء الصدوقيون، وضع الفريسيون كتاب «أخنوخ» الذي يقدم عرضاً فيه الكثير من الروحانية.

٧ ــ من القبالة إلى الدونمة:

القبالة فرقة يهودية نشأت على أساس أفكار التلمود وبتأثير أفكار

---

(١) إنجيل يوحنا، الإصحاح ١٨، الآيات ٢، ٣، ٤.
(٢) إنجيل لوقا، الإصحاح ٧، الآية ٣٦.
(٣) إنجيل لوقا، الإصحاح ١٣، آية ٣١.

الزرادشتية الفارسية، وعند القباليين بـدأت تأويـلات وتفسيرات للتلمـود على الطريقة الباطنية، وأول مـا نشأت هـذه الجماعـة سميت: «الحكمة المستورة» وبعد ذلك عُرفت بـ «القبالة». والكلمـة أصلها آرامي ومعنـاها القبول، أو تلقي الرواية الشفوية.

وإذا كان القباليون يرجعون أساس نشأتهم إلى الحاخام سمعان بن يوشاي، الذي عاش في القرن الثاني الميلادي، وقصته شبيهـة بكثير من حكـايـات من ادعـوا الكشف أو الإلهـام أو الإشـراق من المفكـرين والفلاسفة كبوذا وزرادشت وديكارت... إلخ، ومما يـروى عنه أنـه بقي متخفياً في المغاور بفلسطين مدة ثلاث عشرة سنـة على أثرهـا كشفت له أسرار السماء والأرض.

نشأت القبالة تحت تأثير أفكار أفلاطونية وفلسفية هندية وفـارسية، لكن القبـالة تقـوم أساسـاً على فكرة الانـتـظار، فجـلُّ همهـا مـوجَّـه إلى اكتشاف المؤثرات الدالة على مجيء «المسيح المنتظر» الـذي يخلص، وفق زعمهم، «شعب الله المختار» من معاناته.

وإذا كـان أكثـر من شخص قـد ادعى أنـه «مسيـح منتـظر» إلا أن «القبالة» لم تتبلور فكرتها إلا مع القرن الثـالث عشر الميـلادي. إن نمط الـدراسات اليهـودية التي تـدور حول التلمـود بتأثيـر أفكار دخيلة ــ كمـا ذكرنا ــ عـرفت حالـة انتشار واسعـة «مما أدى إلى ظهـور مجموعـة أدبية كتبت بلهجـة خاصـة من اللغـة الآراميـة، وقـد جمعت كلهـا في كتـاب مقدس جديد، هو الزوهر، والزوهر كلمـة آرامية معنـاها النـور أو الضياء والتسمية مأخوذة من»[1] العهد القديم حيث جاء في سفـر نبوءة دانيـال:

---

(١) سوسة، د. أحمد، م.س، ص ٤٠٤.

«وكثيرون من الراقدين في تراب الأرض يستيقظون، بعضهم للحياة الأبدية وبعضهم للعار والرّذل الأبدي. ويضيء العقلاء كضياء الجلد والذين جعلوا كثيرين أبراراً كالكواكب إلى الدهر والأبد»[1].

أما واضع الزوهر «فإنه موسى اللبوني (١٢٥٠م ــ ١٣٠٥م) وقد دوَّنه بالآرامية في أسبانيا، غير أن المعروف أن ما احتواه الزوهر من الشعائر الصوفية وما إليها من حكم ترجع إلى زمن الحاخام سمعان بن يوشاي من القرن الثاني الميلادي... وتتصل أسرار الزوهر بالتوراة، وكل كلمة أو حرف من حروفها يحمل باعتقاد القباليين معنى باطنياً... والحياة في عرف الزوهر صراع بين الخير والشر، وكلاهما يخدمان غاية مقدسة، فكل عمل خير وكل صلاة حارة تبعث قوة روحية تؤدي إلى انتصار الخير على الشر، ذلك الذي سوف يظهر بكل جلاء وبهاء مع ظهور المسيح المنتظر»[2].

لقيت القبالة دوراً هاماً في تشكيل العقل اليهودي، بناء على فكرة انتظار ظهور المسيح المخلص للشعب المختار، كما يزعمون، هذا مع العلم أن هذه الفكرة أبرزت في تاريخ اليهودية مدعين بين حين وآخر يزعم كل منهم أنه المسيح الموعود.

نذكر من الأسماء التي جاءت تزعم أن أصحابها «مسيح موعود»؛ ثيوداس الذي أعلن عن نفسه سنة ٤٤م، وبعده باركوخبا الذي قاد ثورة ضد الرومان وقضى على يدهم سنة ١٣٥م.

ومنهم كذلك أبو عيسى إسحق بن يعقوب الأصفهاني «وقيل إن

---

(١) سفر نبوءة دانيال، الإصحاح ١٢، آية ٢، ٣.

(٢) سوسة، د. أحمد، م.س، ص ٤٠٤.

اسمه عوفيد ألوهيم؛ أي عابد الله. كان في زمن المنصور، وابتدأ دعوته في زمن آخر ملوك بني أمية: مروان بن محمد . . . ، فاتبعه بشر كثير من اليهود، وادعوا له آيات ومعجزات، . . . زعم أبو عيسى أنه نبي، وأنه رسول المسيح المنتظر. وزعم أن للمسيح خمسة من الرسل يأتون قبله واحداً بعد واحد، وزعم أن الله تعالى كلّمه، وكلّفه أن يخلّص بني إسرائيل من أيدي الأمم العاصين، والملوك الظالمين»[1].

تُرجح المصادر التاريخية أن فكرة المسيح المخلص قد رافقت الفكر اليهودي بعد السبي، وكانت تطفو على السطح كلما شعرت جماعة منهم بخطر ما يحيط بها، لأن فيها بعثاً لأمل بخلاص ينتظرونه.

وهذه المرة، مع منتصف القرن السابع عشر الميلادي وتحديداً عام ١٦٤٨م، تعرض يهود بولونيا لأنواع من الاضطهاد ولحوادث اعتداء «قيل عنها إنها بشير لليهود بقرب مجيء المسيح. وقد ظهر هذه المرة شاب يهودي يدعى ساباتاي زيوي، من أهل أزمير بتركيا، لم يكن قد تجاوز بعد الثانية والعشرين من عمره، وكان قبالياً متحمساً لتعاليم الزوهر، وادعى أنه المسيح المنتظر»[2].

وبما أن المسيح الموعود عندهم ليس نبياً فحسب، وإنما هو ملك أيضاً، لذلك طلب ساباتاي زيوي من أتباعه أن ينادوا باسمه بدل السلطان العثماني، وبات له أنصار في أزمير وسالونيك وفي فلسطين من خلال متبع له يدعى «ناثان بنيامين».

«ولما توسع نفوذ ساباتاي وازداد سلطانه بين الطائفة اليهودية في

---

(١) الشهرستاني، م.س، ص ٢١٥، ٢١٦.

(٢) سوسة، د. أحمد، م.س، ص ٤٠٨.

تركيا أمر السلطان محمد الرابع، الذي أصبح يخشى اغتصاب ساباتي الحكم، بنقله إلى أدرنة. وعقد السلطان اجتماعاً للتداول في مشكلة ساباتاي وإيجاد حلٍ لها، فاستقر الرأي على تكليف إحدى الشخصيات، ذات النفوذ من اليهود، أن تتولى أمر إقناع ساباتاي وحمله على إعلان إسلامه إنقاذاً له ولأتباعه من الدمار والهلاك. وقد تمَّ ذلك بالفعل، فأعلن ساباتاي إسلامه وسُمِّي محمد أفندي، وأجرى له السلطان راتباً شهرياً.

ولكن ساباتاي، رغم إسلامه، استمرَّ بالادِّعاء خفية بأنه المسيح، **وأخذ يبثُّ تعاليمه الدينية بين طائفة الدونمة في تركيا، وهم اليهود الذين خرجوا من أسبانيا فاعتنقوا الإسلام في الظاهر بينما كانوا يمارسون** طقوسهم في الخفاء ولا يتزاوجون من غير الدونمة.

وكان ساباتاي يدَّعي بأنه يبشر بالدين الإسلامي بين اليهود، ولكن هذه الحيلة لم تجده نفعاً فنفي إلى مدينة دلسيكنو في ألبانيا، وقد توفي فيها سنة ١٦٧٦م»[١]. وبذلك يكون قد توفي عن عمر يناهز الخمسين عاماً لأن ولادته كانت سنة ١٦٢٦م.

يهود الدونمة إذن، أو الدومنة، تسمية تركية أطلقها العارفون من الأتراك «على من يدعون الإيمان ظاهراً والكفر باطناً أو زنادقة، والدونمة أو السباتائية، نسبة إلى ساباتاي أو (سبتاي) زفي الأزميري الأسباني الأصل... وهم جماعة من اليهود الوافدين إلى تركيا من الاضطهاد الأوروبي، آمنت بفكرة زعيمها الذي ادّعى أنه مسيح اليهود المنتظر»[٢].

---

(١) سوسة، د. أحمد، م.س، ص ٤٠٩، ٤١٠.

(٢) الزعبي، الأرقم، م.س، ص ١٧٨.

والكلمة «دونمة» أو «دومنة» «من تركيب تركي عامي، مركبة من دو أي اثنين (فارسية الأصل)، ونمة أو منة بمعنى نوع؛ أي الفرق القائمة على نوعين من الأصول النوع اليهودي والنوع الإسلامي»[1].

فيهود الدونمة هم يهود أظهروا الإسلام، وظلُّوا على عقيدتهم وإيمانهم بيهوديتهم، وذلك ليستروا حقيقة حالهم. وأتباع هذه الفرقة يقيم غالبهم في تركيا حتى يومنا هذا.

وحيث يعيشون في تركيا تراهم «يطلقون على أنفسهم أسماء ضخمة مثل المؤمنين والرفاق والمجاهدين. أما طوائف اليهود الأخرى، وخصوصاً الربانيين، فيسمونهم مينيم؛ أي الكفار. وهم يسترون على الناس كل ما يثبت أنهم يهود، لدرجة أنهم يتسمون بأسماء إسلامية لا يستخدمونها في بيوتهم ولكن في الحياة العامة فقط. وهم شديدو المحافظة على تراث زعيمهم (ساباتاي زيوي) وتعاليمه، ومن أهم هذه التعاليم:

١ ــ الزواج سنة واجبة، وهو غير ممكن إلا بين رجل وامرأة من أبناء الطائفة ذاتها.

٢ ــ تعدد الزوجات محرَّم عليهم.

٣ ــ يستحسن عقد الزواج يوم الاثنين والخميس.

٤ ــ ينعقد الزواج على يد رئيس الطائفة الذي يبارك العروسين سبع مرات، ثمَّ تتمُّ الزَّفَّة باللغة العبرية بالموسيقى والغناء.

---

(١) ظاظا، د. حسن، م.س، ص ٣١٠.

٥ ـ شريعة الختان قائمة عندهم ومفروضة كما عند اليهود»[١].

ودور القبالة، من خلال الدونمة، لم يتوقف عند ساباتاي زيوي وإنما بقي ناشطاً من خلال أسماء كان لها بريقها عند يهود مثل إسرائيل البدولي في بولونيا (١٧٤٠م)، ويعقوب فرانك (١٧٥٥م) و(حاييم صموئيل يعقوب فوك، أو الدكتور فوك، أو دي فوك الذي كان ماسونياً، وقد برز نشاطه في بريطانيا وتوفي ودفن في لندن في نيسان عام ١٧٨٢م[٢].

٨ ـ السنهدريم:

ليس السنهدريم فرقة وإنما هو مجلس أعلى ليهود يقودهم في مختلف الشؤون الدينية وغير الدينية. والسنهدريم «هو الذي يسيطر على حياة اليهود الدينية والمدنية على السواء، وكان يحكم في كل الشؤون المتعلقة بالشريعة الطقسية، والشريعة الجنائية، والشريعة المدنية، كما كان هو المحكمة الاستئنافية العليا للقضايا الهامة التي سبق أن فصلت فيها مجالس المدن والقرى التي كانوا يسمونها المجامع، وكان هو المهيمن على شؤون هيكل أورشليم، وهو الممثل للشعب اليهودي، فكان هو حكومة اليهود التي تملك كل السلطات التشريعية والتنفيذية والقضائية»[٣].

إن السنهدريم لفظ يوناني معناه «المجمع العظيم» وكان يطلق عليه بالعبرية «الكنيست». وفكرة إنشاء مجمع ليهود بدأت مع موسى

---

(١) ظاظا، د. حسن، م.س، ص ٣١١.
(٢) لمزيد من التفصيل يراجع: سوسة، د. أحمد، م.س، ص ٤١٠ وما بعدها.
(٣) شنودة، زكي، م.س، ص ٢٥٤.

عليه السَّلام، كما جاء في التوراة، وهو مجلس السبعين؛ أي المجلس المؤلف من سبعين عضواً.

الأمر ورد لموسى في سفر العدد: «فقال الرب لموسى اجمع لي سبعين رجلاً من شيوخ إسرائيل الذين تعلم أنهم شيوخ الشعب وعرفاؤهم، وخذهم إلى خباء المحضر فيقفوا ثَمَّ معك، فأنزل أنا وأتكلم معك هناك وآخذ من الروح الذي عليك وأحلّه عليهم فيحمّلون معك أثقال الشعب ولا تحمل أنت وحدك. . . فخرج موسى وأخبر الشعب بكلام الرب وجمع سبعين رجلاً من شيوخ الشعب ووقفهم حوالي الخباء»(١).

والمجلس الأعلى الديني لم يكن صنفاً واحداً وإنما «كانت تتمثل في السنهدرين فئتان، الفئة الأولى (سادوسي) وهي الفئة المتمسكة بتعاليم الدين ومهمتها حمل الناس على الزهد والتعبد، والفئة الثانية وتسمى (بيروشيم) وهي التي تدفع الناس إلى ناحية العمل والكسب والإثراء ليصبح الشعب اليهودي ذا قوة مادية»(٢).

وكان يتم تجديد السنهدريم في كل عهد إحياء لسنّة بدأت مع موسى، ومن النصوص التي جاءت تؤكد ذلك ما جاء في نبوءة حزقيال: «وقد وقف أمامها سبعون رجلاً من شيوخ آل إسرائيل، وفي وسطهم يازنيا بن شافان واقفاً، وكل واحد مجمرته بيده وقد صعدت غمامة عطرة من البخور»(٣).

---

(١) سفر العدد، الإصحاح ١١، الآيات ١٦، ١٧، ٢٤.
(٢) سوسة، د. أحمد، م.س، ص ٣٦٠.
(٣) سفر نبوءة حزقيال، الإصحاح ٨، آية ١١.

وكذلك تفيد النصوص أن السنهدريم قد تمَّ تجديده بعد العودة من السبي في بابل حيث التأم فيه من جديد شيوخ بني إسرائيل، ويستفاد ذلك من النص التالي: «تخلُّوا عن عمل بيت الله هذا وليبنِ والي اليهود وشيوخ اليهود بيت الله هذا في مكانه. وقد أُبْرِز أمر منِّي بما تصنعون مع شيوخ اليهود هؤلاء في بناء بيت الله هذا، إنّه من مال الملك من خراج عبر النهر تعطى النفقة معجلة لهؤلاء الرجال لئلا يتعطلوا»[1].

يتضح مما سبق أن يهود لا يفصلون بين القيادة الدينية والسياسية، لا بل القيادة عندهم هي واحدة من خلال المجلس الأعلى أو السنهدريم أو الكنيست التي تقوم على أساس ديني بحت.

● ● ●

---

(١) سفر عزرا، الإصحاح ٦، آية ٧، ٨.

الفصل السادس

عقائد يهود وشريعتهم

إن القراءة المتأنية لحقيقة ما عند يهود، إنطلاقاً من العهد القديم، ومن سائر أدبياتهم، تبيِّن بأن العقيدة والشريعة عندهم غير واضحة، تلفها ثمة ضبابية ولبس، لأن العقيدة والشريعة عندهم مسخَّرتان للأهواء والمصالح السياسية والاقتصادية.

لا يجد يهود حرجاً في التخلي عن أسس العقيدة أو عن موجبات الشريعة وأحكامها إذا وجدوا أن في ذلك مصلحة لهم. هذا الأمر أوصلهم إلى مفاهيم عقيدية غريبة ومستغربة سواء في مسألة التوحيد، أو في موضوع الخالق سبحانه وتعالى عن مفاهيمهم الخاطئة، أو في حق الأنبياء والرسل صلوات الله عليهم، أو في إمضاء أحكام الشريعة.

١ ـ عقيدتهم في الله:

ليس للخالق عندهم في الكتاب المقدس اسماً واحداً بعينه، وإنما ورد له أكثر من اسم، ولكل اسم تفسير مختلف، ومفهوم غير الآخر. فإضافة إلى كلمة رب الكثيرة الاستخدام عندهم ورد في الكتاب المقدس (العهدالقديم) ثلاثة أسماء للخالق هي: أدوناي ـ إيلوهيم ـ يهوه، هذا عدا الاسم العام الذي يستخدمونه مع غيرهم من الشعوب

«إيل». فما مفهومهم لكل واحدة من هذه التسميات؟ :

(أ) إيـل (EL): كلمـة إيل استخـدمت عند الشعـوب المعروفـة بالسامية اصطلاحاً، والتي عاشت في ارض الأمة العربية، ومعناها الإلّه. والكلمة «اسم جنس يدل على الألوهية بصفة عامة، واسم علم يدل على الشخص الوحيد والمحدد الذي هـو الله . . . كان إيـل معروفـاً ومعبوداً، خارج إسرائيل. كاسم جنس، يدلُّ على الألوهية، تقريبـاً في كل العـالم السامي، وكاسم علم، هو اسم إلّه عظيم، يظهـر أنه كـان الإلّه الأعلى، في القسم الغربي من هذه المنطقة، خاصة في فينيقيا وكنعان»[١].

ومما جاء في سيرة يعقوب أنه بنى بيتاً للإلّه سمّاه «بيت إيل». ففي سفر التكوين: «وبنى ثَمَّ مـذبحاً ودعـا الموضـع إلّه بيت إيـل لأنه هنـاك تجلَّى له الله حين هرب من وجه أخيه»[٢]

(ب) إيلوهيم (Elohim)2: الاسم «إيلوهيم» يـدل على صفة الله الخالق العظيم وأنه على علاقة مع جميع الشعوب من يهـود وغير يهـود، أو من يهـود وأمميين، لأن يهـود يـطلقـون على سـواهم اسم «أمميين» أو «غوييم»، من باب التحقيـر لغير يهـود. وقد جـاء في «معجم اللاهوت الكتابي»: «أما إيلوهيم فهـو صيغة جمـع، لا جمع التفخيم ــ فهـذا غير معروف في اللغة العبرية ــ وليس أيضاً أثراً وثنيـاً، إذ أن هذا لا يتفق مـع العقلية الإسرائيلية . . . ولكن من الأرجح أنـه أثر من مـذهب مشترك بين الشعوب السامية، يدرك الجوهر الإلّهي على شكل قوي متعدد»[٣].

---

(١) معجم اللاهوت الكتابـي، م. س، ص ٩١

(٢) سفر التكوين، الإصحاح ٣٥، آية ٧.

(٣) معجم اللاهوت الكتابـي، م.س، ص ٩١.

(ج) يهوه (Yahweh): هذا الاسم يعدُّه يهود خاصاً بهم، ولذلك يقولون بأنه إلّه تابوت العهد، وإلّه الرؤيا والإعلان، وإن الخالق أطلق على نفسه اسم يهوه منذ أعطى عهده لموسى على طور سيناء.

إن الإعلان عن اسم «يهوه» يلقي «الضوء على ما في هذا الاسم من سرٍّ عميق وقوَّة خلاصية معاً. فبينما يتجلَّى «إيل» للآباء في مناطق مألوفة، وتحت صور بسيطة وقريبة من أذهانهم، يكشف يهوه عن ذاته بعكس ذلك، إلى موسى، في إطار وحشة الصحراء، وفي بؤس الغربة...»[1].

ما معنى الاسم «يهوه»؟ «إن الإطار الذي تمَّ فيه إعلان الاسم لموسى يدعو على الأقل إلى تفسير جديد للفظٍ قديم، ويتضمن، على الأرجح، تغييراً مادّيّاً في اللفظ، فهو يقيم صلة بين اسم يهوه وصيغة المتكلم للفعل: هَوَه هَيَهْ إهْيهْ: إني كائن. وعلى قول الله: إني كائن، يجيب الإنسان: هو الكائن»[2].

ولقد جاء في قاموس الكتاب المقدس عن الاسم «يهوه»: «يهوه... هو اسم من أسماء الله... وهذا الاسم يحفظ الدين من خطرين: الأول: من جعل الله فكرةً أو تصوراً، والثاني: من جعله وجوداً يتلاشى فيه كل ما في الوجود. فالاسم يجعل الله إلّهاً معيناً معلناً يستطيع الإنسان أن يدعوه بألفاظ وتعابير واضحة.

إن اسم يهوه يثبت، بجلاء وجلال، وجود الله... ولكن ليس

---

(١) معجم الهوت الكتابي، م.س، ص ٨٧٧.

(٢) معجم اللاهوت الكتابي، م.س، ص ٨٧٨.

بمعنى أنه ساكن، أو مستقر في ذاته، بل بمعنى أنه يعمل ويؤثِّر، فالله موجود ليعمل ويؤثر، ليعلن ذاته، وينفذ إرادته، ويرشد شعبه، كما أرشد الآباء في أيام القدم. . . فاسم يهوه، والحالة هذه، مدلول لمشيئة الله وعمله وأمانته نحو شعبه»(١).

ويأتي النص في العهد القديم ليعلن صراحة بأن الاسم «يهوه» لم يعلن للأنبياء الذين كانوا قبل موسى: «وكلَّم الله موسى وقال له أنا الرب. أنا الذي تجليت لإبراهيم وإسحٰق ويعقوب إلٓهاً قادراً على كل شيء وأما اسمي يهوه فلم أعلنه لهم»(٢).

(د) **أدوناي** (Adonaï): اسم يخاطب به الخالق بوقار وخشوع وهيبة. هذا الاسم يعني الرب: الله رب الأرض كلها، ويأخذ عادة صيغة المبالغة «أدوناي» عندما يوجهه المؤمن إلى الخالق في دعائه.

ولكثرة استخدام الاسم «أدوناي» أصبح اسم علم، أما عن سبب تداوله فقد جاء في «معجم اللاهوت الكتابي»: «وعندما أعرض الشعب، بواجب الاحترام، عن التلفظ باسم يهوه في قراءاته الطقسية، أبدله بلفظ أدوناي، وهذا هو السبب، ولا شك، الذي جعل الترجمة السبعينية تستخدم لفظ (Kyrios) المقابل اليوناني للفظ أدوناي، لترجمة اللفظة يهوه، فلقب (Kyrios)، بذلك، يحمل معنيين: يدلُّ تارة على سيادة يهوه، وتارة على اسم الله الحق الواحد غير القابل للمشاركة»(٣).

ترد بين المبررات اليهودية لاستخدام اسم أدوناي بدل يهوه، أن

---

(١) قاموس الكتاب المقدس، م.س، ص ١٠٧٦.

(٢) سفر الخروج، الإصحاح ٦، آية ٢، ٣.

(٣) معجم اللاهوت الكتابي، م.س، ص ٣٦٨.

يهود ما بين السبي وحتى بزوغ فجر المسيحية، تجنبوا استخدام الاسم «يهوه» حتى لا يكون عرضة للتدنيس من قبل غير يهود.

جاء عن هذا الموضوع: «وفي الفترة ما بين السبي والمسيح، فاق اليهود أجدادهم في مظاهر احترامهم لله، ورغبة منهم في تفادي الانتهاكات الوثنية، قد كفُّوا عن النطق باسم يهوه، واستمروا بكتابة الحروف الأربعة للفظ الرباعي (ي/هـ/و/ه) ولكن تخلَّلت هذه الحروف الحركات الخاصة بكلمة (Adonaï) التي استبدلوا بها اسم يهوه وهي (EØA)، ومعنى الكلمة ربِّي، التي عبَّرت عنها الترجمة السبعينية بلفظ كيريوس (Kyrios)»[1].

إن يهود، الذين يزعمون أنهم شعب الله المختار، مستندين بذلك إلى بعض النصوص الواردة في العهد القديم، ومنها: «لأنك شعب مقدَّس للرب إلّهك، وقد اصطفاك الرب لتكون له شعباً خاصاً على جميع الشعوب التي على وجه الأرض»[2].

رغم ذلك الزعم المقرون بأنهم موحدون على شريعة جاءهم بها موسى عليه السلام، نقرأ عندهم ما يفيد عدم إيمانهم بالتوحيد، وما يدعو الإنسان على الشك بما يقولونه في هذا الباب.

إن عدم توحيدهم لله يظهر من خلال نصوص وردت في العهد القديم منها النصين التاليين: «مزمور لآساف، الله قائم في جماعة الله يقضي على بواطن الآلهة. إلى متى تقضون بالظلم وتحابون وجوه المنافقين».

---

(١) معجم اللاهوت الكتابي، م.س، ص ٨٧٨، ٨٧٩.

(٢) سفر تثنية الاشتراع، الإصحاح ١٤، آية ٢.

«لـداود مزمـور، قال الـرب لسيِّدي اجلس عن يميني حتى أجعـل أعداءك موطئاً لقدميك».

يظهر هنا أن الله كان يمارس القضاء، ومعـه مجموعـة آلهة، وأنـه ـ في النص الثاني ـ قد أجلس عن يمينه من يدين النـاس، وهذا شـرك صريح.

لم يكتفِ يهود بهذا بل تحدثـوا عن الخالق سبحـانه بـأسلوب يثير الاستغـراب فعـلاً، فـالله سبحـانـه وتعـالى، حسب مفهـومهم، يتعب ويستريح ويندم ويتراجع عن أمور قضى بها. . . إلخ، والله عنـدهم يسير في الغمام أو يسكن فيه، وعندما بُني الهيكل فضل الإقامة فيـه، إلى آخرٍ ما هنالـك من أنواع الأوصـاف التي لا تليق بالـذات الإلٓهية، والتي تـدلُّ على أن يهود يعطون لعقيدتهم مفهوماً مادياً حسِّيّاً.

تبدأ مفاهيمهم العقيدية الفاسدة مع النصوص التي جاءت تتحدث عن عملية خلق الكون، فيقولون بأنه، بعـد إتمام عمليـة الخلق، احتاج الرب ليوم سابع للراحة، ووافق عندهم ذلـك يوم السبت. جـاء في سفر التكـوين: «فأكملت السمٰـوات والأرض وجميع جيشهـا. وفـرغ الله في اليوم السابـع من عمله الذي عمـل واستراح في اليـوم السابـع من جميع عمله الذي عمل. وبـارك الله اليوم السـابع وقـدَّسه لأنـه فيه استـراح من جميع عمله الذي خلقه الله ليصنعه»[1].

والـرب عندهم متجسـد يسير في الجنـة ليتفقد آدم وحـواء بعد أن جعلهما فيها، وما أن يسمع آدم وقع قدميـه حتى يختبـىء لأن سوءتـه قد ظهـرت بسبب تناولـه ثمراً من الشجـرة التي نُهي عن الأكل منهـا. جـاء

(١) سفر التكوين، الإصحاح ٢، الآيات ١، ٢، ٣.

عندهم: «فسمعا صوت الرب الإلَه وهو متمشٍ في الجنة عند نسيم النهار فاختبأ آدم وامرأته من وجه الرب الإلَه فيما بين شجر الجنة. فنادى الرب الإلَه آدم قال له أين أنت. قال إني سمعت صوتك في الجنة فخشيت لأني عريان فاختبأت»(١).

إنها حقاً لمقولات تسير السخرية من عقيدة تصل في الهرطقة إلى هذا المستوى. صورة غريبة أن يختبىء مخلوق من وجه الخالق فيستفسر منه أين أنت؟ والاختباء يحصل بعد سماع وقع الخطى في الجنة حيث كان يتمشى الرب الإلَه! لا أظن القارىء يحتاج إلى تحليل أو شرح للفكرة، فأمر الفساد في عقيدتهم من خلال مثل هذه النصوص بيِّن.

ومن النصوص التي تظهر فساد عقيدتهم تلك النصوص التي يصورون فيها الله في صورة بشرية، فإنه يسير ويسكن في عمود الغمام، وذلك يوم واكب بني إسرائيل حين خروجهم من مصر، يقولون في ذلك: «وكان الرب يسير أمامهم نهاراً في عمودٍ من غَمام ليهديهم الطريق، وليلاً في عمود من نارٍ ليضيء لهم ليسيروا نهاراً أو ليلاً. لم يبرح عمود الغمام نهاراً وعمود النار ليلاً من أمام الشعب»(٢).

وإذا كانت الأمم، كلٌّ وفق عقيدتها وشريعتها ونظام عباداتها، تقيم بيوتاً للعبادة، والمؤمنون بالله الواحد يقيمون بيوتاً لله تعالى يذكر فيها اسمه، ويعبدونه فيها من خلال الصلاة والدعاء والذكر... إلخ، فإن يهود يطرحون للمسألة مفهوماً مختلفاً، خاصة فيما يتعلق بهيكلهم الذي

---

(١) سفر التكوين، الإصحاح ٣، الآيات ٨، ٩، ١٠.
(٢) سفر الخروج، الإصحاح ١٣، آية ٢١، ٢٢.

نفذ بناءه سليمان بعد أبيه داود، الذي كان يرغب بإقامته على تلة صهيون قرب القدس، ومفهومهم هو أن الرب، الذي يقيم في الغمام أو في الخيام، يحتاج إلى مكان إقامة وسكن، وهذا من فساد العقيدة عندهم. إذ يتصورون أن الخالق بحاجة إلى مكان سكن، يقولون في نص في العهد القديم عن هذا الأمر: «حينئذ تكلم سليمان، قال الرب إنه يسكن في الضباب. إني قد بنيت لك بيت سكن مكاناً لسكناك إلى الأبد»(١).

يضيف يهود إلى معتقداتهم الفاسدة ذلك التصوير للخالق بأنه قد يتراجع أو يندم على ما كان قد فعله، وهذا هو عين فكرة البداء التي تقوم على أن الله تعالى يفعل فعلاً فإذا ما بدا له غيره بدل الأمر أو غيَّر، ولذلك فإنه قد يندم أو يتأسف على ما فعله. جاء عندهم في سفر التكوين: «ورأى الرب أن شر الناس قد كثر على الأرض، وأن كل تصور أفكار قلوبهم إنما هو شر في جميع الأيام. **فندم الرب أنه عمل الإنسان على الأرض وتأسف في قلبه**. فقال الرب أمحو الإنسان الذي خلقت عن وجه الأرض الإنسان مع البهائم والدَّبَّابات وطير السماء **لأني ندمت على خلقي لهم**»(٢).

وقد ورد عندهم نص آخر يفيد معنى الندم والتراجع عند الخالق تعالى الله عن مزاعمهم وكفرهم، وذلك بمناسبة انتهاء طوفان نوح عليه السلام، حيث يزعمون أن الرب عزم على عدم العودة إلى ما فعله مع نوح ثانية، يقولون: «فتنسَّم الربّ رائحة الرضى وقال الربُّ في نفسه لا أُعيد لعن الأرض أيضاً بسبب الإنسان بما أن تصور قلب الإنسان شرير

---

(١) سفر الملوك الأول، الإصحاح ٨، آية ١٢، ١٣.

(٢) سفر التكوين، الإصحاح ٦، آية ٥، ٦، ٧.

منذ حداثته ولا أعود أهلك كل حيٍّ كما صنعت»[1]. وهذا النص يفيد معنى الندم مع البداء والأمران غير جائزين بحق الله تعالى.

وتزداد الوقاحة في طرح يهود، ويظهر الفساد في عقيدتهم بشكل أوضح عندما يتحدثون عن حال الخالق بعد خراب أورشليم، فيقولون في حقه تعالى كلاماً لا يقبله عاقل، جاء عندهم في سفر مراثي إرميا: «كلَّت عيناي من الدموع وجاشت أحشائي، كبدي أريقت على الأرض من أجل حَطْم بنت شعبي، إذ غُشي على الطفل والمرضع في ساحات القرية»[2].

وجاءت في التلمود عندهم مقولات تحمل معاني تفيد فساد العقيدة وهي لا تقل في طرحها الوقح عن نصوص العهد القديم، من هذه المقولات نص يتحدثون فيه عن توزيع ساعات العمل للرب خلال اليوم يقولون فيه: «لكن ألم يقل ح. يهودا باسم رابه: هنالك اثنتا عشرة ساعة في اليوم، ينشغل القدوس، المبارك، في ثلاث ساعات منها، بالتوراة وفي الساعات الثلاث التي تليها، يحاكم العالم ككل وعندما يرى أنه عرضة للتدمير، يقوم عن كرسي الدينونة ويجلس على كرسي الرحمة. وفي الساعات الثلاث التي تليها، يمد العالم كلّه بالطعام، من أعظم الخلائق إلى أصغرها. وفي الساعات الثلاث الأخيرة يلعب مع لوياتان[3]، ... لكن في الساعات الثلاث الرابعة، يعلّم التوراة لطلبة

---

(١) سفر التكوين، الإصحاح ٨، آية ٢١.

(٢) سفر مراثي إرميا، الإصحاح ٢، آية ١١.

(٣) جاء في سفر المزامير، المزمور ١٠٣، آية ٢٦ ما يلي: هناك تجري السفن للوياتان الذي جبلته لتلاعبه.

المدارس... يمكننا القول إذا شئتم، أنه يفعل في الليل ما يفعله في النهار. ويمكننا القول، إذا شئتم، إنه يركب على غمامة ليله ويتحرك في كل الاتجاهات»[1].

هذه هي عقيدة يهود في الله تعالى، إنها، كما لاحظنا، عقيدة بعيدة كل البعد عن التوحيد، تغشاها وثنية واضحة فيما عرضناه من نصوصهم، ونختم بمقولة يهود بالاتحاد، والاتحاد يقصد به عندهم إمكان تأله البشر، فالإنسان عندهم قد يصل إلى درجة الاتحاد بالإلّه ويصبح بذلك مظهراً إلّهياً في الأرض، ولعل هذا المفهوم هو الذي دفعهم إلى قبول تجسد الإلّه وندمه وأسفه وملاعبته للوياتان وما إلى ذلك من المقولات والمزاعم.

٢ ـ الأنبياء ليسوا معصومين عندهم:

النبوة تكون باختيار إلّهي، واصطفاء، وبعد ذلك يكون النبي معصوماً بداعي حمله للرسالة والتبليغ، والعصمة تكون للأنبياء بعد اختيارهم للنبوة، وبعدها لا كبائر ولا صغائر تحصل منهم، ولا يقومون في حياتهم الخاصة بما يخالف الشريعة.

أما يهود، الذين تطاولوا على الذات الإلّهية، وألصقوا بها ما لا يليق بالعزة الإلّهية، فمن غير المستغرب أن يتطاولوا على الأنبياء فيصورونهم بصورة المقترفين للذنوب والآثام، وقد تصل هذه الأخطاء إلى حدود الأفعال التي يعفُّ اللسان عن ذكرها. وإذا كنا سنذكر بعضاً

---

(١) التلمود البابلي ـ رسالة عبدة الأوثان ـ ترجمة وتقديم نبيل فياض، دمشق، دار الغدير، ط ١، سنة ١٩٩١م، ص ٢٥.

من نصوصهم فما ذلك إلا بغرض الدراسة، وبهدف إطلاع القارىء، أو تذكيره، بتلك التهم التي يكيلها يهود للأنبياء دون احترام لمقام النبوة، ولما خصَّ الله تعالى به الأنبياء صلوات الله تعالى عليهم.

تندرج، ضمن الحكايات المرفوضة، تلك القصة التي ينسبونها للوط عليه السلام ولابنتيه، والتي لا يمكن أن تحصل إلا في مجتمع فاقد للقيم عديم الالتزام بها. هذا مع العلم أن ابنتي لوط كانتا من الناجين من قومه لأنهم لم يعصوا، فكيف لهم يا ترى أن تحصل منهم أفعال شنيعة في المستوى الذي ورد في سفر التكوين؟ إليك أيها القارىء العزيز ما يقولونه عنهم:

«وصعد لوط من صوعر وأقام في الجبل هو وابنتاه معه إذ خاف أن يقيم في صوعر فأقام في المغارة هو وابنتاه. فقالت الكبرى للصغرى إن أبانا قد شاخ وليس في الأرض رجل يدخل علينا على الأرض كلّها. تعالي نسقي أبانا خمراً ونضاجعه ونقيم من أبينا نسلاً. فسقتا أباهما خمراً تلك الليلة، وجاءت الكبرى فضاجعت أباها ولم يعلم بنيامها ولا قيامها. فلما كان الغد قالت الكبرى للصغرى هآ أنا ذا ضاجعت أمس أبي فلنسقه خمراً الليلة أيضاً وتعالي أنت فضاجعيه لنقيم من أبينا نسلاً. فسقتا أباهما خمراً تلك الليلة أيضاً وقامت الصغرى فضاجعته ولم يعلم بنيامها ولا قيامها. فحملت ابنتا لوط من أبيهما. وولدت الكبرى ابناً وسمتّه موآب وهو أبو الموآبيين إلى اليوم. والصغرى أيضاً ولدت ابناً وسمتّه بَنْعَمِيّ وهو أبو بني عَمّون إلى اليوم».

قصة بهذا المستوى، إذا كانت تقع من نبي وابنتيه الناجيتين معه، فكيف الأمر يا ترى بالنسبة لسائر الناس؟ ومثل هذه القصص المختلقة

تساعد على نشر الفساد في المجتمع عطفاً على أنها تحمل إساءة كبرى للنبي لوط ولابنتيه.

تضاف إلى القصة قصة أخرى يروون فيها مزاعم تحمل اتهاماً للنبي داود عليه السلام، وهذه القصة، التي يزعمون أنها حصلت مع زوجة أوريا الحثي، تتضمن، فوق التهمة لنبي، عرضاً يصح أن يكون موضوعاً لفيلم سينمائي يحمل قصة من أبشع قصص الاحتيّال والفساد الخلقي مما يستحيل حصوله ليس من نبي، وإنما من إنسان عادي.

جاء في سفر صموئيل الثاني، عن هذا الموضوع الذي جرى أثناء حرب بين جيش داود وأعدائه، قولهم: «ولما كان مدار السنة في وقت خروجِ الملوك أرسل داود يوآب وعبيده معه وجميع إسرائيل فدمَّروا بني عمُّون وحاصروا ربَّة، وأما داود فبقي في أورشليم. وكان، عند المساء، أن داود قام عن سريره وتمشّى على سطح بيت الملك فرأى عن السطح امرأة تستحم وكانت المرأة جميلة جداً. فأرسل داود رسلاً وأخذها فدخلت عليه فدخل بها وتطهرت من نجاستها. ورجعت إلى بيتها وحملت المرأة فأرسلت وأخبرت داود وقالت إنني حامل. فأرسل داود إلى يوآب أن أرسل إليّ أوريا الحِثّي، فأرسل يوآب أوريا إلى داود. فجاءه أوريا فاستخبره داود عن سلامة يوآب والشعب وعن الحرب. ثم قال داود لأوريا انزل إلى بيتك واغسل رجليك، فخرج أوريا من بيت الملك وخرج وراءه طعام من بيت الملك. فرقد أوريا على باب بيت الملك مع جميع عبيد سيِّده ولم ينزل إلى بيته. وأخبر داود أنّ أوريا لم ينزل إلى بيته فقال داود لأوريا أما جئت من السفر فما بالك لا تنزل إلى بيتك. فقال أوريا لداود إن التابوت وإسرائيل ويهوذا مقيمون في

الخيام ويوآب سيدي وعبيد الملك سيدي نزول على وجه الصحراء وأنا أدخل بيتي وآكل وأشرب وأدخل على أهلي، لا وحياتك وحياة نفسك إنّي لا أفعل هذا. فقال داود لأوريا امكث اليوم وغداً أصرفك فبقي أوريا في أورشليم ذلك اليوم وغده. فدعاه داود فأكل بين يديه وشرب وأسكره وخرج مساءً فاضطجع في مضجعه مع عبيد سيّده وإلى بيته لم ينزل. فلما كان الصباح كتب داود إلى يوآب كتاباً وأرسله بيد أوريا. وكتب في الكتاب قائلاً وجهوا أوريا إلى حيث يكون القتال شديداً وارجعوا من ورائه فيُضرب ويموت. فكان في محاصرة يوآب للمدينة أنه جعل أوريا في الموضع الذي علم أن فيه رجال البأس. فخرج رجال المدينة وحاربوا يوآب فسقط بعض الشعب من عبيد داود وقتِل أوريا الحثي أيضاً. فأرسل يوآب وأخبر داود بجميع ما كان من أمر الحرب.... وسمعت امرأة أوريا أن زوجها أوريا قد مات فناحت على بعلها. ولما تمت أيام مناحتها أرسل داود وضمّها إلى بيته فكانت زوجة له وولدت له ابناً، وساء ما صنعه داود في عين الرب»[1].

إن القراءة التحليلية لهذا النص تبيِّن لنا ثمة مغالطات فيه، فبالإضافة إلى اتهامهم للنبي داود عليه السلام بعمل لا يليق بإنسان عادي، وإنما فعل سوقي، لست أدري كيف يقبلون وصف نبي به.

هناك تناقضات في هذا النص، وتعاقب للأحداث تظهر شخصيات الحادثة وكأنها مستسلمة لداود لا تناقش ولا تفكر بما يأمرها به. فتراهم يصورون زوجة أوريا أنها تستسلم لداود، وتقبل منه كل طلباته بلا مناقشة، وتراهم يتحدثون عن يوآب وكيف تلقى الرسالة.

---

(١) سفر التكوين، الاصحاح ١٩، الآيات من ٣٠ حتى ٣٨.

وتآمر على واحد من جنده هو أوريا الحثي دون أن يعلم السبب.

ومن تناقضات النص أن زوجة أوريا عندما حضرت إلى اللقاء الأول بداود كانت في دم الحيض على غير طهر، وفي شريعة يهود المرأة تعزل في مثل هذه الحالة فكيف حصل وواقعها داود؟!.

وإذا كانت المرأة في دم الحيض لا إنتاج في رحمها للبويضات، وبالتالي كيف يكون قد حصل الحمل، وفي ذلك مغالطة علّمية؟. هذا ناهيك عمّا اتهموا به داود عليه السلام، وهو أشنع ما يمكن، فإنه من غير المقبول من مراهق أن يسترق النظر على نوافذ جيرانه، فكيف يكون ذلك من نبي ملك، وجيشه يتابع مهمة قتال وحرب مع أعداء؟!.

وتستمر حكاية اتهام الأنبياء، في نصوص العهد القديم، حتى تصل مع سليمان إلى درجة يتهمونه فيها بالشرك، وعبادة آلهة الوثنيين لا لسبب إلا إرضاء لنسائه.

ورد في سفر الملوك الأول ما يلي: «وأحب الملك سليمان نساءً غريبة كثيرة مع ابنة فرعون من الموآبيين والعمّونيين والأدوميين والصيدونيين والحثيين. ومن الأمم التي قال الرب لبني إسرائيل لا تختلطوا بهم وهم لا يختلطوا بكم فإنهم يميلون بقلوبكم إلى اتباع آلهتهم فتعلّق بهنَّ سليمان حبّاً لهن. وكان له سبع مئة زوجة وثلاث مئة سُريّة فأزاغت نساؤه قلبه. وكان في زمن شيخوخة سليمان أن أزواجه مِلن بقلبه إلى اتباع آلهة غريبة، فلم يكن قلبه مخلصاً للرب إلّهه، كما كان قلب داود أبيه. وتبع سليمان عشتاروت إلاهة الصيدونيين وملكوم رجس بني عمّون. وصنع سليمان الشرَّ في عيني الرب ولم يُتمّ اقتفاءه للرب مثل داود أبيه. حينئذ بنى سليمان مَشْرَفاً لكاموش رجس موآب في

الجبـل الذي تجـاه أورشليم ولمُولـك رجس بني عمّون. وكـذلك صنـع لجميـع نسائـه الغريبـات اللواتي كنَّ يُقتِّـرن ويـذبحن لآلهتهن. فغضب الربُّ على سليمان حيث مال قلبه عن الرب إلّه إسـرائيل الـذي تجلى له مرتين. وأمره في ذلـك أن لا يتبع آلهـة أخرى فلم يحفظ مـا أمره الـرب به»[1].

يحمل هذا النص تهمـة الشرك لسليمـان، وأن النبـي سليمان قـد عصى الله ولم يلتزم أوامره عندما تزوج من غير بني إسرائيل، وعندما عبد واتَّبـع آلهة زوجـاته، والسؤال هنـا: كيف يقبل يهـود لنبـي أن يكون من عابدي الأوثان، وأن لا يكون ممن يعبدون الله؟!.

ثمَّ إذا كـانوا، في غيـر هذا النص، قـد تحدثـوا عن حكـايـة بنـاء الهيكل في القدس، هيكل سليمان الذي يزعمـون أن سليمان قـد صرف جهداً كبيراً لإقامته ليكون بيتاً للرب، وكـل طرحهم الـديني، ومشروعهم السيـاسي، مـرتبط بـه، فكيف يقبلون أن يكـون سليمـان في مثـل هـذه الحالة، حـالة من تنجـح النسوة في قيـادته إلى عصيـان الله وإلى الشرك به؟.

هذه النصوص تعدُّ معهداً لتعليم الفسـاد، لأنه إذا كـان عمل النبي أن يخطط ليظفر بزوجة أحد جنوده كما هي مع داود، والآخر أن يكثر من النساء غير المؤمنات، وبعد ذلـك يتبع عقيـدتهن فيصبح مشـركاً، فكيف ياترى ستكون حال الناس، إذا كانت هذه حال الأنبياء؟؟!.

ومن القصص المثيـرة في «العهد القـديم» تلك القصة التي وردت

---

(١) سفر صموئيل الثاني، الإصحاح ١١، الآيات من ١ حتى ١٨ و٢٦، ٢٧.

عن حب أمنون بن داود لأخته، وكيف أنه تمارض واحتال على أهله وأبيه حتى تمكن من أن يختلي بها ويضاجعها ويقضي وطره معها.

إليك أيها القارىء الكريم هذه الحكاية المثيرة التي يندى لها الجبين، وقد جاء النص على الوجه التالي: «وكان لأبشالوم بن داود أخت جميلة اسمها تامار، فكان بعد ذلك أنّ أمنون بن داود كلِف بها، وتدلّه أمنون حتى سقم في تامار أخته لأنها كانت عذراء، فكان يعسر عليه أن يصنع بها شيئاً. وكان لأمنون صاحب اسمه يوناداب بن شِمْعَةَ أخي داود، وكان يوناداب رجلاً ذكياً جداً. فقال له مالي أراك يا ابن الملك تنحلّ يوماً فيوماً، ألا تخبرني؟ فقال له أمنون قد كلفت بتامار أخت أبشالوم أخي. فقال يوناداب اضطجع على سريرك وتمارض فإذا أتاك أبوك ليعودك فقل له لتجيء تامار أختي وتطعمني خبزاً وتعمل الطعام أمامي لأرى وآكل من يدها. فاضطجع أمنون وتمارض فأتاه الملك يعوده فقال أمنون للملك لتأتِ تامار أختي وتعمل أمامي كعكتين وآكل من يدها. فأرسل داود إلى تامار إلى البيت وقال لها انطلقي إلى بيت أمنون أخيك واصنعي له طعاماً. فمضت تامار إلى بيت أمنون أخيها وهو مضطجع فأخذت دقيقاً وعجنت وعملت كعكاً أمامه وقَلَتِ الكعك. وأخذت الطاجن وسكبت أمامه فأبى أن يأكل وقال أمنون أخرجوا كل أحد من عندي فخرج كل أحد من عنده. فقال أمنون لتامار أدخلي الطعام إلى المخدع فآكل من يدك فأخذت تامار الكعك الذي عملته وأتت به أمنون أخاها إلى المخدع. وقدمت له ليأكل فأمسكها وقال تعالي اضطجعي معي يا أُخَيَّة. فقالت لا تُذلّني يا أخي لأنه لا يُفعل هكذا في إسرائيل فلا تفعل هذه الفاحشة. فأما أنا فأين أذهب بعاري وأما أنت فتكون كواحد من السفهاء في إسرائيل، والآن فكلم الملك فإنه

لا يمنعني منك. فأبى أن يسمع لكلامها ولكن تمكن منها وغصبها وضاجعها»[1].

إن هذا النص يحوي قصة تعدُّ من أبشع قصص الجنس لو كانت اليوم، رغم كل ما ينتشر من فساد، لضجَّت بها الأنباء، ولحاسبت عليها شرطة الأخلاق، فكيف يصح أن تكون بين ابن نبي وابنة نبي؟!. وهل في هذه القصة سوى التحريض على الفساد، وطرح الحكايات المشجعة على أبشع أنواع الموبقات؟!...

هذا قليل من كثير من القصص التي احتواها «العهد القديم» في هذا الباب، والتي تحمل كلها التهم للأنبياء أو لعائلاتهم، وهي قصص لا هدف منها، كما يظهر من قراءتها، سوى النيل من النبوة والأنبياء، يضاف إلى ذلك التشجيع على المعصية والرذيلة، والحث على اتباع الشهوات والعمل على إشباعها دون ضوابط ولا قواعد حتى لو كان في المسألة مخالفة للشرع أو للقيم الأخلاقية في حدها الأدنى.

إن هذا المنهج الذي يتبعونه يقود إلى تحلل أبناء المجتمع ممن يأخذون بهذه النصوص، لأن كل واحد منهم سيتحدث مع نفسه قائلاً: ما دام الأنبياء قد فعلوا مثل هذه المعاصي والفواحش، فلِمَ لا أفعل وأنا لست نبياً ولا ابن نبي؟ وإذا كان العهد القديم المقدس عند يهود يحوي هكذا نصوص فماذا ستضم سائر أدبياتهم ياترى؟

صدق الله العظيم في قوله تعالى عنهم في الآية الكريمة: ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِباً﴾[2].

---

(١) سفر الملوك الأول، الإصحاح ١١، الآيات من ١ حتى ١٠.

(٢) سورة الكهف، آية ٥.

٣ ــ الصلاة عند يهود:

ليست الصلاة عند يهود بغاية التقرب من الله فحسب، وإنما ترتبط الصلاة عندهم غالباً بالأحداث؛ أي أنها صلاة مرتبطة بظرف ما، أو بحدث ما، ولذا يصح القول إنها صلاة غائية تدفع إليها المصلحة.

فالصلاة عندهم غالباً «تنبع إنطلاقاً ممّا حدث، أو يحدث، أو لكي يحدث شيء ما، حتى يمنح الله خلاصه للأرض. فمضمون صلاة إسرائيل يحدِّد صلتها بالتاريخ. والتاريخ المقدس، من جهته، مطبوع على الصلاة: المدهش أننا نلاحظ كيف تبدو الفترات الحاسمة من هذا التاريخ مقرونة بصلاة الوسطاء أو الشعب بأسره، إستناداً إلى معرفة قصد الله، طلباً لتدخله في اللحظة الراهنة»[١].

أما بالنسبة لأدائهم للصلاة فكان منها ما هو فردي أي شخصي، ومنها ما هو صلاة جماعية يشترك فيها كثيرون ويقودها أحد الكهنة. «أما الفردية فهي صلوات إرتجالية من أفراد، تتلى حسب الظروف والاحتياجات الشخصية، ولا علاقة لها بالطقوس والمواعيد والمواسم... والصلاة المشتركة هي صلوات تُؤدَّى باشتراك جملة أشخاص علناً وعموماً، في أمكنة مخصوصة ومواعيد معلومة، حسب طقوس وقوانين مقررة من رؤساء الدين والكهنة.

ولم توضع الصلوات الطقسية عند الإسرائيليين إلا بعد تأسيس أمكنة العبادة، كخيمة الاجتماع والهيكل»[٢].

---

(١) معجم اللاهوت الكتابي، م.س، ص ٤٧٧.

(٢) ظاظا، د. حسن، م.س، ص ١٧٠.

يوم كان موسى عليه السلام على طور سيناء بعد خروج بني إسرائيل بقيادته من مصر، وبعد أن ظهر فساد من قومه أغضب الرب الذي أراد أن يعاقبهم على فعلهم، توجه موسى متوسطاً متضرعاً للرب، وبذلك كانت صلاة موسى من أجل ما سيحدث، وفيها يقول: «فتضرع موسى إلى الرب إلّهه وقال: يا رب لِمَ يضطرم غضبك على شعبك الذين أخرجتهم من أرض مصر بقوة عظيمة ويد شديدة. ولِمَ يقولون المصريون إنه أخرجهم من ههنا بكيدٍ ليقتلهم فيما بين الجبال ويفنيهم عن وجه الأرض، إرجع عن شدة غضبك وعَدِّ عن مَسَاءة شعبك... فعدّى الرب عن المساءة التي قال إنّه يُحلُّها بشعبه»[1].

وتندرج صلاة إبراهيم من أجل خلاص أهل سدوم من الهلاك في الباب نفسه، فأهل سدوم، بلد لوط عليه السلام، معلوم ما الذي كانوا يفعلونه ويمارسونه من الشذوذ مما أغضب الرب عليهم، وقضى بهلاكهم، فتدخل إبراهيم بصلاته الشخصية ـ الفردية متضرعاً للرب كي يعفو عنها مهما كان عدد الصالحين فيهم: «فتقدم إبراهيم وقال: أتهلك البار مع الأثيم. إن وجد خمسون باراً في المدينة أفتهلكها ولا تصفح عنها من أجل الخمسين باراً الذين فيها. حاشَ لك أن تصنع مثل هذا، أن تهلك البار مع الأثيم فيكون البار كالأثيم، حاش لك، أديّان كل الأرض لا يدين بالعدل... فقال لا يثقل عند سيدي أن أتكلم هذه المرة فقط، إن وُجد ثمَّ عشرة قال: لا أهلكهم من أجل العشرة. ومضى الرب عندما فرغ من الكلام مع إبراهيم ورجع إبراهيم إلى موضعه»[2].

---

(١) سفر الخروج، الإصحاح ٣٢، الأيات ١١، ١٢، ١٤.

(٢) سفر التكوين، الإصحاح ١٨، الأيات ٢٣، ٢٤، ٢٥، ٣٢، ٣٣.

هذا التضرع الذي وضعوه على لسان إبراهيم يحمل معاني الإساءة لله، ويظهر عقيدتهم الفاسدة، إذ أنه يحمل التشكيك بعدل الرب، وأنه موجود في مكان يتقدم فيه إبراهيم ليراجعه، ويثنيه عن قضائه، وبعد ذلك يمضي كلٌ في طريقه. وهنا يحضر السؤال: أهي صلاة للرب أم أنها إساءة له وتشكيك بعدله؟!...

أما الصلاة الجماعية ـ المشتركة فمن أنواعها، التي وَرد الحديث عنها في التوراة، تلك الصلاة التي كانت للبركة وأداها هارون وأولاده بعد بلاغ جاءه عبر موسى. ورد في سفر العدد: «وكلّم الرب موسى قائلاً. مُرْهارون وبنيه وقل لهم كذا تباركون بني إسرائيل وتقولون لهم. يباركك الرب ويحفظك. يضيء الرّب بوجهه عليك ويرحمك. يرفع الرب وجهه نحوك ويمنحك السلام. فيجعلون اسمي على بني إسرائيل وأنا أباركهم»[1].

ويستفاد من نصوص أخرى أنهم كانوا يؤدون صلاة جماعية يبسطون فيها الأيدي للدعاء، ففي سفر نبوءة أشعيا: «فحين تبسطون أيديكم أحجب عينيَّ عنكم، وإن أكثرتم من الصلاة لا أستمع لكم، لأن أيديكم مملوءة من الدماء. فاغتسلوا وتطهروا وأزيلوا شر أعمالكم من أمام عيني وكفّوا عن الإساءة»[2].

إن الصلاة عند يهود تحتاج إلى استعداد وتحضير حتى تؤدّى على وجهٍ صحيح، فالصلاة عندهم هي لقاء مع الرب، وكما لكل لقاء عدته

---

(١) سفر العدد، الإصحاح ٦، الآيات ٢٢، ٢٣، ٢٤، ٢٥، ٢٦، ٢٧.

(٢) سفر نبوءة أشعيا، الإصحاح ١، آية ١٥، ١٦.

كـذلك اللقـاء مع الـرب يحتاج لأمـور لابـد منهـا. جـاء في سفـر نبـوءة عاموس: «إني لذلك أصنع بك هكذا يا إسـرائيل، وبمـا أني أصنع بـك هذا فاستعد للقاء إلّهك يا إسرائيل»[1].

تحضيراً للصلاة التي هي لقاء مع الإلّـه «كان الأتقيـاء والمتعبدون يصرفون نحـو ساعـة من الزمـان استعداداً للصـلاة، فيما يخصُّ النـظافة واللبس وجمع الأفكار وما أشبه ذلك»[2].

والصلاة عند يهود ـ والجماعية منها خاصة ـ يشتـرك فيها جميـع أفراد الشعب، وكثيراً ما تكون بشكل درامي يحمل الحسـرة والألم، وفي ذلك تحريك لعاطفـة تجاه هيكلهم الـذي خُرِّب، وشعبهم الـذي شُرِّد. فالصلاة عندهم «فريضة واجبة على النساء والرجـال. . . وكانـوا يصلُّون جلوساً ووقوفاً، يركعون، ويسجدون، ويبوقون، ويصوّتون، ويبكون في تضرعاتهم واعترافاتهم حتى يومنا هذا»[3].

واتجـاه الصلاة عنـدهم هو إلى بيت المقـدس حيث بنى سليمـان الهيكل، وفي ذلك وردت نصوص صريحة. جاء في سفـر الملوك الأول الآيات التالية:

«فكل صلاة وكل تضرع من أي إنسان كان من كل شعبك إسرائيل الذين يعرفون كل واحد وسوء قلبه فيبسط يديه نحو هذا البيت»[4].

«وإذا خـرج شعبك إلى الحـرب على أعدائهم في الـطريق الـذي

---

(١) سفر نبوءة عاموس، الإصحاح ٤، آية ١٢.
(٢) ظاظا، د. حسن، م. س، ص ١٧١.
(٣) ظاظا، د. حسن، م. س، ص ١٧١.
(٤) سفر الملوك الأول، الإصحاح ٨ الآيات على التتابع هي: ٣٨، ٤٤، ٤٨.

ترسلهم فيه، وصلُّوا إلى الربِّ جهة المدينة التي اصطفيتها والبيت الذي بنيته لاسمك»[1].

وأقبلوا إليـك بكـل قلوبهم ونفــوسهم في أرض أعـدائهم الــذين جلوهم **وصلُّوا إليـه جهة أرضهم التي أعـطيتهـا لآبـائهم والمـدينـة التي اصطفيتها والبيت الذي بنيته لاسمك»**[2].

أما مواقيت الصلاة عند يهود فهي ثلاثة محددة على الوجه التالي :

« ١ ـ صلاة الفجر ويسمونها صلاة السحر (شحاريت)، ووقتها، حسب ما قرَّرتـه المشنا، منـذ أن يتبيَّن الخيط الأبيض من الخيط الأزرق إلى ارتفاع عمود النهار.

٢ ـ صلاة نصف النهار أو القيلولة (مِنْحَه)، وتجب منـذ انحراف الشمس عن نقطة الزوال إلى ما قبل الغروب.

٣ ـ صلاة المساء، ويسمونها صلاة الغروب (عَرِبيتْ) ووقتها من غروب الشمس وراء الأفق إلى أن تتم ظلمة الليل الكاملة»[3].

لكن يهود يحددون للرجال لباساً مميزاً خاصاً يرتديـه الواحـد منهم عندما يريد تأدية الصلاة، أهم ما فيه الخيوط الزرقاء المتدلية من الشال، والأزرق كما نعلم هو لون الراية الإسرائيلية اليوم، وهـو لون سقف القبـة في هياكلهم.

عندما يريدون تـأدية الصـلاة. وبعد غسـل اليدين «يُـوضع الشـال

---

(١) نفس المرجع السابق.

(٢) نفس المرجع السابق.

(٣) ظاظا، د. حسن، م. س، ص ١٨١.

الصغير على الكتفين، أو الشال الكبير في الصلوات التي تتم جماعة في المعبد، كصلاة السبت والأعياد. وهذا الشال يكون من نسيج أبيض مستطيل، أو مربع، وفي كل زاوية من زواياه حلية مؤلفة من ثمانية أهداب من الخيط أربعة بيضاء وأربعة زرقاء، رمزاً للتعرف على طلوع الفجر بتمييز الخيط الأبيض من الخيط الأزرق.

وهذا الأزرق مختلف فيه من حيث درجته في الزرقة. . . ولهذا الشال في طهارته أحكام خاصة أهمها أنه لا تلمسه النساء، وهكذا يخصص له موضع معلوم في المنزل، ويجب على اليهودي لبسه منذ أن يبلغ سن التكليف بالعبادة، وهي ثلاث عشرة سنة، ويبقى عنده إلى أن يموت فيكفن عادة فيه.

والصلاة اليهودية تجب فيها تغطية الرأس، وهي عموماً تقليد عندهم للتعبير عن الاحترام، إذا قرأوا في النصوص المقدسة، أو ذكروا اسم الله، أو قابلوا عظيماً من العظماء.

كذلك يلبسون التفلين، وهي عبارة عن علبة صغيرة من الخشب أو الجلد محفوظ بداخلها رقعة من رق الغزال أو الجلد مكتوب عليها؛ قراءة السماع[1]. . . وهذه العلبة مثبتة في شريط من الجلد، ويجب

---

(١) نصوص السماع ثلاثة هي:

(أ) من سفر التثنية، الإصحاح ٦، آية ٤ ـ ٩ «إسمع يا إسرائيل إن الرب إلهنا رب واحد. فأحبب الرب إلهك بكل قلبك وكل نفسك وكل قدرتك. ولتكن هذه الكلمات التي أنا آمرك بها اليوم في قلبك. وكررها على بنيك وكلمهم بها إذا جلست في بيتك وإذا مشيت في الطريق وإذا نمت وإذا قمت. واعقدها علامة على يدك ولتكن عصائب بين يمينك. واكتبها على عضائد أبواب بيتك وعلى أبوابك». =

وضعها، عند الصلاة، في وسط الجبهة بحيث يـربط شريط الجلد حـول الرأس وتوضـع واحدة أخـرى على الكف اليسرى يـربط شريـطها حـول اليد، وتكون العلبة مثبتة عنـد أصل الإبهـام. وإذا كان المصلّي أشـول، أي يستعمل يده اليسرى وجب عليه أن يربطها على الكف اليمنى»[1].

وقد أخذ يهود مسألة موضع «التفلين» عند الصـلاة من النص الذي

= (ب) من سفـر التثنيـة الإصحـاح ١١، آيـة ١٣ ـ ٢١ «فـإن سمعتم لوصاياي التي أنا آمركم بها اليوم فأحببتم الرب إلّهكم وعبد تموه بكل قلوبكم وبكل نفوسكم. آتيت أرضكم مطرها في أوانه وَسْمياً ووليّاً فتجمع بُرُّك وخمرك وزيتك. وأنبت عشباً في صحرائك لبهـائمك فتـأكل أنت وتشبـع. إحذروا أن تغوي قلوبكم فتضلوا وتعبدوا آلهة غريبة وتسجدوا لها. فيشتدد غضب الـرب عليكم فيحبس السماء فلا يكون مطر والأرض ولا تخرج ألكلها فتبيدون بسرعة عن الأرض الصالحة التي يعطيكم الرب. فاجعلوا كلماتي هذه في قلوبكم وفي نفوسكم واعقدوها علامة على أيديكم ولتكن عصائب بين عيونكم. وعلّمـوها بينكم وتدارسوها إذا جلستم في بيوتكم وإذا مشيتم في الطريق وإذا نمتم وإذا قمتم. واكتبوها على عضائد أبواب بيوتكم وعلى أبوابكم. لكي تطول أيامكم وأيـام بنيكم على الأرض التي أقسم الرب لآبـائكم أن يعـطيهـا لهم مـا دامت السماء على الأرض».

(ج) من سفـر العدد، الإصحـاح ١٥، آيـة ٣٧ ـ ٤١: «وكلّم الـرب موسى قائلاً. مُر بني إسرائيل وقل لهم ليصنعوا لهم أهـداباً على أذيـال ثيابهم مدى أجيالهم، ويجعلوا على أهداب الذيل سِلْك سمنجونيّ. فيكون ذلك لكم هُدباً فترونه وتذكرون جميع وصايا الرب وتعملون بها ولا تهيمون باتباع قلوبكم وعيونكم التي أنتم فاجرون باتباعها. لكي تتـذكروا وتعملوا بجميـع وصايـاي وتكونوا مقدسين لإلّهكم. أنا الرب إلّهكم الذي أخرجكم من أرض مصر ليكون لكم إلّهاً أنا الرب إلّهكم».

(١) ظاظا، د. حسن، م. س، ص ١٨١، ١٨٢، ١٨٣.

ورد في سفر تثنية الاشتراع: «واعقدها علامة على يدك ولتكن عصائب بين عينيك»[3].

٤ ـ الصوم عند يهود:

الصوم عبادة فيها تعبير عن التزام بطاعة الله، وطلب القرب منه، أو العون منه، هكذا يفهمونها، والصوم عندهم قد يؤديه بعض الأتقياء منهم بمفردهم، وقد يؤدونه جماعة في موقف أو في مناسبات معينة.

عند يهود هناك الصوم الكبير في يوم الكفارة، وهو محدد، كما جاء في سفر الأحبار أو اللاويين بالنص التالي: «أما العاشر في الشهر السابع هذا فهو يوم الكفارة محفلاً مقدساً يكون لكم تذللون فيه نفوسكم وتقرِّبون وقيدة للرب. وفي هذا اليوم عينه لا تعملوا عملاً لأنه يوم كفارة يُكفَّر فيه عنكم بين يدي الرب إلٓهكم. فكل إنسان لا يذلل نفسه في هذا اليوم عينه يقطع من شعبه»[1].

ويوم الكفارة هذا هو يوم نجاة موسى مع قومه بني إسرائيل من فرعون في البحر، وقد جاء في قاموس الكتاب المقدس عن هذا اليوم: «هو يوم صوم واتضاع وتكفير عن خطايا الأمة... وكان العبرانيون يمتنعون فيه عن أي عمل وكانوا يجتمعون في احتفال مقدس يصومون في أثنائه. وكان هذا هو الصوم الوحيد المطلوب منهم حسب الناموس»[2].

---

(١) سفر الأحبار، الإصحاح ٢٣، آية ٢٧، ٢٨، ٢٩.

(٢) قاموس الكتاب المقدس، م. س، ص ٧٨٢.

(٢) سفر تثنية الاشتراع، الإصحاح ٦، آية ٨.

لكن الصوم ضرورة بشكل عام لأنه «لمّا كان الإنسان نفساً وجسداً، كان من العبث أن نتصور ديانة روحية محضة. إن النفس، لكي تلتزم بشيء ما، تحتاج أفعال الجسد وأوضاعه الخارجية. فالصوم المصحوب دائماً بصلاة التضرع إنّما يعبِّر عن تواضع الإنسان أمام الله»[1].

إن الصائم يتجه نحو الرب في وضع تبعية واستسلام وطاعة يقبل فيها الصائم عملاً شاقاً لإذلال النفس تقرباً إلى الخالق، وكثيراً ما اعتمدوا الصوم عبادة قبل خوض معركة تكون فيها أوضاعهم صعبة. من هذا القبيل كان صومهم يوم فتك بنو بنيامين ببني إسرائيل. جاء في سفر القضاة: «فصعد بنو إسرائيل، الشعب كله، وأتوا بيت إيل وبكوا وأقاموا هناك أمام الرب وصاموا ذلك اليوم إلى المساء وأصعدوا محرقات وذبائح سلامةٍ أمام الرب»[2].

وقد يستخدم الصوم تكفيراً من الصائم عن خطأ أو إثم وقع فيه، ومن هذا النوع من الصوم صوم أحآب: «فلما سمع أحآب هذا الكلام مزق ثيابه وجعل على بدنه مسحاً وصام وبات في المسح[3] ومشى ناكساً»[4].

ومن أنواع الصوم عندهم ما يكون في إطار طلب شفاء مريض من الرب؛ أي صوماً هادفاً، فإذا ما تعذر الشفاء أو حصل الموت فلا داعي

---

(١) معجم اللاهوت الكتابي، م.س، ص ٤٨٨.
(٢) سفر القضاة، الإصحاح ٢٠، آية ٢٦.
(٣) مسح البدن بالزيت وكان ذلك عادة يهودية.
(٤) سفر الملوك الأول، الإصحاح ٢١، آية ٢٧.

عندها للصوم. جاء من هـذا القبيل صـوم داود طلباً لشفـاء ولد مـريض. «فتضـرع داود إلى الله من أجل الـولد وصـام داود وبات مضـطجعاً على الأرض... فقال لما كـان الصبي حيّاً صمت وبكيت لأني قلت من يعلم لعـل الرب يـرحمني ويحيا الصبي. وأمـا الآن فقد مـات، فلماذا أصـوم أفأستطيع أن أرده بعد، أنا أصير إليه وهو لا يرجع إليّ»[1].

وقد يكون الصوم تعبيراً عن الحزن، متلازمـاً معه، بعـد دفن أحد الأشخاص، ففي سفر صموئيل الأول: «وأخـذوا عظامهم ودفنـوها تحت الأثلة التي في يابيتش وصاموا سبعة أيام»[2].

وارتبط الصـوم عندهم بـواقعهم السياسي، فكـانـوا يعمـدون إلى الصـوم عندمـا يصابـون بنكبة أو خسـارة عسكريـة. في سفـر صمـوئيـل الأول: «فاجتمعوا إلى المصفاة واستقوا ماءً وصبُّوا أمام الرب وصاموا في ذلك اليوم وقالوا هناك قد خطئنا إلى الرب وقضى صموئيل لبني إسرائيـل في المصفاة»[3].

يتضح مما تقدم أن للصوم أسبـاباً ودوافـع متنوعـة، «إلا أن الأمر، في جميع هذه الأحوال، يتعلق بوضع الذات بـإيمان في مـوقف، لحمته وسداه التواضع، لتقبّل عمل الله، والوقوف بين يديه»[4]، لذلـك نرى أن مـوسى عليه السّـلام قد صـام عندمـا كـان على طـور سينـاء طيلة الأيـام الأربعين التي كان فيها بين يدي الله. «وأقام هناك عند الرب أربعين يومـاً

(١) سفر صموئيل الثاني، الإصحاح ١٢، الآيات ١٦، ٢١، ٢٢.
(٢) سفر صموئيل الأول، الإصحاح ٣١، آية ١٣.
(٣) سفر صموئيل الأول، الإصحاح ٧، آية ٦.
(٤) معجم اللاهوت الكتابي، م.س، ص ٤٨٨.

وأربعين ليلةً لم يـأكل خبـزاً ولم يشـرب مـاءً فكتب على اللوحين كـلام العهد الكلمات العشر»[1].

٥ ــ متفرقات من شريعة يهود من خلال نصوص العهد القديم :

يهـود يتلاعبـون بشريعتهم نصـوصاً وتفسيـراً وتطبيقـاً، لأنـه أمـام المصلحة عندهم تهـون كل الأمـور، وكثيراً مـا تحل عنـدهم الإباحـات والانحرافات بديلاً عن الشريعة الأصلية.

ومن نماذج التلاعب عندهم والاستهانة بشرعهم، مـا حصل منهم حيال الفرس بعد السبـي، حيث حصل أن منعهم الفرس «عن الختانـة، وكثيراً ما منعوهم عن الصلاة، لمعرفتهم أن معظم صلوات هذه الطائفة، دعاء على الأمم بالبوار، وعلى العالم بالخراب، سـوى بلادهم التي هي أرض كنعان.

فلمـا رأت اليهـود الجـدَّ من الفـرس، في منعهم عن الصـلاة، اختـرعوا أدعيـة، مزجـوا بها فصـولاً من صلاتهم، وسَمّـوها (الخـزانـة) وصـاغوا لهـا ألحانـاً عديـدة، وصاروا يجتمعـون أوقـات صلواتهم على تلحينها وتلاوتها.

والفـرق بين هـذه (الخــزانـة) وبين الصــلاة، أن الصـلاة بغيـر لحن... ومن العجب أن دولـة الإسلام، لمـا جـاءت مقـرَّة للذّمـة على أديانها، وصارت الصلاة مباحة لهم، صـارت (الخزانـة) عند اليهـود من

(١) سفر الخروج، الإصحاح ٣٤، آية ٢٨.

السنن المستحبة في الأعياد والمواسم والأفراح، يجعلونها عوضاً عن الصلاة، ويستغنون بها عنها، من غير ضرورة تبعثهم على ذلك»[1].

إن ذكر هذه الواقعة يعطينا فكرة عن مدى احترام يهود لشريعتهم، ورغم علمنا أنهم لا يحكمون نصوصهم إلا إذا كانت تخدم مشروعهم ومصالحهم المادية، إلّا أن سرد بعض أحكام شريعتهم مفيد في إطار أخذ فكرة، ولو محدودة، عمّا عندهم، لأن ذلك يطلعنا على أسس تكوين الشخصية اليهودية دينياً، وعلى الخلفيات العقيدية والفكرية التي تلعب دوراً في حركة يهود ونظرتهم للأمور.

ستتناول في هذا العرض الأمور التالية:

(أ) **الطهارة**: الإنسان وحدة جسمية ـ روحية، والعبادات مهما كانت روحية لكن الإنسان أثناءها يكون متجسداً، لذلك لا بد من طهارة الجسد مع طهارة الروح. وقد «كان لموضوع الطهارة والنجاسة شأن في الشريعة اليهودية والمجتمع اليهودي على أساس أن طبيعة القداسة التي يتّصف بها الله ترفض وتنبذ ما هو غير قدوس، أي غير طاهر»[2].

هناك نصوص في العهد القديم جاءت تأمر بالطهارة صراحة من خلال غسل بعض الأعضاء قبل مباشرة الأعمال التعبديّة، من ذلك «وكلّم الربُّ موسى قائلاً: اصنع مغتسلاً من نحاس مقعده من نحاس للغُسل واجعله بين خباء المَحْضر والمذبح واجعل فيه ماءً، **فيغسل هارون وبنوه منه أيديهم وأرجلهم**. إذا دخلوا خباء المحضر **فليغسلوا بماء لئلا يموتوا**، وإذا تقدموا إلى المذبح ليخدموا ويُقتِروا وقيدة للرب.

(١) المغربي، السموأل بن يحيى، م.س، ص ١٤٥.
(٢) شنودة، زكي، م.س، ص ٢٠٠.

فليغسلوا أيديهم وأرجلهم لئلا يموتوا، يكون ذلك لهم رسم الدهر له ولنسله مدى أجيالهم»[1].

والطهارة تستلزم عزل من ليس بطاهر، وأن لا يشترك مع الجماعة بعمل قبل أن يتطهر بالاغتسال، وقد جاء نص حول هذا الأمر فيه: «إذا كان فيكم رجل ليس بطاهر من عارض الليل، فليخرج إلى خارج المحلة ولا يدخل داخلها. وعند إقبال الليل يغتسل بالماء وعند غروب الشمس يدخل داخل المحلة»[2].

والجنابة التي تحصل بمواقعة الرجل لزوجته هي نجاسة تستلزم الطهر، ويتم ذلك بغسل البدن كاملاً بالماء من قبل كل من الرجل والمرأة. وفي موضوع الاغتسال من الجنابة جاء عندهم: «وأي رجل خرجت منه نطفة مضاجعة فليغسل جميع بدنه بالماء ويكون نجساً إلى المغيب. وأي امرأة ضاجعها رجل بنطفة فليرتحضا بالماء ويكونا نجسين إلى المغيب»[3].

(ب) القرابين: الإنسان يحتاج إلى الطهارة بجانبيها الجسدي والروحي، وبالنسبة للطهارة الروحية فإنها تتمّ بالعبادات كالصلاة والصوم، أو بالتوبة عن الفعل الخطأ، أو بتقديم ما فيه تكفير عن خطيئة أو إثم مقترف.

والقرابين باتت، مع موسى، محددة ومنظمة في نصوص صريحة من العهد القديم. والمعلوم أنه «لما قام موسى وضع نظاماً دقيقاً ومفصلاً

---

(١) سفر الخروج، الإصحاح ٣٠، الآيات من ١٧ حتى ٢١.
(٢) سفر تثنية الاشتراع، الإصحاح ٢٣، آية ١٠، ١١.
(٣) سفر الأحبار (اللاويين)، الإصحاح ١٥، آية ١٦، ١٧، ١٨.

للقرابين، وحصر تقديم الذبائح في الكهنة يعاونهم اللاويون في بعض الأمور. وكانوا يعبِّرون بالقرابين عن التوبة والاعتراف والكفارة والتكريس والشكر على السلامة أو النجاح وغير ذلك.

... وكانت القرابين تقدم من الحيوانات المستأنسة الطاهرة والحبوب وبعض السوائل الزراعية»[1].

فبالنسبة للحيوانات التي تحلُّ لحومها جاء الأمر بتقديم قربان منها صريحاً، ويكون القربان إما ثوراً فتياً (عجلاً) من البقر، أو خروفاً ابن حول (عام) من الغنم، ومن كان فقيراً ولا يستطيع ذلك فيقدم زوجاً من الحمام أو اليمام.

«وإن كان قربانه ذبيحة سلامةٍ من البقر ذكر أو أنثى فصحيحاً يقرِّبه بين يدي الرب. وإن كان قربانه من الغنم ذبيحة سلامةٍ للرب ذكراً أو أنثى فصحيحاً يقربه. وإن كان قربانه حملاً فليقرِّبه بين يدي الرب. وإن كان قربانه من المعز فليقربه بين يدي الرب»[2].

والبديل في حال عدم توفر الإمكانات اللازمة لقربان من البقر أو الغنم أو المعز هو: «فإن لم يكن في يدها ثمن حمل فلتأخذ يمامتين أو فرخي حمام أحدهما مُحْرَقة والآخر ذبيحةُ خطاءٍ فيكفِّر عنها الكاهنُ فَتَطْهُرُ»[3].

أما قربان الحبوب وسوائل المزروعات، التي تصنع منها الأشربة،

---

(١) قاموس الكتاب المقدس، م.س، ص ٧٢١.
(٢) سفر الأحبار، الإصحاح ٣، الآيات ١، ٦، ٧، ١٢.
(٣) سفر الأحبار، الإصحاح ١٢، آية ٨.

فمن الـواجب أن يقدم منهـا بـاكـورتهـا. «بـاكـورة بيـدرك ومعصـرتـك لا تؤخرها، والبكر من بيتك تجعله لي»[1].

لكن تنفيـذ القـرابين والنـذور لا يكـون في أي مكـان يختـاره الشخص، وإنما يجب أن يكون في الهياكل وبيـوت العبادة حيث يـوجد مكـان خاص لـذلك هـو المذبـح. وقد جـاء في سفـر تثنيـة الاشتـراع: «لا يجوز لك أن تأكل في مدنك أعشار بُرِّك وعصيرك وزيتك، ولا أبكـار بقـرك وغنمك، ولا شيئاً من نذورك التي تنـذرها وتـطوعـاتـك وتقـدمة يديك. ولكن أمام الرب إلّهـك تأكلهـا في المـوضـع الذي يختـاره الرب أنت وابنك وابنتك وعبدك وأمتك واللاوي الذي في مدنك، وتفـرح أمام الرب إلّهك بما امتدت إليه يدك»[2].

يبقى أن نقول في هذا الموضوع إن الزيت كان من أفخر القرابين، وكان يستخدم في المسـح على الأجساد عنـد تنصيب الملوك أو الكهنة، وقد درج عند يهود بعد العودة من السبـي في فترة ازداد فيهـا نفوذ الكهنـة الذين زعموا أنهـم بهذا المسح يمنحون للممسوح البركة.

وقد جاء في معجم الـلاهوت الكتـابي؛ «وإذا كان الـزيت علامـة البـركة الإلّهيـة، فشجرة الـزيتـون الخضـراء رمـز للصـالـح المبـارك من قبل الله . . . ورمز للحكمـة الإلّهية التي تكشف في النـاموس طـريق البر والسعادة . . . أما الزيتونتـان اللتان تمـدّان بزيتهمـا المنارة ذات الفـروع السبعـة . . . فهمـا تمثـلان ابني الـزيت مسيحَيْ الله، الملك ورئيس

(١) سفر الخروج، الإصحاح ٢٢، آية ٢٩.
(٢) سفر تثنية الاشتراع، الإصحاح ١٢، آية ١٧، ١٨.

الكهنـة، اللذين عهـد الله إليهمـا بتنـويـر الشعب وتـوجيهـه إلى طـريق الخلاص»[1].

ولعـل العودة إلى نص واحـد من سفر الأحبـار (اللاويين) تبيِّن لنـا أهميـة الزيت في التقـديمات والقـرابين، ويتضح ذلـك من تكـرار الأمـر باستخدام الـزيت في غير حـالة، «وأي إنسـان قرَّب قـربان تقـدمةٍ للرب فليكن قربانه سميذاً يصبّ عليه زيتاً ويجعل عليه لبناً. ويأتي بـذلك بني هارون الكهنة، فيأخذ الكاهن ملء قبضةٍ من سميذهـا وزيتها مـع جميع لبانها ويقتِّر تذكارها على المـذبح وقيـدة رائحةِ رضىً للرب. وإن قـربت قربان تقدمة مخبوزاً في تنور فليكن جرادق من سميذٍ فطير ملتـوتةً بـزيتٍ ورقاق فطيرٍ ممسوحة بزيت. وإن كان قربانك تقـدمة على طـاجن فليكن فطيراً من سميذ ملتوتاً بزيت. وفتّه فتاتاً وصبّ عليه زيتاً إنّه تقـدمة. وإن كان قربانك تقدمة من الشواء فاعمله سميذاً بزيت»[2].

إن تكـرار كلمـة الـزيت، في هـذا النص، تـوضـح مـوقعـه في التقـديس، وما صب الـزيت عندهم على شخص أو مكـان إلا لتكريسـه للرب، لإضفاء مسحة البركة عليه.

(ج) **الختـان**: الختان، وهو قطع لحم غرلة الذكر، كان معـروفاً عنـد بعض الشعوب، ووفق نصـوص العهد القـديم كـان أول من اختتن إبراهيم عليه السَّلام ومعه ابنه إسماعيل وسائر الذكور في بيته.

جاء الأمر لإبـراهيم عليه السَّـلام بأن يمـارس الختن فماذا فعـل؟

---

(١) معجم اللاهوت الكتابـي، م.س، ص ٤٠٥، ٤٠٦.
(٢) سفر الأحبار، الإصحاح ٢، الآيات ١، ٢، ٤، ٥، ٦، ٧.

«فأخذ إبراهيم إسماعيل ابنه وجميع مواليد بيته وسائر المشترين بفضته كل ذكر من أهل منزله فختن القلفة من أبدانهم في ذلك اليوم عينه بحسب ما أمره الله به. وكان إبراهيم ابن تسع وتسعين سنة عند ختنه لحم قُلفته. وكان إسماعيل ابنه ابن ثلاث عشرة سنة حين ختنت القلفة من بدنه. في عين ذلك اليوم اختتن إبراهيم وإسماعيل ابنه. وكل رجال منزله مواليد بيته والمشترين بالفضة من الغرباء اختتنوا معه»(١).

والختان عند يهود رتبة طقسية لها معنى ديني، لأنهم يختتنون بناءً لأمر الله، والختان هو «العلامة الجسدية للعهد، التي يجب على كل إسرائيلي ذكراً أن يحملها في جسده، منذ اليوم الثامن لولادته... وهو الشرط الذي لا بد منه لإمكان الاحتفال بالفصح، حيث يعلن بنو إسرائيل أنهم شعب مختار...»(٢).

الختان إعلان للالتزام بالعهد مع الرب الذي كان لأول مرة مع إبراهيم عليه السَّلام، ومن لا يلتزمه يقطع من شعبه، ولا يعد من يهود. وقد جاء النص في سفر التكوين واضحاً صريحاً حول هذا الأمر: «هذا هو عهدي الذي تحفظونه بيني وبينكم وبين نسلك من بعدك يختن كل ذكر منكم. فتختنون القُلْفة من أبدانكم ويكون ذلك علامة عهد بيني وبينكم. وابن ثمانية أيام يُختن كل ذكر منكم مدى أجيالكم المولود في منازلكم والمشتري بفضةٍ من كل غريب ليس من نسلكم. يختن المولود في بيتك والمشتري بفضتك فيكون عهدي في أبدانكم عهداً مؤبداً. وأي أقلف من الذكور لم تُختن القُلْفة من بدنه تقطع تلك النفس من

---

(١) سفر التكوين، الإصحاح ١٧، الآيات ٢٣، ٢٤، ٢٥، ٢٦، ٢٧.
(٢) معجم اللاهوت الكتابي، م. س، ص ٢٩٧.

شعبها إذ قد نقض عهدي»[1].

إذن، الختان فرض لا مناص منه، لا تتأكد يهودية شخص إلا بعد إتمامه، ولا يحق له أن يشارك في الاحتفال بالفصح إلا إذا كان مختوناً، وإلا عُدَّ مفصولاً من شعبه، ويكون قد نقض العهد المقطوع لبني إسرائيل من الرب لإبراهيم عليه السَّلام.

والختان أمر ماضٍ في أمة يهود، «ولا يزال اليهود المعاصرون يمارسون هذه السنّة بكامل طقوسها، فيأتون بالولد إلى المجمع فيأخذه رجل يدعى سيّد العهد ثم يأتي الخاتن ويجري عملية الختان مع بعض الطقوس والمراسيم»[2].

(د) **الموقف من الدم والذبائح ولحم الخنزير**: الدم هو الحياة لذلك يحمل طابعاً قدسياً عند يهود، ولذلك عُدَّ من أعمال التكفير الهامة، ومن أساليب تقديم القرابين من الذبائح أن يراق دم الذبيحة فيصب قسم منه على المذبح، والقسم الآخر يرش على الشعب بقصد البركة.

ولأن الدم هو الحياة، لذلك حرمت الشريعة الموسوية أكل الدم المسفوح من المواشي عند ذبحها، وقد ورد في سفر الأحبار (اللاويين): «لأن نفس الجسد هي في الدم ولذلك جعلته لكم على المذبح ليكفر به عن نفوسكم، لأن الدم يكفر عن النفس. لذلك قلت لبني إسرائيل لا يأكل أحد منكم دماً والغريب الدخيل فيما بينكم لا يأكل

---

(١) سفر التكوين، الإصحاح ١٧، الآيات ١٠، ١١، ١٢، ١٣، ١٤.

(٢) قاموس الكتاب المقدس، م. س، ص ٣٣٨.

دماً. وأي رجل من بني إسرائيل ومن الغرباء الدخلاء فيما بينكم صاد صيداً من الوحش أو الطير اللذين يؤكلان فليرق دمه ويغطِّه بالتراب»[1].

ويأتي الأمر صريحاً بيِّناً عن تحريم الدم في أكثر من نص من العهد القديم منها: «ولكن لحماً بدمه لا تأكلون»[2]. «وأما الدم فلا تأكله بل أرِقْه على الأرض كالماء»[3].

لكن الدم المحرم أكله له «أهمية كبرى في طقوس التكفير لأن الدم مكفر عن النفس... ينضحه الكهنة بالرش وفي يوم الغفران بنوع خاص، يدخل عظيم الأحبار قدس الأقداس بدم الضحايا المقدَّمة عن خطاياه وخطايا الشعب»[4].

الدم حرام أكله لكنه سبيل لتكفير الخطايا ـ كما ذكرنا ـ أمام الرب: «وإن سهت جماعة إسرائيل كلّها وخفي الأمر على عيون المجمع وعملوا واحدة مما نهى الربّ عن فعله وأثموا. ثم عرفت الخطيئة التي خطئوها فليقرب المجمع عجلاً من البقر ذبيحة خطاءٍ يأتون به إلى قدَّام خباء المحضر. ويضع شيوخ الجماعة أيديهم على رأس العجل قدَّام الرب ويذبح العجل بين يدي الرب. ويأخذ الكاهن الممسوح من دم العجل إلى خباء المحضر. ويغمس الكاهن إصبعه فيه وينضح منه سبع مرات أمام الرب قبالة الحجاب»[5].

---

(١) سفر الأحبار، الإصحاح ١٧، الآيات ١١، ١٢، ١٣.
(٢) سفر التكوين، الإصحاح ٩، آية ٤.
(٣) سفر تثنية الاشتراع، الإصحاح ١٢، آية ١٦.
(٤) معجم اللاهوت الكتابي، م. س، ص ٣٤٢، ٣٤٣.
(٥) سفر الأحبار، الإصحاح ٤، الآيات ١٣، ١٤، ١٥، ١٦، ١٧.

لكن مع تحريم الدم المسفوح من الحيـوانات يجب أن نعلم بـأن الشريعة الموسوية لم تحلّ أكل الحيوانات كافة، وإنما حـرمت أكل كـل حيوان لا يكون ظفره مشقوقاً، وكذلك حرّمت كل حيوان غير مجتر. جاء في سفـر الأحبار (الـلاويين): «كل حيـوان ذي ظفر غيـر مشقوق، وكـلُّ ما لايجتر فهو نجس لكم، كلُّ من مسّه يكون نجساً»[1].

لكنهم يحرمون أيضاً من الحيوانات المجترة الأرنب لأن ظفـره غير مشقـوق: «والأرنب فإنـه يجتـر ولكنـه غيـر مشقـوق الـظفـر فهـو رجس لكم»[2].

والتحريم المغلَّظ في الشريعـة الموسـوية، هـو تحريم أكـل لحم الخنزير وقد جاء في سفر الأحبار: «والخنزير فإنه ذو ظفـر مشقوق ولكنـه لا يجترُّ فهو رجس لكم. لا تأكلوا شيئاً من لحمها وميتتها ولا تمسّوا فإنها نجسة لكم»[3].

وكانوا يعدون لحم الخنزيـر قذراً لـذلك لا يجـوز أكله ولا لمسه، «وكـان رعي الخنازيـر من أحطِّ المهن وأدنـاهـا، لا يقـربهـا إلا الفقـراء المعدمون»[4].

وقد جرَّ تحريم لحم الخنزيـر عند يهـود عليهم نوعـاً من الامتحان في الـدين، حيث كـانت الأمم، التي تغـزوهم، أو تسيـطر على منـاطق سكنهم وتـريد تحييـدهم عن شريعتهم، تمتحنهم بـأن تطلب منهم أكـل

---

(١) سفر الأحبار، الإصحاح ١١، آية ٣٦.
(٢) سفر الأحبار، الإصحاح ١١، آية ٦.
(٣) سفر الأحبار، الإصحاح ١١، آية ٧، ٨.
(٤) قاموس الكتاب المقدس، م.س، ص ٣٥٠.

لحم الخنزير فإن فعلوا تأكدت من أنهم قد هجروا الشريعة الموسوية. «وفي عصر أنتخيوس أبيفانيس كانوا يأمرون اليهود بأكل لحم الخنزير للتأكد من عدم بقائهم على دينهم القديم، أو الولاء لدين غزاتهم وحكامهم»(١).

ومن النصوص التي تفيد تعرضهم للامتحان في العهد القديم ما جاء في سفر المكابيين الأول: «ويبتنوا مذابح وهياكل ومعابد للأصنام **ويذبحوا الخنازير والحيوانات النجسة**»(٢).

وفي سفر المكابيين الثاني: «كان رجل يُقال له ألعازار، من متقدمي الكتبة، طاعن في السنّ رائع المنظر في الغاية فأكرهوه بفتح فيه على أكل لحم الخنزير»(٣).

(هـ) **الوصايا والقصاص وبعض المحرمات**: إن العماد الأساسي للشريعة الموسوية هو تلك الوصايا التي هي أوامر ونواهٍ حملها الخطاب الإلّهي إلى موسى عليه السَّلام يوم وقوفه على طور سيناء، بعد الخروج مع بني إسرائيل من مصر ومرحلة التيه في الصحراء. وهذه الوصايا أساس في الشريعة الموسوية، لكن يهود، من جملة تلاعبهم بشرائعهم، عدُّوها خاصة، وأنها لتنظيم العلاقات بينهم، وبالمقابل فإن الواحد منهم غير ملزم بالتقيُّد بها في حال تعامله مع غير يهود.

هذه الوصايا جاءت في سفر الخروج على الشكل التالي: «لا يكن لك آلهة أخرى تجاهي. لا تصنع لك منحوتاً ولا صورة شيء

---

(١) قاموس الكتاب المقدس، م.س، ص ٣٥٠.
(٢) سفر المكابيين الأول، الإصحاح ١، آية ٥٠.
(٣) سفر المكابيين الثاني، الإصحاح ٦، آية ١٨.

ممّا في السماء من فوق ولا مما في الأرض من أسفل ولا مما في المياه من تحت الأرض. . . لا تحلف باسم الربّ إلّهك باطلاً لأن الرب لا يزكي من يحلف باسمه باطلاً. اذكر يوم السبت لتقدّسه. . . أكرم أباك وأمك لكي يطول عمرك في الأرض التي يعطيك الرب إلّهك. لا تقتل. لا تزنِ. لا تسرقْ. لا تشهدْ على قريبك شهادة زور. لا تشتهِ بيت قريبك، لا تشتهِ امرأة قريبك ولا عبده ولا أمته ولا ثوره ولا حماره ولا شيئاً مما لقريبك»[1].

هذه الوصايا تشكل قواعد أساسية لأحكام الشريعة الموسوية، وهي، ما عدا الأولى والثانية، تشكل نواهياً تتعلق بالسلوك وبانتظام العلاقات بين أبناء المجتمع. والخروج عن هذه الأحكام يعرِّض المخالف للقصاص الذي يقوم على قاعدة المثل.

فالقصاص الذي يُوقَع بمن أتى فعل أذىً لغيره يجب أن يكون رداً مماثلاً للضرر الحاصل، وهذا ما حدَّده النص التالي من سفر الخروج: «وإن تأتّى ضرر تُبيء نفساً بنفس. وعيناً بعينٍ وسنّاً بسنٍّ ويداً بيدٍ ورِجْلاً برجْلٍ. وكيّاً بكيٍّ وجراحةً بجراحة ورضّاً برضٍّ»[2].

وكذلك يحرِّم يهود الربا لكن فيما بينهم؛ أي أنه ممنوع على يهودي أن يستوفي ربا من يهودي آخر، لكن ذلك حكماً لا يتم تطبيقه مع غير اليهودي، لأن الأغيار (الغوييم) ليسوا معتبرين من شعب الله، كما يزعم يهود. وقد جاء نص التوراة واضحاً في هذا الباب: «إذا أقرضت

---

(١) سفر الخروج، الإصحاح ٢٠، الآيات ٣، ٤، ٧، ٨، ١٢، ١٣، ١٤، ١٥، ١٦، ١٧.

(٢) سفر الخروج، الإصحاح ٢١، الآيات ٢٣، ٢٤، ٢٥.

فضـة لفقيرٍ من شعبي ممن عنـدك فلا تكن لـه كالمـرابي ولا تقيموا على ربىً»[1].

وهناك نص آخر يظهر لنا بوضـوح كيف تبيح الشـريعة المـوسويـة ليهود أن يقرضوا من سواهم بـربـىً، شرط ألا يعتمـدوه بينهم. فقد جـاء في سفر التثنية ما يلي: «لا تقرض أخاك بربـىً في فضةٍ أو طعام أو شيء آخـر مما يقـرض بالـربـى. **بـل الأجنبي إيـاه تقـرض بـالـربى وأخـاك لا تقرضه بالربـى** لكي يبارك الرب إلهك جميع أعمال يديك في الأرض التي أنت داخل لتمتلكها»[2].

أما بالنسبة للربـى فلا مناص من العقاب بسببه، والعقوبة تقع على الطرفين معاً، لأنهما اشتركا في فعل الفاحشة، وعقوبة الزنى هي القتل، والأمر نفسه عندهم ينطبق على الشـاذين ممن يؤتون الـرجال شهـوة دون النساء، فالقتل يقع على الفـاعل والمفعـول به، وكـذا الأمر بـالنسبة لمن قضى شهوته ببهيمة فالقتل نصيبهما معاً.

النص بعقوبة القتل للزاني واضح بيِّن وفيه: «وأيُّ رجل زنى بامرأة إن زنى بامرأة قريبة فليقتل الزاني والزانية. وإن ضـاجع أحـد زوجة أبيـه فقد كشف سوءة أبيه فليقتلا كلاهما دمهما عليهما. وإن ضاجع أحد كنَّته فليقتلا كلاهما إنهما صنعا فاحشة دمهما عليهما. وإن ضاجـع أحد ذكـراً مضـاجعة النسـاء فقد صنعـا كلاهمـا رجساً فليقتـلا دمهما عليهمـا. وإن اتخذ امرأة وأمها فتلك فاحشـة فليحرق هـو وهما بـالنار ولا تكن فـاحشة فيما بينكم. وإن غشي رجل بهيمة فليقتل قتلاً والبهيمة أيضـاً فاقتلوهـا.

(١) سفر الخروج، الإصحاح ٢٢، آية ٢٥.
(٢) سفر التثنية، الإصحاح ٢٣، آية ١٩، ٢٠.

وإن تقدمت امرأة إلى بهيمة لتنزوها فاقتل المرأة والبهيمة إنهما تقتلان قتلاً دمهما عليهما»[1].

إن تحليل مضمون النص الآنف الذكر، يبيِّن لنا أن من زنى بامرأة قريبة يقتل وإياها، ولم يقل ما حكم من زنى بغريبة عنه، فهل ذاك مباح عندهم؟. ويتبين لنا من النص أنواع المحارم وهم أم الزوجة، وزوجة الأب، وزوجة الابن.

يضاف إلى المحرمات السابقة تحريم الرشوة تحريماً مغلظاً، ويصورها النص التوراتي على أنها مجلبة للفساد، ويتأتى منها غضب يورث العمى. جاء في تحريم الرشوة: «لا تأخذ رشوة فإن الرِّشى تعمي البصراء وتفسد أقوال الأبرار»[2].

هذه بعض الأحكام التي وجدتُ من المفيد إبرازَها ليكوِّن القارىء فكرة، ولو بحدود معينة، عن الشريعة الموسوية كما هي بين أيديهم اليوم، وفائدة ذلك، إضافة إلى الناحية المعرفية، أن معرفة هذه الأحكام المنصوص عليها تظهر لنا مدى التلاعب بالشريعة عند يهود، وتظهر لنا مدى استهتارهم بأحكام شريعتهم فهم يخالفونها، وما هي بالنسبة لهم إلا نصوصاً يقرأونها ولا يلتزمونها.

● ● ●

---

(١) سفر الأحبار، الإصحاح ٢٠، الآيات من ١٠ إلى ١٦.
(٢) سفر الخروج، الإصحاح ٢٣، آية ٨.

الفصل السابع

المرأة عند يهود
من خلال «العهد القديم»

المرأة، في نصوص «العهد القديم»، تظهر في موقع دوني، وتصوَّر على أنها رمز للخطيئة، وسبب للفساد، وتعود حكاية المرأة والوقوع في الخطيئة إلى المرأة الأولى «حوّاء» التي كانت مع آدم عليهما السَّلام في جنة الخلد، فأغواها الشيطان الذي جاءها على هيئة حيّة، وهي بدورها أوقعت آدم في الخطيئة.

جاء تصوير ذلك في سفر التكوين على الشكل التالي: «وكانت الحيّة أَحْيَلَ جميع حيوان البرية الذي صنعه الرَّب الإلّه فقالت للمرأة أيقيناً قال الله لا تأكلا من جميع شجر الجنة. فقالت المرأة للحيّة من ثمر شجر الجنة نأكل، وأما ثمر الشجرة التي في وسط الجنة فقال الله لا تأكلا منه ولا تمسَّاه كيلا تموتا، فقالت الحية للمرأة لن تموتا، إنما الله عالم أنكما في يوم تأكلان منه تنفتح أعينكما وتصيران كآلهة عارفي الخير الشر. ورأت المرأة أن الشجرة طيِّبة للمأكل وشهية للعيون وأن الشجرة مُنيةٌ للعقل فأخذت من ثمرها وأكلت وأعطت بعلها أيضاً معها فأكل»[1].

---

(١) سفر التكوين، الإصحاح ٣، الآيات من ١ إلى ١٦.

إبليس جاء في شكل حيّة ونجح في إقناع حواء أن تأكل من شجرة وسط الجنة، وبذلـك تكون قـد مارست أول معصيـة تصدر من الآدميين حين خالفت أوامر الخالق، وأصغت لوسوسة الشيـطان، وبعد أن عصت حملت آدم على أن يفعـل كما فعلت. أُنَبِّـهُ هنا أن هـذا المفهوم خـاص بالعهد القديم أما الحقيقة فليست كذلك كما جاء في القرآن الكـريم مما ليس مجال عرضه هنا.

وتبيِّن نصوص التوراة، بأسلوب أكثر وضوحاً، مسؤوليـة المرأة في الوقوع في الخطيئة، ويأتي ذلك في إطـار جواب آدم للرب حين السؤال عن سبب وقوع ما وقع. «فقال آدم: المرأة التي جعلها معي هي أعطتني من الشجرة فأكلت. فقال الرب الإلّه للمرأة: ماذا فعلتِ؟ فقالت المرأة: الحيّة أغوتني فأكلتُ»[1].

كـان للمرأة عقـاب بسبب تسرعهـا في المعصيـة بعـد أن أغـوتهـا الحية، وهذا العقاب هو في تخصيصهـا بالحمـل والولادة ومـا يستتبعهما من آلام ومشقـات، وفي إعطاء السيـادة عليها للرجـل، وجعلها خـاضعة لـه. وقد جـاء عندهم في سفـر التكوين: «وقـال للمرأة لأكثـرنَّ مشقات حملك بـالألم تلدين البنين وإلى بعلك تنقـاد أشـواقـك وهـو يسـود عليك»[2].

أما عن الزواج، وهو أمر لا تكتمل سنّة الحياة إلا به، فـإن شريعـة يهود، ومن باب النـظرة الدونيـة للمرأة، تنص على أنـه يتم على طريقـة الشراء والبيع، أي أن الأب يبيـع والزوج يشتـري. من خلال استعـراض

---

(١) سفر التكوين، الإصحاح ٣، آية ١٢، ١٣.

(٢) سفر التكوين، الإصحاح ٣، آية ١٦.

حكاية زواج يعقوب من ابنتي خاله لابان وهما: راحيل وليئة، يتضح لنا هذا الأمر جلياً من خلال ما جاء على لسانهما في النص الآتي: «**فأجابت راحيل وليئة وقالتا له: هل بقي لنا نصيب وميراث في بيت أبينا. ألسنا عنده بمنزلة غرباء وقد باعنا وأكل ثمننا**»[١].

ومن خلال الأوامر والنواهي التي جاءت لبني إسرائيل نجد عندهم نصوصاً تمنعهم من مصاهرة غير اليهود من أبناء الأمم الأخر، فالتزاوج يكون بينهم فقط. فقد جاء في سفر التثنية ما يلي: «وإذا أدخلك الرب إلّهك الأرض التي أنت صائر إليها لترثها واستأصل أمماً كثيرة من أمام وجهك الحثيين والجرجاشيين والأموريين والكنعانيين والفرزّيين والحُوّيّين واليبوسيين سبع أمم أعظم وأكثر منك. وأسلمهم الرب إلّهك بين يديك وضربتهم فأبسلهم إبسالاً، لا تقطع معهم عهداً ولا تأخذك بهم رأفة. **ولا تصاهرهم ابنتك لا تعطها لابنه وابنته لا تأخذها لابنك**»[٢].

هذه الشريعة ما زال معمولاً بها، لذلك نجد في أيامنا هذه، شكوى تُرفع دوماً في المؤتمرات الصهيونية العالمية ليهود الشتات، أي الموجودين خارج أرض فلسطين المحتلة، هذه الشكوى هي أن عدداً غير قليل من يهود الشتات (الدياسبورا) يتزوجون من غير اليهوديات مما يشكل خطراً على ثقافة أبنائهم التوراتية. بعض الفِرَق شرّعت، أو أنها تطبق، هذه الفكرة العنصرية اليهودية في الزواج فتمنع أبناءها من الزواج من غير أبناء فرقتهم، وإن فعلوا ذلك رموهم بالحُرْم وأبسلوهم، أي

(١) سفر التكوين، الإصحاح ٣١، آية ١٤، ١٥.
(٢) سفر التثنية، الإصحاح ٧، آية ١، ٢، ٣.

جعلوهم مقطوعين عن ملتهم مرفوضين فيها.

وتشجع شريعتهم على الزواج من الفتاة البكر، وتنهى عن الزواج من الأرملة، أو المطلقة، أو من كانت غير مستقيمة سابقاً، والأمر في ذلك بيِّن من خلال النص التالي: «وبكراً من النساء فليتخذ. وأما الأرملة أو المطلقة أو المبذولة أو الفاجرة فتلك لا يتخذها بل امرأة بكراً من قومه فليتخذ»[1].

وقد كرس الشرع الموسوي، وفق ما ورد عندهم، قاعدة تفيد أن زوجة الأخ المتوفى تكون لأخيه من بعده؛ أي أنه إذا دخل رجل بامرأة وتوفي عنها بعد مدة، فهي بعد موته تكون لأخيه، خاصة إذا كان المتوفى لم يكن قد أنجب منها بعد أولاداً يخلفونه، ويحفظون ذكره.

من النصوص التي تفيد ذلك هذا النص: «إذا قام أخوان معاً ثم مات أحدهما وليس له عقب فلا تصير زوجة الميت إلى خارجٍ لرجل أجنبي بل أخوه يدخل عليها ويتخذها زوجة له ويقيم عقباً لأخيه. ويكون البكر الذي تلده منه هو الذي يخلف اسم أخيه الميت فلا يندرس اسمه من إسرائيل»[2].

وشريعتهم تبيح تعدد الزوجات وتعليل ذلك: «إن المطلب الأمثل للخصوبة، والاهتمام بضمان أسرة قوية، لمما يجعلان الرجل يشتهي أن يكون له أولاد كثيرون... الأمر الذي يدعوه بصورة عادية إلى طلب تعدد الزوجات»[3].

---

(١) سفر الأحبار (اللاويين)، الإصحاح ٢١، آية ١٣، ١٤.

(٢) سفر التثنية (تثنية الاشتراع)، الإصحاح ٢٥، آية ٥، ٦.

(٣) معجم اللاهوت الكتابي، م.س، ص ٤٠٣.

ويكفي لتأييد ذلك أن نذكر بعض النصوص من العهد القديم التي يلاحظ اعتماد تعدد الزوجات تطبيقياً عند كثيرين بمن فيهم بعض الأنبياء. من هذه النصوص:

«وصار لجدعون سبعون ابناً خرجوا من صلبه لأنه تزوّج نساءً كثيرة»[1].

«إذا كانت لرجل زوجتان إحداهما محبوبة والأخرى مكروهة فولدتا له كلتاهما بنين المحبوبة والمكروهة، وكان الابن البكر للمكروهة. ففي يوم توريثه لبنيه ما يكون له، ليس له أن يعطي حق البكرية لابن المحبوبة دون ابن المكروهة البكر»[2].

وكذلك زواج النبي إبراهيم عليه السّلام من هاجر بإشارة من زوجته سارة: «فقالت ساراي لأبرام هوذا قد حبسني الرّب عن الولادة فادخل على أمتي لعل بيتي يبنى منها فسمع أبرام لقول ساراي»[3].

والتعدد عندهم يستلزم حسن المعاملة للأولى فقط: «وإن تزوج بأخرى فلا ينقصها من طعامها وكسوتها وأوقاتها»[4].

تعدد الزوجات له شروط ثلاثة هي أن يعطي لكل زوجة حقها من الطعام واللباس وحظها من الوقت الذي يقضيه معها، وبعد إتمام ذلك لا يرون مشكلة في التعدد. لذلك نقلوا عن أنبيائهم أن عدّدوا لدرجة أن

---

(١) سفر القضاة، الإصحاح ٨، آية ٣٠.
(٢) سفر التثنية، الإصحاح ٢١، آية ١٥، ١٦.
(٣) سفر التكوين، الإصحاح ١٦، آية ٢.
(٤) سفر الخروج، الإصحاح ٢١، آية ١٠

سليمان ضمَّ في بيته مئات النساء وكذلك كان قد فعل أبوه داود عليهما السَّلام.

ويضيف يهود إلى مبرراتهم للحطِّ من شأن المرأة والتطيّر منها، موقفهم منها في حال الحيض والنفاس، وهذا أمر بيولوجي وهو سنَّة الله تعالى في خلقه، والمرأة ليست مسؤولة عنه، لكنهم يتجاوزن هذه الحقيقة وينظرون إلى المرأة نظرة غير موضوعية، فيعدونها نجسة طوال فترة الحيض أو النفاس، ويأمرون باعتزالها، ويعدون كل ما تلمسه نجساً.

يقولون، من باب التطيُّر من المرأة أثناء الحيض: «وأي امرأة كان بها سيلان بأن يسيل دم من جسدها فلتُقِمْ سبعة أيام في طمثها، وكل من لمسها يكون نجساً إلى المغيب. وجميع ما تضَّجع عليه في طمثها يكون نجساً، وجميع ما تجلس عليه يكون نجساً. وكلُّ من لمس مضجعها يغسل ثيابه ويرتحض بالماء ويكون نجساً إلى المغيب. ومن لمس شيئاً ممَّا تجلس عليه يغسل ثيابه ويرتحض بالماء ويكون نجساً إلى المغيب»[1].

وحالة النفاس تستلزم عندهم الأمر نفسه، لكنهم من باب نظرتهم الدونية للمرأة تصبح عندهم مدة النفاس مضاعفة في حال إنجاب الأنثى، وتكون أربعين يوماً في حال أنجبت المرأة ذكراً.

جاء في سفر الأحبار (اللاويين): «وكلَّم الرَّب موسى قائلاً. كلِّم بني إسرائيل وقل لهم أية امرأة حبلت فولدت ذكراً فلتكن نجسة سبعة

---

(١) سفر الأحبار (اللاويين)، الإصحاح ١٥، الآيات ١٩، ٢٠، ٢١، ٢٢.

أيام كحكم أيام طمثها يكون حكم نجاستها. وثلاثة وثلاثين يوماً تقيم في دم تطهيرها لا تلامس شيئاً من الأقداس، ولا تدخل القدس حتى تتم أيام تطهيرها. فإن ولدت أنثى فلتكن نجسة أسبوعين كحكم طمثها وستة وستين يوماً تقيم في دم التطهير»[1].

وكما أن التعدّد مباحٌ، عند يهود، كذلك يبيحون الطلاق، في حال حصل تنافر بين الزوجين لأمر اكتشفه الزوج في الزوجة بعد أن تزوجها. جاء عن إباحة الطلاق في سفر تثنية الاشتراع (التثنية): «إذا اتخذ رجل امرأة وصار لها بعلاً ثم لم تحظَ عنده لعَيْب أنكره عليها فليكتب لها كتاب طلاق ويدفعه إلى يدها ويصرفها من بيته»[2].

المرأة ليست عند يهود، في مرتبة الرجل، بل هي دوماً في مرتبة تليه، ولا تتساوى معه حتى في حق أداء العبادات والشعائر الدينية، ولا تقوم بالخدمة الكهنونية، كما أن الحج مفروض على الرجال دون النساء عندهم، والمحافظة على قداسة يوم السبت لم يرد ذكر المرأة فيها.

ورد في معجم اللاهوت الكتابي: «وإن كان وصف العهد القديم للمرأة لا يخلو من الجمال، فإنه لا يضفي على المرأة كرامتها السامية. وهذا ما تظهره الصلاة اليومية التي يتلوها اليهودي حتى اليوم بكل بساطة: مبارك أنت يا ربّ لأنَّك لم تجعلني لا وثنياً ولا امرأة ولا جاهلاً. بينما المرأة تكتفي بقولها: مبارك أنت يا ربّ الذي خلقتني بحسب مشيئتك»[3].

---

(١) سفر الأحبار (اللاويين)، الإصحاح ١٢، آية ١، ٢، ٤، ٥.
(٢) سفر التثنية، الإصحاح ٢٤، آية ١.
(٣) معجم اللاهوت الكتابي، م.س، ص ١٠٠.

ليس هذا الموقف مستغرباً، لأنه، كما ذكرنا سابقاً، نـظر يهود إلى المرأة على أنها مصدر غواية لآدم، ومسبب الوقوع في الخطيئة، ويترتب على ذلك، حكماً، أنهم سيجعلونها دون الرجل مكانة.

ولا يجد يهود حرجاً من تسخير المرأة تحقيقاً لأغراضهم، فالمسألة عندهم تقوم على قاعدة: الغاية تبرِّر الوسيلة، ولذلك تراهم، تحقياً لغاية العودة إلى القدس بعد السبي، لم يروا مانعاً من تقديم «أستير» لملك الفرس من أجل أن تكون وسيلة لإنقاذ قومها.

من خلال قراءة التاريخ اليهودي «نرى أستير تبذل جهداً ووقتاً، وتضحِّي بكرامتها أيضاً كي تصل إلى خدمة أبناء جلدتها، فقد اقتنع ملك الفرس أحشويروش بضرورة قتل اليهود بفارس لأنهم قوم صلاب عنيدون يتمسكون، أينما كانوا، بشرائعهم، ويستغلّون من هم في جوارهم، فتدخل اليهودي مردخاي مستغلاً خلاف الملك مع زوجته، وقدَّم له أستير زوجة بديلة، والتي بدورها أنقذت قومها بعد أن قرَّر ملك فارس معاقبة العديد منهم»[1].

حكاية أستير أرَّخ لها يهود بالتفصيل في سفر في العهد القديم هو سفر «أستير»، وملخص القصة أن الملك الفارسي «أحشويروش» غضب من زوجته «وشتي» لأنها عصت أمره عندما طلب إليها الحضور إلى حفل عنده، فما كان منه، وبعد استشارات موسعة، إلا أن طلقها، وطلب أن تعرض عليه الجواري الحِسان في المملكة ليختار إحداهن، ولما سمع مردخاي اليهودي بالقصة سارع في تقديم ربيبته «استير»، التي فقدت

---

(١) الزعبي، الأرقم، حقائق عن اليهودية، دمشق، الدار المتحدة، ط ١، سنة ١٩٩٠م ص ٢٩.

أبـويها، وقـام هـو بتـربيتهـا والاعتنـاء بهـا، وكـانت فتـاة جميلة أعجبت «أحشويروش» ففضَّلها على سواها وتزوجها.

جـاء عن تفضيل الملك لهـا في سفر أستيـر: «فأخـذت أستير إلى الملك أحشـويروش في دار ملكـه في الشهر العـاشـر، الـذي هـو شهـر طيبت، في السنـة السابعـة من ملكه. فـأحب الملك أستيـر على جميـع النساء ونالت حظوة ورحمة في عينيه أكثر من جميع العذارى، فوضع تاج الملك على رأسها وجعلها ملكه مكان وشتي»[1].

وكان هامان وزير أحشويروش يعرف تماماً يهود وعدوانيتهم لذلـك قـرر معـاقبتهم، وفي هـذا الـوقت كـانت أستيـر قـد أمـالت قلب الملك ولم تعلمه من أي قوم هي بناء لإرشادات مردخاي، لكن هذه المرة كـان لا بد من أن تتوسط لقومها مع زوجها الملك، وكـان لها مـا أرادت حيث حلَّت النقمة والعقوبة على الوزير هامان وحلَّ الـرضى على يهود فـأُعطوا حرية العدوان على سواهم، وبعد ذلك العودة إلى القدس.

نـذكـر من النصــوص التي تفيـد ذلــك مـا يلي: «فقــال الملك أحشويروش لأستير الملكة ولمردكاي اليهـودي هاءنـذا قد أعـطيت أستير هامان وأما هو فقد علَّقوه على الخشبة لأنه مدَّ يده إلى اليهود. فاكتبا أنتما إلى اليهود كما يحسن في أعينكما باسم الملك واختما بختام الملك لأن الكتابة المكتوبة بـاسم الملك المختومـة بخاتم الملك لا تـرد... وفيها أنعم الملك على اليهـود الذين في كـل مـدينـة بـأن يجتمعـوا ويقـدمـوا لأنفسهم ويهلكــوا ويقتلوا ويستــأصلوا قـوة كـل شـعب وإقـليم مـمن يضطهدونهم حتى الأطفال والنساء ويسلبـوا غنيمتهم. في يوم واحـد في

(١) سفر أستير، الإصحاح ٢، آية١٦، ١٧.

جميع أقاليم الملك أحشويروش في الثالث عشر من الشهر الثاني عشر الذي هو شهر آذار»[1].

وسفرأستير يقرأ في عيد الفوريم، يومي ١٤ و ١٥ آذار من كل عام تقديراً لما قدمته أستير لشعبها عندما رضيت بالزواج من أحشويروش.

ختمت بهذه القصة لأقول: إن السياسة اليهودية، قديماً، والصهيونية حالياً، لا تتورع عن استخدام أحط الأساليب منْ أجل تحقيق ما تريد، وما استخدام أستير لاستمالة أحشويروش إلّا نموذجاً عن أساليبهم التي يجب التنبيه منها، لأنهم يحاولون تكرارها بطرق مختلفة، وأشكال متنوعة وتكفي حادثة أستير لتظهر لنا أن يهود قد يبيعون جسد المرأة في سوق النخاسة من أجل هدف يريدونه، ولعل المرأة الفاسدة ما زالت حتى يومنا هذا إحدى الأدوات المستخدمة من قِبَلِهم تحقيقاً لأغراضهم.

• • •

---

(١) سفر أستير، الإصحاح ٨، الآيات ٧، ٨، ١١، ١٢.

الفصل الثامن

الأعياد والمناسبات عند يهود

تستحق الأعياد عند يهود أن نفرد لها عنواناً خاصاً، لأنها مفكرة للتاريخ ونظرة جديدة للماضي من جهة، وهي، من جهة أخرى، كشف عن الحاضر وكيف يريدون التعامل معه، ورسم المستقبل الذي يطمحون إليه. والسبب في ذلك أن الأعياد ترتبط عندهم ارتباطاً وثيقاً بالشريعة والعقيدة، أو بالمناسبات والمحطات التاريخية التي يريدون من خلال الوقوف أمامها أمراً دينياً أو سياسياً.

فالأعياد عندهم ليست لتمرَّ مرور الكرام، بل هي محطات للتأمل ولأخذ العبرة. وقد «نصت شريعة موسى على سبعة أعياد كبرى: السبت من كل أسبوع، اليوم الأول من كل شهر، السنة السابعة من كل سبع سنوات، سنة اليوبيل، أسبوع الفصح (خاصة اليومين الأول والأخير)، وعيد المظال أو عيد الجمع، عيد الخميس (والمعروف بعيد الأسابيع).

وبعد السبي في بابل أُضيف إلى قائمة الأعياد عيدان: عيد الفوريم، وعيد التجديد»[1].

هذه الأعياد جاء الأمر بالاحتفال فيها واضحاً في نصوص العهد

---

(١) قاموس الكتاب المقدس، م.س، ص ٦٤٧.

القديم: «في السنة أيام تعمل عملاً وفي اليوم السابع سبت عطلة محفل مقدس لا تعملوا فيه عملاً هو سبت للرب في جميع مساكنكم. . . وفي اليوم الخامس عشر من هذا الشهر عيد الفطير للرب. عيد الفطير للرب سبعة أيام تأكلون فطيراً. . . . إلى غد السبت السابع تحسبون خمسين يوماً ثمَّ تقربون تقدمة جديدة للرب. . . مُرْ بني إسرائيل قائلاً في اليوم الأول من الشهر السابع يكون لكم عطلة تذكار هتاف البوق محفل مقدس. . . . أما العاشر من الشهر السابع هذا فهو يوم الكفارة محفلاً مقدساً يكون لكم تذللون فيه نفوسكم وتقربون وقيدة للرب. . . . مُرْ بني إسرائيل وقل لهم في اليوم الخامس عشر من هذا الشهر السابع عيد المظالّ سبعة أيام للرب»[1].

«وفي السنة السابعة يكون للأرض سبت عطلة للرب لا تزرع حقلك ولا تقضب كرمك وقدسوا سنة الخمسين ونادوا بعتق في الأرض لجميع أهلها فتكون لكم يوبيلاً»[2].

«ثلاث مرات يقيِّد لي في السنة. احفظْ عيد الفطير سبعة أيام تأكل فطيراً كما أمرتك في وقت شهر الإسبال لأنك فيه خرجت من مصر ولا تحضروا أمامي فارغين. وعيد حصاد بواكير غلاتك التي تزرعها في الصحراء وعيد الاستغلال عند نهاية السنة عندما تجمع غلاتك من الصحراء»[3].

هذه هي المناسبات كما جاء ذكرها، والإشارة إليها، في نصوص

---

(١) سفر الأحبار (اللاويين)، الإصحاح ٢٣، الآيات ٣، ٦، ١٦، ٢٤، ٢٧، ٣٤.
(٢) سفر الأحبار، الإصحاح ٢٤، آية ٤، ١٠.
(٣) سفر الخروج، الإصحاح ٢٣، آية ١٤، ١٥، ١٦.

التوراة، وسنتوقف قليلاً عند كل واحدة منها.

١ ـ السبت:

كلمة عبرانية معناها: الكف عن العمل أو الراحة، وتقديس السبت وجعله يوم راحة يعود أساساً إلى بدء الخليقة، حيث يزعم واضعو العهد القديم أن الرب، بعد أن خلق العالم في ستة أيام، استراح في اليوم السابع «السبت» ولذلك ما عليهم إلاّ أن يعتمدوا ذلك في حياتهم.

هذا الأمر مستفاد مما جاء في سفر التكوين: «وفرغ الله في اليوم السابع من عمله الذي عمل، واستراح في اليوم السابع من جميع عمله الذي عمل. وبارك الله اليوم السابع وقدّسه لأنه فيه استراح من جميع عمله الذي خلقه الله ليصنعه»(١).

والسبت الذي يبدأ من غروب يوم الجمعة وينتهي عند غروب شمس يوم السبت هو عيد أسبوعي عند يهود، وأهم شعيرة فيه الراحة والكف عن العمل وهذا جانب اجتماعي، ويضاف إلى ذلك جانب ديني ألا وهو القيام في هذا اليوم بالعبادات وتقديم القرابين.

إن التزام شعائر يوم السبت، الذي هو عيد أسبوعي، أمر إلزامي لا يجوز لأي يهودي مخالفته مهما كانت الظروف فتقديس السبت فرض ديني ـ اجتماعي لا مناص منه، هذا الأمر يتضح من النصّ التالي من سفر الخروج: «أذكر يوم السبت لتقدّسه. في ستة أيام تعمل وتصنع جميع أعمالك. واليوم السابع سبت للرب إلٓهك لا تصنع فيه عملاً لك أنت وابنك وابنتك وعبدك وأمتك وبهيمتك ونزيلك الذي في داخل

---

(١) سفر التكوين، الإصحاح ٢، آية ٢، ٣.

أبوابك. لأن الرب في ستة أيام خلق السمٰوات والأرض والبحر وجميع ما فيها، وفي اليوم السابع استراح ولذلك بارك الرب يوم السبت وقدّسه»[1].

وحفظ السبت جاء من بين الوصايا العشر، وقد تمسَّك به يهود حتى أنه «في عهد المكابيين كانت المحافظة على راحة السبت من الصرامة بحيث أن الحسيديين (الأتقياء) قد آثروا أن يتركوا أنفسهم للموت على أن يدنِّسوا السبت بحمل السلاح»[2].

من أجل حفظ السبت امتنع المكابيون عن القتال، وعرضوا أنفسهم للهلاك ومع ذلك لم يدنسوا السبت وقداسته. في سفر المكابيين الأول: «فأدركوهم وجيّشوا حولهم وناصبوهم القتال في يوم السبت. وقالوا لهم حسبكم ما فعلتم فاخرجوا وافعلوا كما أمر الملك فتحيوا. فقالوا لا نخرج ولا نفعل كما أمر الملك لئلا ندنِّس يوم السبت. فأثاروا عليهم القتال. فلم يردوا عليهم ولا رموهم بحجر ولا سدُّوا مختبآتهم»[3].

٢ ـ أول الشهر:

يعتمد أهل التقويم العبري عدة الشهور القمرية، لكن السنة يعتمدون فيها النظام الشمسي. وبسبب الفارق القائم بين النظامين القمري والشمسي في التقويم، وهو عشرة أيام في السنة، يعتمدون طريقة جمع هذه الأيام العشرة كل ثلاث سنوات مرة بحيث يضاف شهر

---

(١) سفر الخروج، الإصحاح ٢٠، الآيات ٨، ٩، ١٠، ١١.

(٢) معجم اللاهوت الكتابي، م. س، ص ٤٠٨.

(٣) سفر المكابيين الأول، الإصحاح ٢، الآيات ٣٢، ٣٣، ٣٤، ٣٥، ٣٦.

إلى السنة الثالثة، وتسمى سنة كبيسة، وموقع هذا الشهر فيها يكـون بعد آذار، ففي السنة الكبيسة يصبح هناك شهر آذار الأول وشهر آذار الثاني.

وبسبب اعتمادهم النظام القمري في عدة الشهـور، ولأن أول أيام الشهر القمري هو الذي يظهر فيه الهلال في بدايته، فقد قضت شريعتهم أن يكون هذا اليوم مقدساً كأيام السبت.

وللهـلال في بدايـة الشهر القمـري عنـد يهـود «طقـوس وصلوات خاصة تُؤدَّى عنـد رؤية الهـلال كل شهـر، وهـم لا يعتمدون على الـرؤيا البصرية، ويأخذون الآن بالحساب الفلكي. ويسمَّى عيد الهلال عندهم (رُوشْ حُودِشْ) أي رأس الشهر، والاحتفال به يكون أحياناً يومـاً واحداً، وأحياناً يومين»[1].

إن نصـوص العهد القـديم تأمـر بأن يكـون الاحتفال بـأول الشهـر بتقديم المحرقات للرب، تماماً كما هي الحال بالنسبة ليوم السبت، ففي سفر أخبار الأيام الأول: «ولإصعاد كل مُحْرقـات الرب في السبـوت وفي رؤوس الشهـور والأعيـاد المعـدودة بحسب التـرتيب المفـروض عليهم دائماً قدّام الرّب»[2].

ومن شعائر الاحتفال بأول الشهر النفخ بالبوق؛ «انفخـوا في البوق عند رأس الشهر وفي أوان البدر ليوم عيدنا»[3].

وأول الشهـر كيوم السبت يـوم للراحة فـلا عمل فيـه، كما أنـه يوم للعبـادة والقرابين تكفيـراً عن الخـطايـا. ورأس الشهـر «لخبـز التنضيـد

---

(١) ظاظا، د. حسن، م. س، ص ٢٠١.
(٢) سفر أخبار الأيام الاول، الإصحاح ٢٣، آية ٣١.
(٣) سفر المزامير، المزمور ٨٠، آية ٤.

والتقدمة الدائمة والمُحْرقة الدائمة في السبوت ورؤوس الشهور والأعياد وللأقداس وذبائح الخطّاء للتكفير عن إسرائيل ولكل خدمة في بيت إلّهنا»[1].

٣ ـ رأس السنة، أو عيد الأبواق:

ويسمى عندهم (رُوْش هَشَاناه) وتستغرق طقوسه ثلاثة أيام، منها اليوم الأول والثاني من شهر تِشْرى (من أوائل أكتوبر)، ثم يستمر الاحتفال في اليوم الثالث بطريقة شعبية»[2].

وهذا العيد يقع، وفق تقويمهم، في أول الشهر السابع من الشهور العبرية ويسمى «إيثانيم» وسُمّي، فيما بعد، تسرى أو تشرين الأول (أكتوبر)، وهذا العيد، الذي يطلق عليه كذلك عيد الأبواق، يعد عندهم بمثابة يوم ميلاد العالم.

جاء في قاموس الكتاب المقدس عن هذا العيد: «كان أول يوم من السنة المدنية في أول تسرى، أي تشرين الأول (أكتوبر)، وسماه الحاخامية يوم ميلاد العالم لأنه في ذلك الوقت يجمعون الأثمار والبذور.

وفيه كانوا يبوّقون بالأبواق، إلّا إذا وقع العيد في يوم السبت، فلا يُبوّق خارج الهيكل. وكانوا يقدِّمون ثوراً وكبشاً، وسبعة خرفان حولية، وتيساً من المعز ذبيحة خطيئة، هذا عدا الذبائح اليومية والذبائح الأحد عشر المفروضة عند ظهور الهلال. ويختلف هذا العيد عن بقية أعياد الأهلة التي فيها أنهم كانوا يبُوقون أيضاً على الذبائح لكونه يوم

(١) سفر نحميا، الإصحاح ١٠، آية ٣٣.
(٢) ظاظا، د. حسن، ص ٢٠١.

راحة وعبادة»[1].

وردت مسألة قرابين عيد الأبواق في سفر العدد حيث جاء فيه: «وفي اليوم الأول من الشهر السابع محفل مقدس يكون لكم عمل خدمةٍ لا تعملوا يوم هتافٍ يكون لكم. وقرّبوا مُحْرقةً رائحة رضىً للرب عجلاً من البقر وكبشاً وسبعة حملان حولية صحاح. وتقدمتها من سميذٍ ملتوت بزيب ثلاثة أعشارٍ للعجل وعُشران للكبش. وعُشر لكل حمل من الحملان السبعة. وتيساً من المعز ذبيحة خَطَاءٍ للتكفير عنكم»[2]. فضلاً عن محرقة الشهر وتقدمتها والمحرقة الدائمة وتقدمتها وسكبهما بحسب رسمهما رائحة رضىً وقيدة للرب.

ويأتي أمر تقديس هذا اليوم والاحتفال به، وتقديم القرابين فيه كذلك، في سفر الأحبار (اللاويين): «وكلم الرب موسى قائلاً. مُرْ بني إسرائيل قائلاً في اليوم الأول من الشهر السابع يكون لكم عطلةً تذكار هتاف البوق محفل مقدس. عمل خدمة لا تعملوا وقرِّبوا وقيدة للرب»[3].

٤ ـ السنة السابعة:

إنطلاقاً من تقديس اليوم السابع «السبت» قدَّس يهود السنة السابعة بعد كل ست سنين، وحالها كحال يوم السبت، فهي سنة راحة وكف عن العمل والزراعة، وهي سنة راحة بالنسبة للأرض بشكل أساسي.

---

(١) قاموس الكتاب المقدس، م. س، ص ٩٥.
(٢) سفر العدد، الإصحاح ٢٩، الآيات من ١ إلى ٦.
(٣) سفر الأحبار، الإصحاح ٢٣، الآيات٢٣، ٢٤، ٢٥.

ووصل بهم الأمر إلى حد اعتبار السنة السابعة سنة خروج من الدنيا، وما جمع من حطامها الإنسان خلال السنوات الست الماضية، وهذا الخروج من الدنيا يكون من أجل الفقير والمحتاج، ومن أجل أن تأكل البهائم وكل المخلوقات.

جاء في سفر الخروج: «ست سنين تزرع أرضك وتجمع أُكُلها. وفي السابعة أجممها وتخلٍّ عنها فيأكل منها كل من مساكين شعبك وما فضل بعدهم يأكله وحش الصحراء وكذلك تصنع بكرمك وزيتونك»[1].

السنة السابعة سنة راحة وعطلة للإنسان وللأرض، وسنة ترك للمواسم كي يستفيد منها كل من يحتاجها. جاء الأمر لموسى عليه السَّلام وهو في طور سيناء: «ست سنين تزرع حقلك وست سنين تقضب كرمك وتجمع غلالهما. وفي السنة السابعة يكون للأرض سبت عطلة، سبت للرب لا تزرع حقلك ولا تقضب كرمك. وخلفة حصيدك لا تحصِدْها وعنب كرمك الغير المقضوب لا تقطفْه، لأنها سنة عطلة للأرض. وليكن سبت الأرض طعاماً لك ولعبدك وأَمَتِك وأجيرك ونزيلك المقيمين معك»[2].

٥ ــ سنة اليوبيل:

يكمل يهود في شريعتهم في بناء المناسبات على أساس الرقم سبعة، وعلى أساس السبت والراحة، ومن هذا القبيل «اعتبرت الشريعة السنة التالية لكل سبعة أسابيع من السنين مقدَّسة كذلك ولما كان مجموع

(١) سفر الخروج، الإصحاح ٢٣، آية١٠، ١١.
(٢) سفر الأحبار (اللاويين)، الإصحاح ٢٥، الآيات ٣، ٤، ٥، ٦.

السبعة الأسابيع من السنين تسعاً وأربعين سنة، **كانت السنة المقدسة هي الخمسين**. وكان من مظاهر الاحتفال بتلك السنة النفخ بالبوق، وهو بالعبرية (يوبيل)، لذلك أطلقوا على هذه السنة اسم يوبيل»[١].

إن الأمر بتقديس سنة اليوبيل، واعتبارها سنة راحة وعيد وكف عن العمل ورد في النص الآتي: «واحسب لك سبعة سبوت من السنين سبع سنين سبع مراتٍ فتكون لك أيام سبوت السنين السبعة تسعاً وأربعين سنة. وانفخ في بوق الهتاف في اليوم العاشر من الشهر السابع في يوم الكفارة تنفخون في البوق في أرضكم كلّها. وقدِّسوا سنة الخمسين ونادوا بعتقٍ في الأرض لجميع أهلها فتكون لكم يوبيلاً وترجعوا كل امرىء إلى ملكه وتعودوا كل واحد إلى عشيرته. **يوبيلاً تكون لكم سنة الخمسين لا تزرعوا فيها ولا تحصدوا خلفة زرعكم ولا تقطفوا ثمر** كرمكم الغير المقضوب. إنها يوبيل مقدَّسة تكون لكم ومن الصحراء تأكلون غلالها»[٢].

بذلك نعلم أن التقليد العالمي المعتمد اليوم في المؤسسات، والقاضي بأن تحتفل هذه المؤسسات بيوبيل فضي وذهبي، هو تقليد مستمد من الثقافة اليهودية، وهو من إسرائيليات التقاليد عند بعض الأمم.

٦ ــ يوم الغفران، أو يوم الكفارة:

إنه يوم في السنة نصت عليه الشريعة اليهودية لكون يوماً للتكفير عن الخطايا، أما موعد هذا اليوم فهو. «العاشر من شهر تشْرى ويبدأ هذا العيد قبيل غروب الشمس من اليوم التاسع من شهر تشْرى ويستمر إلى

(١) شنوده، زكي، م.س، ص ٢٦٤.

(٢) سفر الأحبار (اللاويين)، الإصحاح ٢٥، الآيات ٨، ٩، ١٠، ١١، ١٢.

ما بعد غروب شمس اليوم التالي، فمدته حوالي ٢٧ ساعة، يجب فيها الصيام ليلاً ونهاراً وعدم القيام بأي شيء ما خلا العبادة، واسمه بالعبرية: يوم كِبُّور»[١].

هذا العيد، إذن، في العاشر من تشرين الأول، وهو الشهر السابع في التقويم العبري، وهذا اليوم هو يوم للصوم من أجل تذليل النفس للرب وتعويدها على الطاعة، وفيه ينشغل يهود بالعبادة ويكفون عن أي عمل دنيوي ما خلا ذلك، واعتقادهم أن مثل هذا التقديس، في هذا اليوم، يكفر ما وقع فيه المرء من خطايا على امتداد العام، أي إنه أشبه ما يكون بيوم للتوبة ومحاسبة النفس وتطهيرها.

وقد جاء الأمر بتقديس هذا اليوم في النص التالي: «وكلّم الرب موسى قائلاً: أما العاشر من الشهر السابع هذا فهو يوم الكفارة محفلاً مقدساً يكون لكم تذلّلون فيه نفوسكم وتقرِّبون وقيدة للرب. وفي هذا اليوم عينه لا تعملوا عملاً لأنه يوم كفارة يُكفَّر فيه عنكم بين يدي الرب إلهكم. فكل إنسان لا يذلل نفسه في هذا اليوم عينه يقطع من شعبه. . . . إنه سبت عطلة لكم فتذللون نفوسكم في التاسع من الشهر من العشاء إلى العشاء تسبتون سبتكم»[٢].

٧ ــ عيد الفِصح:

الفِصح كلمة عبرية معناها العبور، وهذا العيد يتفق وقته مع موعد خروج موسى عليه السَّلام وبني إسرائيل من مصر ونجاتهم من فرعون.

---

(١) ظاظا، د. حسن، م.س، ص ٢٠٢.

(٢) سفر الأحبار (اللاويين)، الإصحاح ٢٣، الآيات٢٦، ٢٧، ٢٨، ٢٩، ٣٢.

«والفصح هو عيد الربيع. . . . وكان الشهـر الذي يقـع فيه يسمى في التوراة شهر أبيب وهي كلمة عبرية معناها الربيع.

ثم حدث أن تحددت هجرة بني إسرائيـل من مصر مـع موسى في هذا الوقت، فأصبح هذا إحياء لـذكرى نجـاة بني إسرائيـل من فرعـون، وخلاصهم من العبودية من مصر. . . ولذلك سموه: الفسح؛ أي الفـرج بعد الضيق»[1].

وعيـد الفصح تستمـر شعائـره سبعة أيـام، وقد جـاء في «قامـوس الكتاب المقدس» عن شعائر هذا العيد أنـه «أول الأعياد السنـوية الثـلاثة التي كان مفروضـاً فيها على جميـع الرجـال الظهـور أمام الـرب في بيت العبادة. . . . ويعرف أيضاً بعيد الفـطير. . . . أنشىء في مصـر تذكـاراً للحادث الذي بلغ فيه خلاص بني إسرائيل ذروته. . . .

. . . كان العيد يبدأ مساء الـرابع عشـر من شهر أبيب «المعـروف بعد السبـي شهر نيسان»؛ أي بداءة الخامس عشر منه. . . . فكان يذبح خـــروف أو جـدي بين العشــائين نحـو غــروب الشمس. . . ويشــوى صحيحاً، ثم يؤكل مع فطير وأعشاب مرَّة. . . وكان الدم المسفوك يشيـر إلى التكفيـر. أما الأعشـاب المرَّة فكـانت ترمـز إلى مـرارة العبـوديـة في مصـر، والفطيـر إلى الطهـارة. . . إشارة إلى أن المشتـركين في الفصح ينبذون كل خبث وشرّ ويكونون في شركة مقدسة مع الرب»[2].

الفصـح يحمل ليهـود ذكرى تحـرر بني إسرائيـل مع مـوسى عليه السَّلام من نير عبـودية فـرعون، ويـوم نجاتهم، لـذلك بـاتت له معـاني

---

(١) ظاظا، د. حسن، م. س، ص ٢١٨.

(٢) قاموس الكتاب المقدس، م. س، ص ٦٧٨، ٦٧٩.

تحمل كلها الخلاص لهذا الشعب فاستحق منهم اعتباره محطة سنوية يحتفلون بها لمدة أسبوع، وإن كان اليومان الأول والسابع هما أكثر أيام الفصح قداسة فهما كالسبت تماماً.

والاحتفال بالفصح أمر به موسى قومه، حيث جاء على لسانه في سفر الخروج: «فقال موسى للشعب اذكروا هذا اليوم الذي خرجتم فيه من مصر من دار العبودية لأن الرب أخرجكم بيد قديرة من هناك ولا يُؤكل خمير. اليوم أنتم خارجون في شهر الإسبال. . . . سبعة أيام تأكل فطيراً وفي اليوم السابع عيد للرب. فطير يؤكل السبعة الأيام فلا يُرى لك خمير ولا شيء مختمر في جميع تخمك»[١].

يبقى أن نقول إن عيد الفِصح هو أحد أهم الأعياد اليهودية، فهو من الأعياد التي أُمروا بالاحتفال بها قبل سواها، كما أنه يحمل معنى النجاة لهم بقدرة إلّهية من مصر، لذلك يحتل الفصح موقعاً هاماً في التقاليد والشعائر عندهم.

٨ ــ عيد الحصاد، أو عيد الخمسين:

يرتبط هذا العيد بمناسبتين هما: موسم الحصاد للقمح، حيث يجب على من جنى موسمه أن يقدم باكورة إنتاجه قرباناً للرب، والمناسبة الثانية هي ذكرى نزول الناموس، أو الشريعة، على موسى عليه السّلام بعد الخروج من مصر وذلك في طور سيناء.

«عيد الحصاد يقع في اليوم السادس من شهر سيوان الذي هو الشهر الثالث في الأشهر العبرية، وكان ذلك العيد معروفاً بهذا الاسم

---

(١) سفر الخروج، الإصحاح ١٣، الآيات ٣، ٤، ٦، ٧.

لأنه يجيء بعد الانتهاء من حصاد القمح . . . وكان يسمى، فضلاً عن ذلك، عيد الخمسين لأنه يقع في اليوم الخمسين بعد اليوم الثاني من الفصح»[1].

وهذا العيد الذي يقع في شهر سيوان (حزيران) (يونيو) يسمّى كذلك بيوم الباكورة لأنه فيه تقدّم باكورة الزرع قرباناً. وعيد الحصاد هو «أحد الأعياد الثلاثة التي كان يتحتم على الذكور من الشعب أن يذهبوا فيها ليمثلوا أمام الرب. . . وكان يعتبر سبتاً، أي زمن راحة لا يقومون فيه بأي عمل بل يجتمعون معاً للعبادة. . . وقد بدأ في الأول كيوم شكر لأجل الحصاد في البلاد المقدسة، وكانت مدته يوماً واحداً، وكانوا يقدمون فيه رغيفين من الدقيق الذي طحن غلّة الحصاد. . . وكذلك كانوا يقدمون عشر ذبائح في ذلك اليوم. . . وكانوا يحثُّون الشعب في هذا العيد أن يذكروا المحتاجين كاللاوي والعبد والأَمَة واليتيم والأرملة. . . ويقول التقليد اليهودي إن الناموس أُعطي في اليوم الخمسين بعد خروجهم من مصر، ولذا فحفظ اليهود اليوم تذكاراً. لإعطاء الناموسى أكثر مما يحفظونه كيوم عيد جمع الحصاد»[2].

من النصوص التي تتحدث عن هذا العيد وشعائره النص الآتي: «واحسبوا لكم من غد السبت من إتيانكم بحُزمة التحريك سبعة أسابيع تامة تكون. إلى غد السبت السابع تحسبون خمسين يوماً ثمَّ تقربون تقدمة جديدة للرب. تأتون من مساكنكم بخبز للتحريك رغيفين عُشري سميذ يكونان ويخبزان خميراً باكورة للرب. وقرّبوا مع الخبز سبعة

---

(١) شنوده، زكي، م.س، ص ٢٧٤.

(٢) قاموس الكتاب المقدس، م. س، ص ٣٥٠.

حملان صحاح حوليات، وعجلاً من البقر، وكبشاً يكونـان مُحرقـة للرب مع تقدمتهما وسكبيهما وقيدة رائحة رضىً للرب»[1].

وقد يطلق على هـذا العيد أيضـاً العنصرة «خـاصة في المصـطلح المسيحي، والعنصـرة هي الذكـرى السنويـة للعهد الـذي أعـطاه الـرب لموسى، أي الشريعة التي حملها يهود فيما عرف عندهم بتابوت العهد. وبذلك يكون هذا العيد قد انتقل من مناسبـة ترتبط بـالزراعـة والموسم، إلى مناسبة ترتبط بمحطة هامة في تاريخ اليهودية.

٩ ــ عيـد المظـال:

يسمى بالعبرية «سكوت»، وهذا العيد من الأعياد الثلاثة الأساسيـة عند يهود بعد «الفصح» «والحصاد». وفي أثناء الاحتفال به تعتمد الخيام مساكناً، وذلك للتذكير بإقامة بني إسرائيل في الخيـام في صحراء سينـاء بعد خروجهم من مصر.

في هـذا العيد كـان على الرجـال الظهـور أمام الـرب في الهيكـل كعيدي الفصح والحصاد، ويحدثنا «قاموس الكتاب المقدس» عن سائـر أمـور هذا العيـد فيقول: «اشتق الاسم من عـادتهم في أن يسكنوا مـظالاً أثناء مدة العيـد. . . وكانت تنصب هـذه بعد تشييـد الهيكل في أورشليم في سـاحـات المـدينـة، وعلى سـطوح البيـوت وأفنيتهـا، وفي دور الهيكـل. . . وعلى الجبال المجـاورة لأورشليم، وكان قمـة الأعيـاد في السنـة. . . وكان يقـام في الشهـر السـابـع، الـذي كـان بسبب رقمـه مقدساً، عند نهاية الفصل الزراعي، بعد أن تكون غلال البيـادر وبساتين

---

(١) سفر الأحبار (اللاويين)، الإصحاح ٢٣، الأيات ١٥، ١٦، ١٧، ١٨.

الزيتون والكرم قد أدخلت إلى الأهراء، ولذا سُمِّي عيد الجمع»[1].

هذا العيد إذن يقع في شهر تشرين الأول (أكتوبر)، وابتداؤه يكون في الخامس عشر منه ومدته ثمانية أيام. «أما اليوم الخامس عشر من الشهر السابع ففيه في أوان جمعكم غلّة الأرض تعيِّدون عيداً للرب سبعة أيام في اليوم الأول منها عطلة وفي اليوم الثامن عطلة»[2].

ومن النصوص التي أمرت بالاحتفال بهذا العيد ما جاء في سفر تثنية الاشتراع: «واصنع لك عيد المظال سبعة أيام حيث تستغل بيدرك ومعاصرك. واخرج في عيدك هذا أنت وابنك وابنتك وعبدك وأمتك واللاوي والغريب واليتيم والأرملة الذين في مدنك»[3].

١٠ ـ عيد الفوريم:

لم يكن هذا العيد وارداً في الشريعة اليهودية، وإنما هو مستحدث، ويعبِّر عن ذكرى هامة عندهم هي ذكرى نجاتهم من قرار هامان، وزير أرتحششتا الذي كان يتضمن الإيقاع بيهود، وكانت نجاتهم بسبب وساطة «أستير» مع أرتحششتا الذي كان قد تزوج منها. وأستير كانت تعمل وفق توجيهات مردخاي الذي كان قد تعهدها بعد وفاة أبويها.

هذا العيد يقع في أواسط شهر آذار، يومي الرابع عشر والخامس عشر، وكانوا يقدمون على هذا العيد يوم صوم هو الثالث عشر.

---

(١) قاموس الكتاب المقدس، م. س، ص ٥٨٦، ٥٨٧.

(٢) سفر الأحبار (اللاويين) الإصحاح ٢٣، آية ٣٩.

(٣) سفر تثنية الاشتراع، الإصحاح ١٦، آية ١٣، ١٤.

«فوريم» اسم عبري معناه قُرَعٌ، وهو عيد يهودي أنشىء تذكاراً لخلاص اليهود المسبيين في بلاد فارس من مجزرة شاملة أعدها لهم هامان. وكان قد ألقى (فورا)، أي قرعة، ليتأكد من اليوم المناسب لتنفيذ خطته الجهنمية. . . . يدعى العيد يوم مردخاي. ومنذ إنشائه شاع الاحتفال به بين اليهود بطريقة معينة ثابتة. فاليوم الثالث عشر كان صوماً. . . ويعتبر عندهم أول يوم الرابع عشر، كانوا يجتمعون في المجمع وبعد خدمة الصلاة المسائيه، كان يبدأ بقراءة سفر أستير، وعند ذكر اسم هامان كان جمهور المصلين يصرخون لِيُمْحَ اسمه»[١].

بعد زوال خطر هامان، وبعد أن استجاب أرتحششتا لطلب أستير، وبسبب ذلك سُلِّطِ يهود على سواهم من الشعوب، بعد ذلك كتب لهم زعيمهم يومها مردخاي «فسَنّ عليهم أن يعيِّدوا في اليوم الرابع عشر من شهر آذار واليوم الخامس عشر منه في كل سنة. في اليومين اللذين استراح فيهما يهود من أعدائهم والشهر الذي تحول لهم الحزن فيه إلى فرح والنوح إلى يوم حبور، ليجعلوهما يومي وليمة وفرح وتوجيه أنصبة من بعضهم إلى بعض وعطايا للفقراء. . . . لذلك دعوا هذين اليومين فوريم أخذاً من اسم الفورا، ولذلك من أجل جمع كلمات هذه الرسالة وما رأوا من ذلك وما حلّ بهم»[٢].

١١ ـــ عيد الفطير:

هذا العيد يقدّم فيه الفطير دون خميرة من أجل تذكر ما حلّ ببني إسرائيل عند خروجهم من مصر حيث أكلوا الفطير، ومناسبته هي

---

(١) قاموس الكتاب المقدس، م. س، ص ٦٩٨.

(٢) سفر أستير، الإصحاح ٩، الآيات ٢١، ٢٢، ٢٦.

إعادة بناء الهيكل في ملك داريوس.

يسمى هذا العيد بالعبرية «حج هَمصَّوت» و «طقوسه توجب على اليهود أن يأكلوا فيه الخبز من عجين فطير، لا يدخله الملح ولا الخميرة تذكيراً بأنهم، عند فرارهم مع موسى من وجه فرعون، لم يكن لديهم الوقت ولا فراغ البال للتأنق في الخبز و الانتظار على العجين حتى يخمر»[1].

لكن هذا العيد اتخذ معنى الفرح عندما بات مناسبة لذكرى إعادة بناء الهيكل بعد السبي. وقد جاء في سفر عزرا: «فكمل هذا البيت في اليوم الثالث من شهر آذار من السنة السادسة في ملك داريوس الملك. ودشَّن بنو إسرائيل والكهنة واللاويون وسائر بني الجلاء بيت الله هذا بفرح.

وعملوا عيد الفطير سبعة أيام بفرح لأن الرب فرَّحهم وأمال قلب ملك أشور إليهم ليشدد أيديهم في عمل بيت إلَه إسرائيل»[2]، وهذا العيد أيضاً هو الآخر عيد مستحدث ليس في أصل الشريعة الموسوية.

١٢ ـ عيد التجديد:

هذا العيد ليس من الأعياد التي نصَّت عليها الشريعة الموسوية، وإنما هو عيد يرتبط كذلك بموضوع الهيكل وتطهيره، وقد اعتمد في مرحلة متأخرة نسبياً.

جاء في «قاموس الكتاب المقدس» عن هذا العيد: «أحد الأعياد

---

(١) ظاظا، د. حسن، م.س، ص ٢١٩.

(٢) سفر عزرا، الإصحاح ٦، الآيات ١٥، ١٦، ٢٢.

اليهودية السنوية، أنشأ الاحتفال به يهوذا المكابي سنة ١٦٥ ق.م. تذكاراً لتطهير الهيكل وتجديده. وبعد ثلاث سنوات دنسه اليونان بأمر أنطيوخس إبيفانس سنة ١٦٣ ق.م، كما جاء في تاريخ المكابيين الأول. . . ويسمّى هذا العيد عيد الأنوار. . . وكان الاحتفال بهذا العيد يشبه الاحتفال بعيد المظال ويدوم ثلاثة أيام ابتداءً من ٢٥ كانون الأول (ديسمبر)، ويقع عادة في الشتاء»[١].

النص عن هذا العيد في سفر المكابيين الأول هو: «ورسم يهوذا وإخوته وجماعة إسرائيل كلها أن يعيِّد لتدشين المذبح في وقته سنة فسنة مدة ثمانية أيام من اليوم الخامس والعشرين من شهر كِسلو بسرور وابتهاج»[٢].

هذه أعياد يهود كلُّها ما نصت عليه الشريعة، وما لم تنص عليه، وإنما اعتمدت لاحقاً حفظاً لذكرى معينة يريدون إحياءها.

• • •

(١) قاموس الكتاب المقدس، م. س، ص ٢٥١.
(٢) سفر المكابيين الأول، الإصحاح ٤، آية ٥٩.

الفصل التاسع

صورة الأخلاق اليهودية

إن دراسة تحليلية لبعض النصوص والمفاهيم عند يهود تفيد كثيراً في فهم نفسيتهم، وفي معرفة كيفية تعاطيهم مع شؤون الحياة. وإن الوقوف أمام بعض الصور الخلقية لهم ضروري في سياق هذا الكتاب، وذلك لتُستكمل الصورة عند القارىء في التعرف على مفاهيم يهود الدينية والاجتماعية والثقافية، والغرض من ذلك، فيما بعد، هو العمل على مواجهتهم، ودرء خطرهم، إذ لا يمكن رد خطرٍ قبل الوقوف عليه.

تحقيقاً لهذه الغاية سنتعرض في البحث للموضوعات التالية:

١ ــ الاستعلاء والانعزال:

تبدأ حكاية الاستعلاء مع ذلك التقسيم اليهودي للبشر إلى قسمين: يهود ــ وجوييم.

يهود هم شعب الله المختار، وهم صفوة المجتمعات كما يزعمون، أما باقي الناس فهم، وفق زعمهم، جوييم، وهذا اللفظ عندهم كان يطلق على الوثنيين، ومن ثمَّ بات يطلق على كل غير اليهود.

والجوييم أو الأمميون؛ أي غير اليهود، بات لهذه الكلمة تفسير يحمل منتهى الاحتقار لكل شخص غير يهودي، هذا التفسير هو أن

الجوييم هم حيوانات خلقهم الله على صورة آدميين ليخدموا اليهود.

ويأتي في التوراة، والعهد القديم عامة، حشد من النصوص التي يزعمون فيها أنهم شعب الله المختار والخاص، وأن كل شيء لهم، وأنهم شعب مقدس إلى آخر ما هنالك من التعابير التي تخدم مفهوم الاستعلاء اليهودي.

الإيمان وحدهم هم مخصوصون به، والشريعة نزّلت لهم دون غيرهم، وبركة الله لا تُعطى إلاَّ لهم... إلخ.

من النصوص التي جاءت تدلك على ما ذهبنا إليه النصوص التالية:

«والآن إن امتثلتم أوامري وحفظتم عهدي فإنكم تكونون لي خاصة من جميع الشعوب لأن جميع الأرض لي. وأنتم تكونون لي مملكة أحباراً وشعباً مقدساً هذا هو الكلام الذي تقوله لبني إسرائيل»(١).

«لأنك شعب مقدس للربِّ إلَهك وإيّاك اصطفى الربُّ إلَهك أن تكون له أمة خاصة من جميع الأمم التي على وجه الأرض»(٢).

«وأقيم عهدي بيني وبينك وبين نسلك من بعدك مدى أجيالهم عهد الدهر لأكون لك إلَهاً ولنسلك من بعدك»(٣).

«إسمع يا شعبي فأُشهد عليك يا إسرائيل إن سمعت لي»(٤).

---

(١) سفر الخروج، الإصحاح ١٩، آية ٥، ٦.

(٢) سفر تثنية الاشتراع، الإصحاح ٧، آية ٦.

(٣) سفر التكوين، الإصحاح ١٧، آية ٧.

(٤) سفر المزامير ٨٠، آية ٩.

من هـذا النوع من النصـوص يوجـد الكثيـر، وعليهـا يعتمـد قـادة الصهيونية اليوم، كما في السابق، لتوليد نظرة الاستعـلاء عند يهـود على غيـرهم من النـاس، ولـذلـك تـراهم يشككـون بعقـائـد كـل النـاس، وبأخلاقهم، ومفهومهم أن غيرهم فاسدون وهم مقدسون، مـع العلم أن يهود ـ الذين باتوا اليوم صهاينة في الغالب ـ غارقون في الفسـاد، لا بل هم صانعو الفساد كما تدل نصوصهم، وكما يُلاحظ من مسلكهم.

وما دام غير اليهود عندهم جـوييم (وثنيون) فـانظر كيف يشككـون بسلوكهم من خـلال نصـوص التلمـود، حيث يـوصـون قـومهم قـائلين: «يجب أن لا تـوضع المـاشية في خـانات الـوثنيين لأنه يُشـكُّ بـأنهم قـد يضـاجعونهـا، وللسبب ذاته يجب أن لا تبقى معهم أنثى بمفـردها، لأنـه يُشـكُّ بأنهم قـد يتطاولـون عليها بـالفعل القبيـح، ولا يجلس معهم ذكـر بمفرده، لأنه يُشكُّ بأنهم قد يسفكون دمه»[١].

ويـأتي في هذا البـاب كذلـك هذا النص: «قـال ح. يهودا بـاسم صمـوئيل، مستشهـداً بـ ح. حنـانيـا: لقـد رأيت وثنيـاً اشتـرى إوزة من السوق، فضاجعها، ثمَّ قطعها، فشواها، وأكلها، وقال إرميا من دفتـه أنه شهد واقعة مماثلة مع عربي»[٢].

احتقـار الآخرين هـو سيِّـد المـوقف في الفكـر اليهـودي، واتهـام سـواهم بالفسـاد هو ديـدنهم، وما سبق ذكـره يدلِّـل بشكل واضـح على ذلـك، وبسبب هـذه التـربيـة وجـد يهـود أنفسهم في مـوقـع اجتمـاعي لا يستطيعون فيه التعايش مع غيرهم.

---

(١) التلمود البابلي ورسالة عبدة الأوثان، م.س، ص ٧٥.

(٢) التلمود البابلي، م.س، ص ٧٦.

احتقار الآخرين والاستعلاء اللذان سادا الفكر اليهودي ولَّدا حالة نفور بين يهود وأبناء مجتمعهم في أي بلد وُجدوا فيه، مما أنتج عقلية الانعزال عن الآخرين عندهم، وهذه أدت إلى الأحياء اليهودية المغلقة، وهي ما عُرفت باسم «الجيتوات».

إن صيغة «الجيتو»، وهو الحي السكني الذي ينعزل فيه يهود، تبلورت في أوروبا، وكانت ـ كما سبق القول ـ نتيجة طبيعية للتربية اليهودية القائمة على الاستعلاء على غير يهود واحتقارهم.

وأترك تعريف «الجيتو» للدكتور عبد الوهاب المسيري: «حي مقصور على إحدى الأقليات الدينية أو القومية. ولكن كلمة جيتو تستخدم بشكل خاص للإشارة لأحياء اليهود في أوروبا.

وقد أقيم أول حي يهودي، يُطلق عليه جيتو، في البندقية عام ١٥١٦م، كما أقام البابا بول الرابع جيتو آخر في روما عام ١٥٥٥م. وأصل الكلمة غير معروف على وجه الدقة، فيقال: إن أصلها هو حي اليهود في البندقية الذي نُسب إلى الجيتو؛ أي مصنع المدافع الذي أُقيم بجواره؛ ويُقال أيضاً إن الكلمة مشتقة من الكلمة الألمانية جهكتر، التي تعني مكاناً محاطاً بالأسوار، أو من الكلمة العبرية جت، بمعنى الانفصال، أو الطلاق، الواردة في التلمود. ولعل أكثر التفسيرات قرباً من الواقع هو ذلك الذي يعود بالكلمة إلى كلمة بورجيتو الإيطالية، التي تعني قسماً صغيراً من المدينة»[١].

---

(١) المسيري، د. عبد الوهاب، الايديولوجية الصهيونية، القسم الأول، الكويت، سلسلة عالم المعرفة، صفر وربيع الأول ١٤٠٣هـ، كانون الأول ١٩٨٢م، ص ٣٤.

الجيتوات التي انتشرت في أوروبا من القرن السادس عشر فصاعداً، جعلت حالة الانعزال اليهودية تصل إلى مداها الأقصى، فبعض هذه الجيتوات كانت تحاط بأسوار ويكون لها مدخل واحد يقفل بابه ليلاً، والسلطة في هذه الأحياء كانت للحاخامات حيث تركت لهم الحكومات الأوروبية أمر تنظيم الجانب الاجتماعي لليهود وكل ما يتعلق بالأحوال الشخصية. هذا النظام «الجيتوي» كان مناسباً للمفهوم اليهودي للآخرين القائم على الاستعلاء عليهم، والنظرة الدونية لهم.

٢ ــ العدوانية والعنف:

إن عقدة الاستعلاء مقرونة بنظرة الاحتقار والشك إلى كل من سوى اليهود ولَّدت عند يهود روحاً عدوانية تجاه سواهم، ولذلك لم يكونوا ليتوانوا عن استخدام العنف كلما سنحت لهم الفرصة.

إن القراءة للمحطات التاريخية، التي أرَّخ لها العهد القديم، تظهر مدى عدوانية بني إسرائيل وبعد ذلك اليهود، وتتحدث نصوص العهد القديم، بشكل مستقبح، عن عمليات إبادة مارسها يهود على أعدائهم.

وتبقى نصوص التوراة والعهد القديم، عامة هي الشاهد الحيّ على عدوانية يهود، من هذه النصوص النص الآتي الذي يبرز عدوانيتهم بشكلٍ يخلو من الحد الأدنى من القيم الإنسانية.

«وإذا تقدمت إلى مدينة لتقاتلها فادعُها أولاً إلى السِّلم. فإذا أجابتك إلى السلم وفتحتْ لك فجميع الشعب الذين فيها يكونون لك تحت الجزية ويتعبدون لك. وإن لم تسالمك بل حاربتك فحاصرتها.

وأسلمها الرب إلّهك إلى يدك فاضْرب كل ذكر بحدّ السيف. وأما النساء والأطفال وذوات الأربع وجميع ما في المدينة من غنيمة فاغتنمها لنفسك وكل غنيمة أعدائك التي أعطاكها الرب إلّهك... وأما مدن أولئك الأمم التي يعطيها لك الرب إلّهك ميراثاً فلا تستبق منها نسمة. بل أبسلهم إبسالاً الحثيين والأموريين والكنعانيين والغرزيين والحويين واليبوسيين كما أمرك الرب إلّهك»[1].

ولعل اللغز المحيِّر في عدوانية يهود واستخدامهم العنف هو في أنهم نسبوا فعلهم هذا إلى أوامر إلّهية، فضمَّنوا نصوص شريعتهم مفاهيم تنبع من هذه الروح العدوانية، وهي مزاعم لا يقرها شرع ولا دين.

ومن زمرة النصوص والمزاعم التي تبرز عدوانيتهم هذا النص: «فاضرب أهل تلك المدينة بحدِّ السيف وأبسلها بجميع ما فيها حتى بهائمها بحد السيف. وجميع سلبها اجمعه إلى وسط ساحتها وأحرق بالنار تلك المدينة وجميع سلبها جملة للرب إلّهك فتكون ركاماً إلى الدهر لا تبنى من بعد»[2].

إن صور الوحشية اليهودية تبدو لك حيث ما جلت ببصرك في طيات العهد القديم، لذلك من المفيد أن نورد بعض النصوص ليعرف معاصرونا في أمة العرب، أو في العالم قاطبة، حقيقة النفسية اليهودية، وليتعرفوا على مضمون النصوص التي يقدسها يهود ويأخذون

---

(١) سفر تثنية الاشتراع، الإصحاح ٢٠، الآيات ١٠، ١١، ١٢، ١٣، ١٤، ١٦، ١٧.

(٢) سفر تثنية الاشتراع، الإصحاح ١٣، آية ١٥، ١٦.

بمضمونها، ويكون ذلك من باب فهم أساليب ومضامين التنشئة التي يخضع لها يهود منذ نعومة أظفارهم.

إن تربيتهم، ومن خلال نصوصهم المقدسة، ليس فيها عهد ولا حرمة. لنقرأ معاً هذا النص من سفر يشوع: «ولما فرغ بنو إسرائيل من قتل جميع سكان العيِّ في الصحراء وفي البرية حيث لحقوهم وسقطوا جميعهم بحدّ السيف عن آخرهم، رجع جميع إسرائيل إلى العيِّ وضربوها بحد السيف. وكان جملة من قُتِل في ذلك اليوم من رجل وامرأة اثني عشر ألفاً جميع أهل العيِّ. ولم يردد يشوع يده التي مَدَّها بالحربة حتى أبسل جميع سكان العيِّ. فأما البهائم وسلب تلك المدينة فغنمها إسرائيل لأنفسهم على حسب أمر الرب الذي أمر به يشوع. وأحرق يشوع العي وجعلها تلّ رَدْمٍ إلى الأبد خراباً إلى هذا اليوم»[1].

لا أجد داعياً للإطالة في عرض النصوص الواردة في العهد القديم والتي تدعو كلها بني إسرائيل إلى إبادة أعدائهم، وحرق مدنهم، وسلب كل ما عندهم. لكن ما أوردته أردت أن يتبيَّن القارىء من خلاله كيف يفكر ويخطط أصحاب الثقافة التوراتية، ويكون تبيُّنه هذا ـ ربما ـ مدخلاً كي يقتنع بأهمية الإعداد لمواجهتهم، ودفع خطرهم المحدق بكل الناس، فأطماعهم لا حدود لها، وهي تقف أو تنطلق وفق قدرتهم القتالية ووفق قوة سيوفهم، فحقهم حيث تتمكن سيوفهم أن تصل، وليس ذلك بمستغرب في ظل التثقيف والتوجيه اللذين يتلقونهما من قراءاتهم لنصوص العهد القديم التي أوردنا نماذج منها.

---

(١) سفر يشوع، الإصحاح ٨، الآيات ٢٤، ٢٥، ٢٦، ٢٧، ٢٨.

٣ ـ الجبن خلق يهودي :

إن بني إسرائيل ويهود، رغم ادعائهم أنهم شعب الله المختار فإنهم كانوا يخافون الموت، وكانوا شديدي الحرص على الحياة، ولذلك كثيراً ما ندموا على موقف قد يحصل لهم فيه أذىً أو تهلكة، وكثيراً ما جبنوا وخارت قواهم في ساعات الشدة.

يدلل الجبن على ضعف الإيمان، وعلى انعدام الاستّعداد للعطاء حتى في أعز المواقف وأهم المواقع. تبرز من صور جبنهم وتفضيلهم للذل والعبودية على أن يواجهوا أعداءهم، صورة موقفهم يوم الخروج من مصر مع موسى عليه السلام، وعندما لحق بهم المصريون، وخافوا على حياتهم.

صورة موقفهم هذا تعطينا فكرة عن دفائن النفس اليهودية التي تولَّد عنها قبول الذل مقابل حياة مهما كان واقعهم فيها. فقد جاء في سفر الخروج: «ولما قربَ فرعون رفع بنو إسرائيل عيونهم فإذا المصريون في أثرهم، فخافوا جداً وصرخ بنو إسرائيل إلى الرب. وقالوا لموسى: أمِنْ عدم القبور بمصر أخرجتنا لنموت في البرية؟ ماذا صنعت بنا فأخرجتنا من مصر؟. أليس هذا ما كلمناك به في مصر قائلين دعنا نخدم المصريين فإن خدمتنا لهم خير من أن نموت في البرية»[1].

وعندما وصلوا إلى أرض فلسطين وعرفوا الكنعانيين والحثّيين واليبوسيين، وسائر الشعوب المقيمة في فلسطين وما حولها، أصابهم الوهن أكثر، ووجدوا أن هؤلاء الأقوام عمالقة وأنهم معرَّضون للهلاك

---

(١) سفر الخروج، الإصحاح ١٤، الآيات ١٠، ١١، ١٢.

على أيديهم فعبَّروا عن خوفهم وجبنهم بطريقة أكثر خزياً من تعبيرهم عندما كانوا في البرية بعد الخروج من مصر.

إن الصورة التي بَدوْا عليها صورة مضحكة من شعب يزعم أنه المختار، وعنده استعلاء على غيره، لا بل هي صورة حبّ العبودية وتفضيلها على أبسط شكل من أشكال التضحية من أجل حياة عزيزة.

جاء وصفهم عند دخول فلسطين في سفر العدد على الشكل الآتي: «فرفع كل الجماعة أصواتهم وصرخوا، وبكى الشعب في تلك الليلة. وتذمّر على موسى وهارون جميع بني إسرائيل وقال لهما كل الجماعة: يا ليتنا مُتنا في أرض مصر، يا ليتنا متنا في هذه البرية. لماذا أتى الربُّ بنا إلى هذه الأرض حتى نسقط تحت السيف وتصير نساؤنا وأطفالنا غنيمة، أليس خيراً لنا أن نرجع إلى مصر»[1].

خلق يهود هو خلق الخوف والجبن وتفضيل الذل والعبودية على التضحية من أجل العزة.

٤ ــ الغدر خلق يهودي:

بما أن يهود جبناء، وكانوا يواجهون موسى معلنين أنهم وجدوا قوماً جبارين، ولو بقوا في حياة العبودية في مصر لكان أفضل لهم برأيهم، فإن الغدر غير مستغرب عليهم لأن الجبان يهرب دوماً من المواجهة، ويعتمد المكر ليغدر في الوقت الذي يمكنه أن يفعل ذلك.

قد يعطي يهود وبنو إسرائيل الأمان لقوم، لكن لم يلبثوا قليلاً حتى

---

(١) سفر العدد، الإصحاح ١٤، الآيات ١، ٢، ٣.

يغدروا بهم ما دامت أنفسهم قد سوَّلت لهم ذلك، إذ لا ذمة عندهم ولا عهد، والكلمة الفصل هي لأهوائهم ومصالحهم.

إن صورة من صور الغدر هذه يتضمنها الإصحاح الرابع والثلاثون من سفر التكوين من خلال قصة زواج شكيم بن حَمورٌ من ابنة يعقوب، حيث ثار آل يعقوب على حصول الزواج، لكن بعد شروط وضعها يعقوب وَقَبِلَ بها القوم، ومنها الاختتان، انقلب على ذلك أبناء يعقوب نفسه وغدروا بالقوم وأوقعوا القتل.

مما جاء في هذا الإصحاح: «إن هؤلاء القوم مسالمون لنا فيقيمون بالبلد ويتجرون فيه والأرض واسعة الأطراف أمامهم فنتخذ بناتهم أزواجاً ونعطيهم بناتنا... وكان في اليوم الثالث وهم متألمون أن ابني يعقوب شمعون ولاوي أخوي دينة أخذا كل واحد سيفه ودخلا المدينة آمنين فقتلا كل ذكر. وحمور وشكيم ابنه قتلاهما بحدِّ السيف، وأخذا دينة من بيت شكيم وخرجا. ثم دخل بنو يعقوب على القتلى وغنموا ما في المدينة من أجل تدنيس أختهم... وسبوا وغنموا جميع ثروتهم وكل أطفالهم ونسائهم وسائر ما في البيوت»[1].

يهود لا يتورعون عن استخدام أية وسيلة تحقق لهم ما يريدون، ولا مانع عندهم من وضع السمِّ في الدسم، ومن استخدام الحيلة تحقيقاً لمنهجهم في الغدر بالآخرين. من صور غدرهم كذلك طريقة تخلصهم من عجلون ملك موآب، الذي كانوا يعيشون في كنفه، وأرادوا التخلص منه، واستعانوا لذلك بشخص منهم هو أهود، واعتمدوا الحيلة والغدر تنفيذاً لمأربهم.

---

(١) سفر التكوين، الإصحاح ٣٤، الآيات ٢١، ٢٥، ٢٦، ٢٧، ٢٩.

بعد أن قرروا التنفيذ حصلت الوقائع التالية: «فعمل أهود لنفسه سيفاً ذا حدَّين طوله ذراع واشتمل عليه تحت ثوبه على فخذه اليمنى. وقدَّم الهدية إلى عجلون ملك موآب، وكان عجلون رجلاً سميناً جداً. فلما فرغ من تقديم الهدية شيَّع القوم حاملي الهدية. وثم رجع من عند المنحوتات التي عند الجلجال وقال لي إليك كلام سرّ أيها الملك فقال صه فخرج من عند الملك جميع الواقفين لديه. فتقدم إليه أهود وكان جالساً في غرفة صيفية له وحده وقال أهود لي إليك كلام من عند الله، فنهض عجلون عن سريره. فمد أهود يده اليسرى وأخذ السيف عن فخذه اليمنى ووجأه في بطنه»[1].

هاتان صورتان من صور أخلاق الغدر عند يهود تضمنتها نصوصهم التي يقدسونها ومارسها أسلافهم، وهي بلا شك تشكل، بالنسبة لهم في كل عصر، منهجاً تربوياً يرون من خلاله مسوغات للغدر والجريمة والخيانة.

٥ ـ الجاسوسية في السلوك اليهودي:

إن النظرة العدوانية التي ينظر من خلالها يهود إلى كافة الناس والأمم ولَّدت عندهم حالة شك وريبة تجاه الجميع، يضاف إلى ذلك حالة طمع بما في أيدي الناس، وحتى يكون لهم ذلك يعملون، من خلال التجسس، على الوقوف على حقيقة مواطن القوة عند كل شعب يريدون النيل منه كي يضربوها، ويحاولون التعرف على مواقع الضعف لينفذوا منها.

---

(١) سفر القضاة، الإصحاح ٣، الآيات ١٦، ١٧، ١٨، ١٩، ٢٠، ٢١.

من هذا القبيل نرى ما فعلوه عندما أرادوا دخول أرض كنعان مع موسى عليه السلام، فقد أشار عليهم بالتجسس على الكنعانيين للوقوف على حقيقة حالتهم قبل أن تحصل المواجهة معهم، وبذلك تكون الجاسوسية إحدى مرتكزات العمل اليهودي في مواجهة الشعوب الأخرى.

ورد في سفر العدد: «هذه أسماء الرجال الذين بَعثهم موسى **ليجسُّوا** الأرض وسمَّى موسى هوشع بن نون يوشع. وأرسلهم موسى **ليجسُّوا** أرض كنعان وقال لهم اطلعوا من هناك من الجنوب واصعدوا الجبل... فصعدوا **واجتسوا** الأرض من برِّيَّة صين إلى رحوب عند مدخل حماة... ورجعوا من جسِّ الأرض بعد أربعين يوماً... وشنعوا، عند بني إسرائيل، على الأرض التي **تجسَّسوها** وقالوا: **الأرض التي مررنا فيها لنتجسسها** هي أرض تأكل أهلها وجميع الشعب الذين رأيناهم فيها أناس طوال القامات»[1].

خمس آيات في إصحاح واحد وردت فيها كلمة تجسّس ست مرات، وهذا قدر كافٍ من الكلام لإعداد قراء العهد القديم، والذين ينظرون لنصوصه على أنها مقدسة، إعداداً يقوم على روح الجاسوسية، وعلى اعتبار الجاسوسية أحد أبرز وسائل تحقيق الأهداف التي يعملون لتحقيقها.

ويطالعنا سفر يشوع بنصوص لا تختلف كثيراً عن النص السالف الذكر وكلها، طبعاً، تعد الجاسوسية عملاً مقبولاً، وفق ما ورد في صريح العهد القديم، فقد ورد وفي سفر يشوع ما يلي: «فأرسل يشوع بن نون

(١) سفر العدد، الإصحاح ١٣، الآيات ١٧، ١٨، ٢٢، ٢٦، ٣٣.

رجلين من شطيم جاسوسين تحت الخفاء قائلاً امضيا انظرا الأرض وأريحا فانطلقا ودخلا بيت امرأة بغي اسمها راحاب وباتا هناك. فقيل لملك أريحا قد قدم إلى هنا هذه الليلة رجلان من بني إسرائيل ليجسّا الأرض. فأرسل ملك أريحا إلى راحاب قائلاً أخرجي الرجلين اللذين أتياك ودخلا بيتك فإنهما أتيا ليجسّا الأرض كلها»[١].

نخلص إلى القول بأن أمثال هذه النصوص عطفاً على الأسس الخلقية الأخرى من غدر ورياء ومكر وعدوانية. . . إلخ، جعلت من الجاسوسية إحدى مرتكزات ومكونات الشخصية اليهودية. إن القارىء لتاريخهم، وصولاً إلى واقع الصهيونية اليوم، يلاحظ، بشكل واضح، كيف أنهم صرفوا جهداً كبيراً لتنظيم أساليب وأدوات العمل الخفي والجاسوسية مما جعل ذلك طابعاً عاماً ملازماً لهم حين يجري ذكرهم.

٦ ـ الجشع وحب المال عند يهود:

إن موضوع جشع يهود وحبهم المال وسعيهم لجمعه بشتى الوسائل والأساليب، مسألة لا تحتاج إلى شواهد كثيرة، فإن لعنة الرب حلّت بهم بسبب خلقهم هذا، وإن فسادهم حصل بسبب تعلقهم بالمادة والشهوة.

ويكفي أن يقرأ الإنسان نصوص العهد القديم، أو سواه من أدبياتهم، كي يعرف حقيقة أمرهم مع المال والأمور المادية. كما أن مسائل إشاعة الربا وأنظمته، وما يستتبع ذلك من احتكار وتلاعب في التاريخ القريب والحاضر، كل هذه الأمور تشكل الشاهد الحيَّ على

---

(١) سفر يشوع، الإصحاح ٢، الآيات ١، ٢، ٣.

موضوع تعلق يهود بالمال وتقديمهم للمصالح المادية على ما عداها.

إن عرضاً لواقع حال آل يعقوب وما أتوا بـه من فساد غضب بسببـه الرّب عليهم. جاء في سفر نبوءة ميخا، يؤكد ما ذهبنا إليه تأكيـداً لا يرقى إليه شك أو نقاش. في هذا السفـر جاء القـول: «إسمعوا هـذا يا رؤسـاء آل يعقـوب وحكام آل إسـرائيل **الـذين يمقتـون العـدل ويعـوِّجـون كـلَّ استقامة. الذين يبنون صهيون بالدماء وأورشليم بـالإثم. إنما رؤسـاؤها يحكمون بالرشوة وكهنتهـا يعلِّمون بـالأجرة وأنبيـاؤها يتخـذون العرافـة بالفضة** ويعتمدون على الربِّ قائلين أليس الرب في وسطنا فـلا يحل بنـا شرٌّ»[1].

وجاء شيء من هذا القبيل في سفر نبوءة أرميا في الخطاب الموجه من الرب إلى شلُّوم بن يوشيًّا ملك يهوذا: «أمـا أنت **فإنمـا عيناك وقلبـك على السُّحت وسفك الدم الزَّكي والظُّلم والضغط**»[2].

القلب معلق بالحرام، والنفوس الخبيثة ليهود سادية يعجبها سفـك الدماء وحكمهم وإدارتهم تعتمد التسلط والظلم والعدوان. هذه الصـورة ليست الأولى ولا هي الأخيرة، بل هي نمـوذج عن خلق يهود والصهـاينة في يومنا هذا كان ولا يزال.

يأتي بين النماذج التي تعطي صورة من صـور جشع يهـود وتعلّقهم بالدنيويات ما ورد في سفر نبـوءة أشعيا، في رؤيـا أشعيا التي رآهـا على يهـود وأورشليم في أيام عُـزّيا ويـوتام وآحـاز وحزقيّـا ملوك يهـوذا، هـذه الصـورة استحقـوا بسببهـا غضب ربـه وعقـابـه. في هـذاالنص: «كيف

---

(١) سفر نبؤة ميخا، الإصحاح ٣، الأيات ٩، ١٠، ١١.

(٢) سفر نبؤة أرميا، الإصحاح ٢٢، آية ١٧.

صارت المدينة الأمينة زانية قد كانت مملوءة إنصافاً وفيها كان مبيت العدل أما الآن فإنما فيها قتلة. فِضَّتك صارت خبثاً وصِرفك مزج بماء. رؤساؤك عصاة وشركاء للسُّرَّاق كلٌ يحبُّ الرشوة ويتتبع الأجور لا ينصفون اليتيم ودعوى الأرملة لا تبلغ إليهم. فلذلك قال السيِّد ربُّ الجنود عزيز إسرائيل لأريحنَّ نفسي من معانديَّ وأنتقم من أعدائي»[1].

ويدخل في جملة ألوان الجشع وحب المال عند يهود أنهم، من أجل ذلك، كانوا يبيحون لأنفسهم مخالفة شريعتهم خاصة إذا كان الأمر يتعلق بمعاملات مالية مع غير يهود. من الأدلة على ذلك موقفهم من الربا الذي جعلوه محرماً في التعامل بينهم، مباحاً إذا كان إقراض المال لغير يهودي: «لا تُقرض أخاك بربىً في فضة أو طعام أو شيء آخر مما يقرض بالربى. بل الأجنبي إياه تقرض بالربى وأخاك لا تقرضه بالربى لكي يبارك الرب إلهك جميع أعمال يديك في الأرض التي أنت داخل لتمتلكها»[2].

أية شريعة هذه التي تنص على صيف وشتاء في آن معاً؟! وكيف يكون للإنسان موقفاً متناقضاً حيال قضية واحدة؟ الجواب: عند يهود الذين لا يرون إشكالاً في التلاعب بشريعتهم كل الأمور تهون إذا كانت تحقق ربحاً مالياً أو تدر نفعاً مادياً. في هذه الصورة الأخيرة تظهر حكاية الجشع وحب المال عندهم بأبشع صورها.

● ● ●

---

(١) سفر نبؤة أشعيا، الإصحاح ١، الآيات ٢١، ٢٢، ٢٣، ٢٤.

(٢) سفر تثنية الاشتراع، الإصحاح ٢٣، آية ١٩، ٢٠.

الفصل العاشر

الصهيونية: نشأتها وأهدافها

تعودالصهيونية، تسمية، إلى زعم تاريخي أشاعه يهود، والصهاينة غير اليهود، مع أوائل القرن السادس عشر، هذا الزعم هو أن جبل صهيون، وهو ربوة مطلة على القدس أقيم عليها الهيكل، هو وما يجاوره من أرض فلسطين ـ وبشكل خاص القدس ـ حق لهم يجب أن يعود إليهم علماً أن نصوص الكتاب المقدس في قسمه الأول (العهد القديم) ـ كما مرّ سابقاً ـ تفيد، بما لا يقبل الشك، بأن القدس لم تكن موطناً للعبريين ولا ليهود فيما بعد إلا لفترات قصيرة ولاحقة، وغالباً كانوا يقيمون فيها مع سواهم.

وجبل صهيون نفسه أقام عليه اليبوسيون، أبناء عم الكنعانيين، حصنهم، وكانت القدس عاصمة مملكتهم اليبوسية قبل ظهور النبي موسى عليه السلام ومعه اليهودية بما لا يقل عن ألفي عام.

إن استخدام الاسم «صهيونية» لمؤسسة سياسية مع النصف الثاني للقرن التاسع عشر تعمل من أجل إقامة وطن قومي يهودي في أرض فلسطين وما حولها، ما هي إلاّ محاولة تقوم على الزعم والتزوير هدفهم منها ربط الفكرة السياسية بالمعتقد الديني من أجل أن يكون للفكرة السياسية وقعها على النفوس، وليكون لها فعلها في السلوك، وهذا

ما كان فعلاً، حيث كانت، ولا تزال، الفكرة الصهيونية تجمع حولها يهود مع ملايين من مسيحيي أوروبا وأمريكا وسواهما الذين أخذوا بهذه الفكرة، خاصة بعد ظهور ما سُمِّي بحركة الإصلاح الديني.

ترتبط الفكرة السياسية بالفكرة الدينية انطلاقاً من الدراما التي تعود إلى بكاء يهود المشتتين المسبيين بعد السبي البابلي لهم في القرن السادس قبل الميلاد، وانطلاقاً من هذه الدراما يصوِّرون الارتباط الوجداني بأورشليم (القدس) ارتباطاً تمليه الضرورة الدينية، وستحلُّ اللعنة على من لا يكون عنده الشوق لها، وعلى من لا يعمل للعودة.

جاء في سفر المزامير: «على أنهار بابل هناك جلسنا فبكينا عندما تذكرنا صهيون. . . . هناك سألَنا الذين سبونا نشيداً والذين عذبونا تطريباً أن رنموا لنا من ترانيم صهيون. . . . إن نسيتك يا أورشليم فلتنسني يميني. ليلتصق لساني بحنكي إن لم أعلِ أورشليم على ذروة فرحي».

لكن المسبيين هم يهود القرن السادس قبل الميلاد، فما علاقة يهود اليوم، وهم من قوميات وأممٍ شتى؟ ثم ما علاقة جماعات من مسيحيي أوروبا وأمريكا الذين تبنّوا الفكرة نفسها؟ هنا تبدأ حكاية التزوير من أجل صنع رداء ديني يهودي مزعوم لمشروع صهيوني ـ استعماري.

وإذا كان يهود يبررون زعمهم، من خلال ما أوردوه في سفر التكوين، بأن الرب وعد إبراهيم بأن يمنحه أرض الكنعانيين، فإن ما يجب أن نعلمه هو أن قطاعاً واسعاً من غير يهود من خلفاء «المتطهرين المسيحيين البريطانيين» ولاحقاً من الإنجيليين وسواهم يؤمنون الإيمان

نفسه، لا بل يعدُّون العمل من أجل إنجاز ذلك الوعد واجباً دينياً مقدساً ومن لا يقوم به فعليه لعنة الرب.

هذا الوعد المزعوم جاء فيه في خطاب لإبراهيم: «وأعطيك أرض غربتك لك ولنسلك من بعدك جميع أرض كنعان ملكاً مؤبداً وأكون لهم إلهاً»(1).

تأسيساً على ما تقدم نستنتج بأن الصهيونية ليست اليهودية التي هي رسالة دينية، وإنما الصهيونية حركة سياسية تضم يهود وغير يهود، سواء أكانوا أفراداً أم مؤسسات وحركات، ولكن ما يجمع أتباع الحركة الصهيونية هدف مشترك بينهم هو جمع اليهود ولمّ شملهم وتهجيرهم إلى فلسطين لتأسيس دولة فيها، تنفيذاً لحلم يهودي عنصري اتخذ من الفكرة الدينية ستاراً لجريمته وعدوانه، ومن جهة ثانية تكون هذه الدولة المصطنعة خادماً أميناً، وحارساً موفور الطاقات للمصالح الاستعمارية الغربية الأوروبية سابقاً، ولها ولأمريكا لاحقاً.

يضاف إلى هذه المحركات عامل آخر هو العنصرية اليهودية التي برزت في وسط يهود أوروبا، الذين عاشوا في «الغيتوات»، وهم ممتلئون حقداً على المجتمع المحيط بهم حيث رفضوا الاندماج بالمجتمع الأوروبي، وفي أحيائهم هذه عاشوا ضمن نظام ديني ـ اجتماعي غير متجانس مع ما يحيط به، وبذلك ازدادت الرغبة الأوروبية بحل هذه الإشكالية بترحيل ما أمكن من يهود إلى أرض فلسطين.

عن هذا الأمر تحدَّث د. حسَّان حلاق قائلاً: «تعتبر الصهيونية

---

(1) سفر المزامير، مزمور ١٣٦، الآيات ١، ٣، ٥، ٦.

حركة عنصرية استعمارية نادت بحلول انعزالية لما أسمته المشكلة اليهودية، لأنها عارضت اندماج اليهود في أوطانهم الأصلية، ودفعتهم للهجرة إلى فلسطين زاعمة أن لهم فيها حقوقاً تاريخية وسياسية ودينية. وفي أواخر القرن التاسع عشر التقت الأهداف الصهيونية بأهداف التوسع الاستعماري الأوروبي، وفي عصر سيطرة الرأسمالية الأوروبية في وسط وغربي وشرقي أوروبا، فوجدت الصهيونية في هذا الاستعمار وسيلة للوصول إلى تحقيق غاياتها، بينما وجد الاستعمار في الصهيونية جسراً لتدعيم نفوذه في المناطق العربية.

. . . وعلى أساس هذا الواقع استطاعت الصهيونية التعامل مع الدول الاستعمارية نظراً لوحدة أهدافهما . . .»[1].

لقد التقت الإرادتان الصهيونية والاستعمارية بناء على دراسات واستطلاعات وليس من باب الصدفة، وكان من أبرز الاستطلاعات ذلك الذي قامت به لجنة استعمارية بريطانية كُلِّفت بذلك من قبل رئيس وزراء بريطانيا كامبل بنرمان، وقد عُرِفت اللجنة باسمه.

بعد استطلاع اللجنة المكلفة من قبل بنرمان وانتهائها من أعمالها، تمت الدعوه لمؤتمر استعماري في لندن سنة ١٩٠٧م من قبيل تحديد الدور البريطاني في عملية اقتسام التركة العثمانية.

وقد توصل المؤتمر إلى نتيجة ملخصها: «إن مصدر الخطر الحقيقي على الدول الاستعمارية إنما يكمن في المناطق العربية من

---

(١) حلاق، د. حسّان، موقف الدولة العثمانية من الحركة الصهيونية، بيروت، منشورات جامعة بيروت العربية، سنة ١٣٩٨هـ ـ ١٩٧٨م، ص ١٢٣، ١٢٤.

الدولة العثمانية، لا سيما بعد أن أظهرت شعوبها يقظة سياسية ووعياً قومياً ضد التدخل الأجنبي والهجرة اليهودية والحكم التركي أيضاً.

وأوضح تقرير المؤتمر أهمية المنطقة العربية باعتبارها نقطة إلتقاء بين الشرق والغرب، وزاد من أهميتها وجود قناة السويس كأهم ممر مائي لأوروبا. ورأى المؤتمر خطورة الشعب العربي على المصالح الاستعمارية نظراً لتوافر عدة عوامل يملكها: وحدة التاريخ واللغة والثقافة والهدف والآمال»[1].

إن إشكاليات أتباع اليهودية مع المجتمعات التي يعيشون فيها في الغرب مضافاً إليها ـ كما ذكرنا سابقاً ـ حاجة أوروبا عامة، وبريطانيا خاصة، لجسم غريب يزرعونه في قلب الأمة العربية، يشكِّل حاجزاً يمنع وحدتها، ويستنزف طاقاتها في صراعات وحروب، ويكون هذا الجسم مصدراً لكافة أنواع الأمراض والمفاسد، كل هذه الأمور ساهمت في إنشاء الحركة الصهيونية التي كانت تمهيداً لقيام دولة إسرائيل في أرض فلسطين.

الصهيونية مشروع غربي عنوان لا خلاف عليه، وقد ذهب هذا المذهب د. عبد الوهاب المسيري قائلاً: «الصهيونية كانت ولا تزال حركة غربية، ولذا فإننا حين نستخدم كلمة صهيونية بدون تخصيص فإنما نشير إلى تلك الحركة التي نشأت في الغرب واتخذت من فلسطين مكاناً لممارساتها الاستيطانية، ولم تفقد قط هويتها الغربية بانتقالها من الغرب إلى الشرق.

---

(١) حلاق، د. حسّان، م. س، ص ٢٢٢.

فـالصهيـونيـة لم تنشـأ في العـالم ككـل، أو حتى داخـل كـل التشكيلات الإثنية اليهودية المتناثرة في العـالم، وإنما هي إفـراز تشكيل حضارة محدَّدة وبقعة جغرافية محددة في لحظة زمنية محددة، ولا يمكن دراستها خارج هذا التشكيل»[1].

بنـاء على ما تقـدم نكون قـد وصلنا إلى نتيجـة مفادهـا أن إرادتين التقتـا فولـدتا الحـركة الصهيـونية، هـاتان الإرادتـان همـا: اليهـوديـة ـ المجتمع الغربـي، وهنا نصل للسؤال: كيف نشأت الصهيونية؟

بعـد حقبـة سميت، في التصنيف الغـربـي، بـالقـرون الـوسـطى سـادتهـا حـالـة ظـلام في جـانب الفكـر، وظلم في جـانب السيـاسـة والاجتماع، ومع اطلاع الغرب على الفكر العربـي ـ الإسـلامي، وعلى فكر الشعوب الأخرى ـ اليونان خاصـة ـ بدأت حـركات وتحـركات من أجل الخروج من هـذا الواقـع الصعب، وترافق ذلـك مع حـركة نهـوض وكشف علمي في علم الفلك وسائر العلوم الأخـرى، مما انعكس بـداية تمرد على الواقع الذي كانت تتقاسم فيه النفوذ الكنيسةُ والإقطاعُ.

وإذا كان سياق البحث لا يحتمـل الإطالـة في عرض واقـع أوروبا في القرون الوسطى، لكن لا بد من التذكير بمحـاكم التفتيش التي كانت تمنع حرية الفكر والتأليف والكشف العلمي، ولا بد من التـذكير كـذلك بالوضع الإقطاعي ـ الاقتصادي للكنيسة، حيث وصل بها الأمـر إلى حد التـدخل في شؤون الآخـرة، من خلال بيـع صكـوك غفـران للمـواطنين

---

(١) المسيري، د. عبد الوهاب، الصهيوني، في: الموسوعة الفلسطينية، م.س، ص ٢٣٤.

المذنبين، تحت شعار مفاده أنها (صكوك الغفران) تُدخِل حاملها الجنة.

وعرفت المجتمعات الأوروبية، كذلك في تلك الحقبة، حركة اضطهاد لليهود وعدم اعتراف بهم دفعتهم كي يرحلوا إلى مجتمعات عربية وإسلامية ينشدون الأمن فيها، ولذلك بات عدد اليهود كبيراً في الأندلس (أسبانيا اليوم)، وهؤلاء اليهود رحلوا مع العرب المسلمين عن الأندلس يوم سقطت في يد الصليبيين، قسم منهم انتقل إلى المغرب العربي حيث توجد حتى اليوم مجموعة سكانية يهودية كبيرة، وقسم آخر رحل إلى تركيا وهؤلاء خرج من صفوفهم من عُرِفوا باسم يهود الدونمة.

نشأت، في ظل هذا المناخ، حركات إصلاح في الكنيسة كان أبرزها تلك التي قاد «كالفن» و«مارتن لوثر»، والتي أطلق عليها اسم البروتستانت (Protestante)، ومعنى الكلمة بالعربية: المحتجون.

البروتستانت كانت حركة انشقاق كبير في الكنيسة الغربية الكاثوليكية، وعنها تفرعت حركات وفرق دعت إلى اعتماد العهد القديم مع العهد الجديد في صيغة الكتاب المقدس، وإلى إلغاء النظرة السلبية عند الكنيسة حيال يهود، هذا الأمر فتح الطريق للأدبيات اليهودية ــ خاصة العهد القديم ــ كي تنتشر في أوروبا، ونتج عن ذلك مدارس دينية وفلسفية وأدبية وفنية استفادت من النصوص العبرية، وهذا أمر ساهم في تسويق فكر يهودي هيَّأ الأجواء لنشأة الحركة الصهيونية فيما بعد.

يأتي في مقدمة المجموعات التي سوَّقت للأدبيات العبرية مجموعة دينية بريطانية متطرفة سُمِّيت البيوريتيين (Puritains)

المتطهرين، أما عن دور هؤلاء فإنه يكفي أن نعلم بأن النهضة العبرية قد وصلت «بأفكارها المتداخلة المؤيدة للصهيونية ضمناً ذروتها في عهد الثورة البيوريتانية في إنجلترا في القرن السابع عشر. وكانت البيوريتانية تمثل أشد أشكال البروتستانتية تطرفاً كما كانت الوريث المباشر للكالڤينية. وقد غالى البيوريتانيون في إجلال الكتاب المقدس مع إعطاء الأولوية للعهد القديم تماماً كما كانت الحال في جنيف في عهد الكالڤينيين.

وكان البيوريتانيون يجمعون بين نزعة حب الخير لليهودية والانطباع بأن اليهود هم خلفاء العبرانيين القدامى... كانت معلومات البيوريتانيين عن الحياة اليهودية مستقاة من اطلاعهم على التوراة العبرية والتماثل بينهم وبين شعب الله»(١).

ساهمت البيوريتانية بتوليد قابلية للغزو الثقافي العبري، وأشاعت الثقافة اليهودية، حتى على المستوى الشعبي، وقد أدى هذا الغزو للأدبيات العبرية إلى تبديل النظرة لفلسطين في أذهان البريطانيين، والحال نفسها كانت تحصل في دول أوروبية كثيرة.

فلسطين كانت في مفهوم البريطانيين والأوروبيين الأرض المقدسة التي جرَّد أجدادهم الحملات الصليبية من أجل السيطرة عليها، لكنها، هذه المرة، باتت عندهم أرض الميعاد التي يجب أن يجتمع فيها يهود،

---

(١) الشريف، ريجينا، الصهيونية غير اليهودية، ترجمة أحمد عبد الله عبد العزيز، الكويت، سلسلة عالم المعرفة، ربيع الأول ١٤٠٦هـ، كانون الأول ١٩٨٥م، ص ٥٠.

فهي وطنهم الـذي يكون اجتمـاعهم فيها مقـدمة لعـودة المسيح المنتـظر استناداً لنبوءات العهد القديم.

استناداً إلى ما تقدم نلاحظ بأن صهيونية غير يهودية بدأت تنشأ في أوروبا، أو أصولية مسيحية تتبنى طروحات العهـد القديم، كمـا صاغهـا يهـود، بما فيهـا الحق المزعـوم بـالعـودة إلى فلسـطين. إن سيـادة هـذا المفهوم ضربت فكرة مسيحية أوروبية طالمـا تحمَّس لها ورثـة الصليبيين الذي كانوا يسعون لإعادة الكرَّة مرة ثانية.

هذه الأصولية المسيحية، التي أوجدت صهيونية غير يهـودية، هي التي جعلت ثمـة قبولاً لمـزاعم يهـود عنـد قـطاع واسـع من الأوروبيين، حيث أفهمتهم بـأن العهـد الألفي السعيـد (الألف سنـة التي تبـدأ بعـودة المسيح المنتظر ويعم فيها السَّلام والعدل) لن يبدأ إلاّ بعـد تجميع يهـود في فلسطين وتنصيرهم.

الصهيـونية المسيحيـة الغربيـة ساهمت إذن بـوجود فكـر صهيوني ذي ديباجة مسيحيـة يستند «إلى عقيـدة عودة المسيـح المخلص في آخر الأيـام ليحكم العالم هـو والقديسـون لمدة ألف عـام يسـود فيهـا العـدل والسلام.

ويرى المؤمنون بهـذه العقيدة أنـه لن يتحقق الخلاص ولن يتمَّ إلاّ باسترجاع اليهود فلسطين، ليتمَّ تنصيرهم... وقد ظهرت هـذه العقيدة، التي يطلق عليها أحياناً العقيدة الألفية في كتب الأبوكريفـا Apocryphe؛ أي الكتب التي لا يعتـرف بها اليهـود كجزء من الكتـاب المقـدس؛ وفي سفر دانيال.

وقـد رافق شيـوع هـذه المعتقـدات تبني التفسيـر الحـرفي للعهـد

القـديم. . . الأمر الـذي أدى إلى تقبُّـل القصص الـديني الـذي يـرد في الكتاب المقدس على أنه تاريخ فعلي»[1].

إن فكـرة الاسترجـاع هذه دفعت إلى وجـود جماعـات في الـوسط المسيحي يؤمنون بأن العمـل على تجميع يهـود في فلسطين، من خـلال مشروع استيطاني، هو واجب ديني يمهد بعـد تنصيرهم مجتمعين، وفق مـا يزعمـون، إلى ظهور المسيـح المنتظر، وبـذلـك يكـون من واجبهم الإسراع في تجميع يهود في أرض فلسطين.

هذا ما سـاعد على وجـود صهيونيـة غير يهـودية، وبهـذه الطريقـة اختلطت المـزاعم بـالفكـر الـديني المشـوش والمـزوَّر بـالمصـالـح الاستعمـارية، فبـرزت الصهيـونيـة المسيحيـة، خـاصـة في الـوسط البروتستانتي في بريطانيا وبعدها في الولايـات المتحدة الأمـريكية، وقـد رفع البريطانيون من درجة حماسهم للمشروع مع ضعف الدولة العثمـانية والسعي الأوروبـي لوراثتها، وهذا ما يفسر لنا لمـاذا تمسك الإنكليـز بأن تكون فلسطين من نصيبهم في تقسيمـات سايكس ــ بيكـو مع فـرنسا في نهاية الحرب العالمية الأولى.

إن عـوامل عـديدة تـداخلت حملت أوروبا على تشجيـع استيطان يهـود في فلسطين وتجميعهم فيهـا. وعطفـاً على المبرر الـديني، الـذي ذكرناه سابقاً، لا بدَّ من تذكر عوامل أخرى منها أن المجتمعات الأوروبية كانت تعاني من يهود وانعزالهم داخلهـا، حيث كانت أحيـاء يهود تشكـل

---

(١) المسيري، عبد الوهاب، الصهيوني، في الموسـوعة الفلسـطينية، الـدراسات الخاصة، م.س، ص ٢٣٧.

مشكلة أمنية واجتماعية وسياسية للأوروبيين، لذلك أرادوا التخلص منهم، وهذا الأمر كان بين الدوافع التي حملت الأوروبيين على دعم المشروع الصهيوني.

ويمكننا أيضاً ذكر عامل آخر هو أن أوروبا ـ خاصة بريطانيا وفرنسا واليوم أمريكا ـ وجدوا في يهود مخفر شرطة جاهز لو وطّنوه في فلسطين قلب الأمة العربية لساعدهم ذلك على حماية مصالحهم في المنطقة، ويفسر لنا ذلك ما يقدم منهم وما قدم ليهود منذ بداية مشروع الاستيطان من إمكانات وتسهيلات، هذا إضافة إلى أن بعض المستوطنات بناها أوروبيون، ولعل أوائل المستوطنات كانت بجهود بريطانيين.

يتضح لنا هذا الاتجاه الأوروبي أول ما يتضح من ذلك النداء الذي وجهه نابليون بونابرت الفرنسي، أثناء حملته الاستعمارية ضد الأمة العربية وضد المسلمين في أواخر القرن الثامن عشر الميلادي. ففي نيسان ١٧٩٩م خاطب نابليون يهود جميعاً على مساندة حملته الاستعمارية واعداً إياهم بتمكينهم من بيت المقدس وبأنه سيفتح الباب لاستيطان يهود في فلسطين.

ويتضح لنا ذلك ثانياً من توجه برز من صهيوني غير يهودي هو بالمرستون (١٧٨٤م ـ ١٨٦٥م)، الذي كان وزيراً لخارجية بريطانيا أوائل القرن التاسع عشر، وتوجهه هو استخدام يهود حماة لمصالح الاستعمار من خلال ترحيلهم إلى فلسطين.

لقد أعلن بالمرستون «في رسالة بعث بها إلى السفير البريطاني في استانبول بتاريخ ١١ أغسطس ١٨٤٠م أنه: إذا عاد أفراد الشعب اليهودي

إلى فلسطين تحت حماية السلطان العثماني وبناء على دعوة منه فإنهم سيقومون بكبح جماح أي مخططات شريرة قد يديرها محمد علي أو مَن سيخلفه في المستقبل»[1].

إن الصهاينة، يهوداً كانوا أم غير يهود، يتحدثون عن استيطان يهود في فلسطين على أنه عودة، وفي ذلك بُعْدٌ عن الواقع وتزوير كبير، لأن العودة تكون لمن خرج من أرضه حيث نقول اليوم مثلاً: عودة الفلسطينيين إلى أرضهم، لكن يهود، وهم من قوميات وجنسيات متعددة، وكما مر معنا سابقاً، نسبة ٩٢ بالمئة منهم من أصل خزري، وبناء عليه نسأل أية عودة هذه التي يتحدثون عنها؟ وإن أرادوا عودة فعلية فليعملوا إذاً من أجل إحياء أمبراطورية الخزر على بحر قزوين، وبذلك يكون رجوع يهود إلى بلدهم فعلاً ألا وهي مملكة الخزر البائدة.

لكن الأطماع الأوروبية بالسيطرة على الأمة العربية، وهي القلب في العالم الإسلامي وفي العالم الثالث قاطبة، إنطلاقاً من السيطرة على فلسطين كأهم موقع استراتيجي ـ يمكنهم من هذه السيطرة ـ هو ما دفع الأمور باتجاه التفكير الأوروبي المبكر بالاستيلاء على فلسطين عبر أداة هي الصهيونية ويهود فيها.

لقد تمَّ التعبير عن هذه الأطماع بطرق مختلفة، ومن النماذج عن ذلك مقال نشرته جريدة التايمز اللندنية في ١٠ أغسطس (آب) عام ١٨٤٠م تحت عنوان «إعادة توطين اليهود» جاء فيه:

«إن اليهود الغربيين بحوزتهم القدرة المالية على شراء أو استئجار

---

(١) المسيري، د. عبد الوهاب، الأيديولوجية الصهيونية، القسم الأول، م.س، ص ١٣٦.

فلسطين من السلطان العثماني، وإرسال أعداد كبيرة من المهاجرين اليهود ليستقروا فيها شريطة أن تتمثل الدول الخمس الكبرى بتوفير الحماية اللازمة لهم. إن قيام دولة يهودية سيفصل بين تركيا ومصر، وسيدعم النفوذ البريطاني في الليفانت سياسياً وعسكرياً واقتصادياً، وبمعنى آخر فإن هذه الدولة المقترحة ستكون أداة لخدمة مصالح الاستعمار البريطاني في منطقة الشرق الأدنى»[1].

بذلك نلاحظ كيف أن فرنسا نابليون وبريطانيا البيوريتيين بدأتا بالتنافس للانقضاض على فلسطين من خلال إحياء فكرة استرجاع يهود التي ليس لها مستند أو مرتكز، لكن تحريكها كان بهدف إيجاد رداء يسترون به أطماعهم التي كانت منذ الحروب الصليبية، مع تبديل في الأسلوب وثبات على الهدف، هدف السيطرة على الأمة العربية لما لموقعها من أهمية في مفاهيم الجغرافيا السياسية عالمياً، ولأنها أرض ثروات روحية واقتصادية يحاولون، من خلالها، تحقيق أطماعهم بتوفير مناجم للخامات وأسواق لبضائعهم.

الاقتصاد وحب السيطرة اقترنا عندهم بطرح ديني أصولي ترافق مع تصاعد مناخ الحركة البروتستانتية التي ساهمت في نشر الأدبيات اليهودية.

مِنَ الَّذين أقروا بهذا الأمر وتحدثوا عنه، المفكر المصري القبطي الدكتور رفيق حبيب، ومما جاء عنده: «وإذا كان التعاطف الديني مع

---

(١) يراجع: محمود، د. أمين عبد الله، مشاريع الاستيطان الصهيوني منذ قيام الثورة الفرنسية حتى نهاية الحرب العالمية الأولى، الكويت، سلسلة عالم المعرفة، شباط ١٩٨٤م، ص ٢٠.

اليهود، قد ظهر في القرن السابع عشر في إنجلترا، فإن ذلك كان نتاج الفكر الأصولي الحرفي الذي جعل من اليهود شعباً مختاراً لله وحتى نهاية العالم. وفي ذلك الوقت، بدأ ظهور المؤشرات الأولى لنظرية الملك الألفي، التي ظهرت بقوة، لم يسبقها مثيل، في منتصف القرن التاسع عشر، لتبسط نفوذها على الأصولية الأوروبية، ومن بعدها الأمريكية»[1].

إن يهود، الذين يقيمون في أحياء خاصة «غيتوات» في المدن الأوروبية والأمريكية، وجدوا في هذه الصهيونية غير اليهودية، ضالتهم لأنهم من خلالها يتحولون من جماعات منعزلة لا نفوذ لها، ولا مكانة في مجتمعات تنبذهم بسبب ممارساتهم غير المقبولة في مختلف وجوه الحياة.

فبواسطة هذا المشروع الأوروبي سيتحولون إلى أصحاب نفوذ، وإلى أداة لا تستغني عنها دول الاستعمار، من فرنسا إلى بريطانيا إلى أمريكا حالياً، لذلك بدأوا يعملون على تسعير العداء عند يهود ضد مجتمعاتهم ليولدوا مشكلة الانفصال. إن الصهيونية كانت حريصة «على الاستثنائية والانفصالية لكي توثق الفكرة القائلة بأن اليهود غير آمنين في الشتات إلّا في دولة منفصلة فقط... إن السبب الحقيقي لهذا التزوير التاريخي، الذي أقدم عليه الصهيونيون، سياسي، والمقصود من الاستثنائية بتر دولة إسرائيل من المجتمع الدولي وجعلها تقيم، مع بقية

---

(١) حبيب، د. رفيق، المسيحية والحرب: قصة الأصولية الصهيونية والأمريكية والصراع على الشرق الإسلامي، القاهرة، يافا للدراسات والنشر، ط ١، سنة ١٩٩١م، ص ٢٥.

البلدان، ليس علاقات سوية قائمة على الفهم المتبادل والمصالح المشتركة والأهداف السلمية . . . بل إقامة علاقات غير عادية قائمة على الشعور بالذنب، بحيث تكفي إثارة فكرة المحرقة، خارج السياق التاريخي، حتى يكون كل شيء مسموحاً به للضحية الاستثنائية»[1].

إن يهود افتعلوا إشكالية اسمها «اللاسامية» وتذرعوا بها ليستدرجوا الحكومات في أوروبا وأمريكا كي تدعمهم، علماً أن هذه الحكومات هي التي كانت تريدهم أداة لأطماعها، لكن يهود أرادوا التعجيل في تنفيذ مشروع هجرتهم إلى فلسطين وإقامة دولة لهم يستقلون بها، لذلك مارسوا العدوان على يهود أنفسهم لكي يحملوهم على الاستعداد للهجرة، ومن الدلالات على ذلك مساهمتهم في ألمانيا نفسها، زمن حكم هتلر، بقتل يهود لكي يعجلوا بمشروعهم السياسي.

لقد مارس يهود، من خلال منظمتهم الصهيونية وقبلها، الإرهاب على يهود حيثما وجدوا ليدفعوهم على ترك أوطانهم الأصلية والوفود إلى فلسطين و «أبرز مظاهر هذا النوع من الإرهاب وأهمه الذي كشف عنه المؤرخ الإسرائيلي توم سيغف (من أصل ألماني) في كتابه (تحت حماية الغستابو) مبيناً تواطؤ الحركة الصهيونية مح الحركة النازية لتهجير اليهود إلى فلسطين»[2].

ضمن هذه الأجواء خطا يهود خطوة إلى الأمام في محاولة لتنظيم

---

(١) كارودي، روجيه، قضية إسرائيل والصهيونية السياسية، تعريب الدكتور إبراهيم الكيلاني، دمشق، منشورات وزارة الثقافة، سنة ١٩٨٤م، ص ٧٨.
(٢) السماك، محمد، الإرهاب والعنف السياسي، بيروت، دار النفائس، ط ٢، سنة ١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م، ص ٨٦.

صفوفهم كي يتمكنوا من الوصول إلى أهدافهم، وكي يشكلوا أداة قائمة فعلاً تشجع الاستعمار على توظيفها لتحقيق أغراضه، وهكذا بدأ يتوالى ظهور المنظمات الصهيونية، والصناديق المالية الصهيونية والمطبوعات إلى أن توَّج ذلك بمحطة رئيسية على طريق تحقيق الأطماع هي محطة مؤتمر بازل في سويسرا.

لقد انعقد، بزعامة تيودور هرتزل، المؤتمر الصهيونيّ الأول في شهر آب (أغسطس) سنة ١٨٩٧م في مدينة «بازل» السويسرية. وقد لخص المؤتمرون أهداف المؤتمر بالمقولة التالية: «تهدف الصهيونية إلى إقامة وطن للشعب اليهودي في فلسطين تحت حماية القانون العام». والقانون العام ليس المقصود به هنا مسألة حق، وإنما المقصود به انتزاع اعتراف من دول النفوذ يومها يبيح للصهاينة ممارسة عدوانهم، لا بل يريدون قراراً من دول النفوذ بدعم مشروعهم لتوطين يهود في فلسطين وطرد سكانها منها.

المشروع الصهيوني إذن يقوم على التهجير لكن بوجهين يعتمدان الإكراه. إنهم يريدون، بشتى الوسائل، حمل يهود على قبول فكرة الاستيطان في فلسطين، وترك بلدانهم الأصلية، وفي الوقت عينه يريدون إكراه الفلسطينيين والعرب على ترك أرضهم وممتلكاتهم لتؤول لهم، وكذلك بشتى الأساليب.

وكانت قد ترافقت، مع هذه التوجهات اليهودية، تطور فكرة الأصولية المسيحية ـ خاصة في بريطانيا ـ وفي قلب هذه الأصولية الأخذ بالحساب للمشروع السياسي الأوروبي بالسيطرة على الأمة العربية، والشرق عامة، تحقيقاً لمصالحهم الاستعمارية.

وكان قد جاء تقرير سياسي من لجنة استعمارية بريطانية يساعد على تشجيع فكرة إعطاء فلسطين ليهود. هذا التقرير أعدته لجنة من الخبراء كلفها رئيس وزراء بريطانيا سنة ١٩٠٥م كامبل برمان، وقد عرفت اللجنة باسمه، وملخص ما جاءت به هذه اللجنة هو ضرورة إقامة كيان سياسي غريب في فلسطين لمنع تنفيذ مشروع سياسي يريد توحيد الأمة العربية وذلك من أجل ضمانة المصالح الاستعمارية في المنطقة، وفي مقدمتها، يومها، قناة السويس وما لها من أهمية استراتيجية في ربط القارات ببعضها.

في ظل هذه الظروف والمعطيات، وعشية الحرب الأولى، ومع بدء مشروع السيطرة الأوروبية المباشرة، صدر وعد بلفور في ١٩١٧/١١/٢، وبلفور هو وزير خارجية بريطانيا يومها، وقد وجَّه وعده إلى رجل المال اليهودي روتشيلد. ونص الوعد نشرته الصحف البريطانية في ١٩١٧/١١/٩، وهو على الشكل التالي:

«عزيزي اللورد روتشيلد:

يسعدني كثيراً أن أنهي إليكم، نيابة عن حكومة جلالة الملك، التصريح التالي: تعاطفاً مع أماني اليهود الصهيونيين التي قدموها ووافق عليها مجلس الوزراء:

إن حكومة جلالة الملك تنظر بعين العطف إلى إنشاء وطن قومي للشعب اليهودي في فلسطين، وسوف تبذل ما في وسعها لتيسير تحقيق هذا الهدف. وليكن مفهوماً بجلاء أنه لن يتم شيء من شأنه الإخلال بالحقوق المدنية للجماعات غير اليهودية المقيمة في فلسطين، أو بالحقوق والأوضاع القانونية التي يتمتع بها اليهود في أية دولة أخرى.

إنّي مدين لكم بالعرفان لو قمتم بإبلاغ هذا التصريح إلى الاتحـاد الصهيوني . »

آرثـر بلفور

● ● ●

الفصل الحادي عشر

الصهيونيه ومشروعها التوسعي وسُبل مواجهته

يزعم يهود أن إقامة دولة لهم في أرض فلسطين ما هو سوى تنفيذ لوعود الرب بأنه ستكون لبني إسرائيل أرض كنعان من الفرات إلى النيل، وفلسطين التي يزعمون أنها أرض ميعاد، ما هي إلاّ قاعدة ومنطلقاً لتنفيذ هذه النبوءة الحلم.

ودولتهم هذه التي أوجدوا لها رداءً دينياً يستر مشروعهم السياسي، دولة لا حدود لها مرسومة أو معلومة. وهذا الأمر لا يظهر فقط في فكرهم الديني والسياسي، وأدبياتهم عامة، إنما يظهر كذلك من طلب انتسابهم لهيئة الأمم المتحدة، فكل دولة في هذه الهيئة لها في ملف انتسابها خريطة وحدود جغرافية، إلاّ دولة إسرائيل فقد قُبِلت عضويتها دون أن تحدِّد حدودها الجغرافيا، وهذا أمر يؤكد أطماع العدو ويبيِّن حقيقة الفكرة التوسعية عند الأعداء الصهاينة.

وما دمنا قد عرفنا أن العدو الصهيوني ومن وراءه قد عكسوا المعتقد الديني والفكرة الدينية عندهم مشروعاً سياسياً عدوانياً، يكون من المفيد أن نبيِّن حقيقة نواياهم التوسعية من خلال نصوص العهد

القديم. من هذه النصوص. «في ذلك اليوم بتَّ الربُّ مع أبرام عهداً قائلاً لنسلِك أعطي هذه الأرض من نهر مصر إلى النهر الكبير نهر الفرات»[١].

وفي نص آخر: «وأعطيك أرض غربتك لك ولنسلك من بعدك جميع أرض كنعان ملكاً مؤبداً وأكون لهم إلَهاً»[٢].

ومن النصوص التي برروا بها مشروعهم التوسعي ما أوْردوه على أنه خطاب ليشوع بن نون خادم موسى عليه السلام والنص هو:

«إن موسى عبدي قد مات، والآن قم فاعبر هذا الأردن أنت وجميع هؤلاء الشعب إلى الأرض التي أنا معطيها لبني إسرائيل. **كل مكان تطأه أخامص أرجلكم لكم أعطيته كما قلت لموسى**»[٣].

إن الدولة المنشودة من قبل الصهاينة، استناداً إلى هذه النصوص وسواها، إذن دولة بلا حدود تتسع بمقدار ما تتحقق السيطرة، وبمقدار ما يتمكنون من تحقيق التوسع العسكري. فالسمة التي تميِّز الاستعمار الصهيوني هي الاستيطان والتوسع، وذلك لا يتم إلّا بطرد سكان البلاد المحتلة من قبلهم منها، كما كان منهجهم في الماضي، وكما هي منهج المهاجرين الأوروبيين إلى أمريكا، بعد اكتشافها، حيث عملوا على ملاحقة الهنود الحمر، سكان البلاد الأصليين، والتفنن في اصطيادهم بعيداً عن أية اعتبارات إنسانية، وخلافاً لأية شرعة أو قانون.

---

(١) سفر التكوين، الإصحاح ١٥، آية ١٨.
(٢) سفر التكوين، الإصحاح ١٧، آية ٨.
(٣) سفر يشوع، الإصحاح ١، آية٢، ٣.

إن الواقف على حقيقة النوايا الصهيونية يرى أن مشروعهم يتمثل في ذاك التمادي «في التوسع، بالاحتلال العسكري للأرض تحت ذرائع عقيدية دينية، وتاريخية مزعومة، ثمَّ تهجير سكان هذه الأرض واستبدالهم بمهاجرين يهود من كل أنحاء العالم، تحت ستار العودة إلى أرض الميعاد، ثم بناء المستوطنات على أراضي الغير، مع استنفار شامل ليهود العالم على مختلف الصور، وعلى كافة المستويات التنظيمية والحكومية والشعبية للدفاع عن إسرائيل، وتبرير توسعها، بحيث بلغ الربط المحكم بين العقيدة الدينية، وبين الوجود السياسي والكياني العام، لم يُسمَّى دولة إسرائيل، ما لم تبلغه أية نظرية عنصرية في العالم»[1].

إذن، يعمل يهود على استنفار كافة الطاقات الممكنة من أجل تحقيق هدفهم التوسعي، ومشروعهم السياسي يعطى دائماً تبريراً دينياً، وهذا أمر لا يخفى على أحد أهمية الربط فيه لدى الشعوب. فعندما يصبح المشروع السياسي مبرراً دينياً، أو على شكل نص زُعِم أنه ديني، فإنه من البديهي أن يصبح الحماس لتنفيذه شديداً، لأن المنفذ يرى في عمله عبادة وتنفيذاً لأمر ديني يؤجر عليه، لهذا كان يهود، وما زالوا، يعطون بكل فعل يقدمون عليه مرتكزاً يزعمونه أنه ديني، وهذا أمر لا يفيد على صعيد يهودي فحسب، بل أفادهم، وما زال، على صعيد كافة الصهاينة غير اليهود بدءاً من جماعة «البيوريتيين» المتطهرين في بريطانيا.

---

(١) السيِّد حسين، د. عدنان، التوسع في الاستراتيجية الإسرائيلية، بيروت، دار النفائس، ط ١، سنة ١٤١٠هـ ـ ١٩٩٠م، ص ٢٧.

ونظريتهم في التوسع والاحتلال تقوم على الاقتلاع للآخرين وإلغاء وجودهم، لأن فكرهم الإنعزالي العنصري «الجيتوي» لا يمكنهم من العيش مع غيرهم، لذلك لا تستقر الأمور لهم وفق ظنهم إلّا باستئصال سواهم من الشعوب حيث يقيمون. ويسندون فكرتهم هذه لنصوص توراتية منها: «والرب إلّهك يستأصل أولئك الأمم من بين يديك قليلاً قليلاً. إنك لا تقدر أن تفنيهم سريعاً لئلا يكثر عليك وحش الصحراء»[1].

إن استخدام العنف لإلغاء الآخرين ونهب ما عندهم أو تسخيرهم، مسألة لها مبرراتها في النصوص الواردة في الصيغة المتداولة للعهد القديم من الكتاب المقدس، ولقد عمل يهود على إقناع «جنودهم بأنهم يحملون رسالة الرب، وهي تخليص العالم من الأنجاس والأمميين، وذلك سيف الرب يزلزل أعداء شعبه، ويلعن لاعنيه، ويمجد ممجديه. . . الجندي الإسرائيلي متعطش دوماً لدم أعدائه»[2].

ولقد جاءت نصوص كثيرة تخدم هذا المنطق، ومن المفيد أن نذكر بعضها لنرى كيف أن الأدبيات، في الفكر الديني اليهودي، جاءت لتخدم منطق الصهيونية بكل ما تنفذه.

جاء في سفر العدد عن أدب الحرب عند يهود، الذي يقوم على نظرية الإجهاز على الخصم أو العدو، النص الآتي: «هو ذا شعب كلبؤة يقوم وكشبل ينهض لا يربض حتى يأكل الفريسة ويشرب دم

(١) سفر تثنية الاشتراع، الإصحاح ٧، آية ٢٢.
(٢) الزعبي، الأرقم، م.س، ص ٥٠.

الصرعى»[1].

إن المفاهيم الدينية المزعومة عند يهود تظهر وكأن غاية شريعتهم «تنظيم الشعب اليهودي تنظيماً قتالياً يجعلهم أهلاً على أعدائهم من الغوييم. والشريعة تركز تركيزاً خاصاً على الحقد الأبدي الذي يجب على اليهود تربيته في نفوسهم ضد أعدائهم التقليديين»[2].

هذه العدوانية كانت من مبررات الالتصاق بين الاستعمار الغربي، الذي تمَّ بعد اكتشاف أمريكا، والذي عمد إلى تصفية الهنود الحمر واقتلاعهم، وكذلك الحال بالنسبة لهؤلاء الذي يريدون تكرار التجربة.

إن الدين مسخَّر عندهم للهدف السياسي والمالي وللمصالح، لذلك نرى النص الديني والفكر الديني عندهم يكونان في خدمة الهدف السياسي، وخدمة الهدف السياسي قد تستلزم أحياناً تحريف النص أو تحريف المفهوم، وهذا أمر سهل حصوله وتنفيذه.

ولقد كان المرتكز للممارسة العدوانية الانفصالية ليهود العنصرية المبنية على فكرة شعب الله المختار المزعومة. لذلك يصح القول: «إن فكرة الشعب المختار سياسياً، إجرامية، ذلك أنها أضفت القداسة على العدوان والتوسع والسيطرة. إن فكرة الشعب المختار، لاهوتياً، غير محتملة، لأن وجود المصطفين يقتضي وجود المبعدين.

---

(١) سفر العدد، الإصحاح ٢٣، آية ٢٤.
(٢) التوراة ـ تاريخها وغاياتها، ترجمة وتعليق سهيل ديب، بيروت، دار النفائس، ط ٤، سنة ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م، ص ٣٣.

إن كل سياسة تدَّعي الاستناد إلى هذه الخرافة تؤدي إلى إنكار ورفض الآخر»[1].

إن عنصريتهم القائمة على فكرة «شعب الله المختار» ولَّدت عندهم حالة استعلاء زعموا من خلالها أنه لا أحد مثلهم، لذلك يأنفون من التعامل مع الآخرين، وقد وردت نصوص عندهم، على شكل وصايا، ترشدهم إلى عدم تناول طعام غير اليهودي، وعدم إلقاء التحية عليه، وعدم الامتثال أمام قاضٍ غير يهودي... إلخ.

إن أسلوبهم قائم على العنف، وإن ظهروا أحياناً بلباس الوداعة. وصدق الشاعر حيث قال:

إن الأفاعي وإن لانت ملامسها عند التقلُّب في أنيابها العطبُ

إن المفاهيم التي أرادوا تعزيزها هي أن دينهم «دين قتالي حربي يلبس لبوس النعاج لإخفاء نواياهم المكيدية، وهكذا فإن اعتداءاتهم الوقحة، غير المسببة ولا المحرضة من الغير، تبرر دينياً، وكذلك فإن كل سرقاتهم، وجرائمهم، وكذبهم لها مبرراتها الأخلاقية.

... وما نحن سوى النعاج الغوييم، والذئاب الفريسيون ما فتئوا يؤكدون لنا واجبنا الأخلاقي هو أن ندعهم يفترسوننا، فالإبادة الجماعية للغوييم هي أقصى درجات الأخلاق لدى اليهود»[2].

إن الفكرة السياسية عند يهود، والتي باتت فكرة صهيونية فيما بعد، تقوم ــ كما مرَّ سابقاً ــ على استخدام العنف لدرجة إبادة الآخرين

---

(١) غارودي، روجيه، م.س، ص ٨٣.

(٢) التوراة ــ تاريخها وغاياتها، م.س، ص ٥٤، ٥٥.

لأن الأمر لا يستتب لهم ـ وفق رأيهم ـ إلّا إذا نجحوا في تكرار تجربة الأوروبيين مع الهنود الحمر في القارة الأمريكية.

وإذا كان أمريكيون كثيرون قد ساهموا في بناء المستوطنات الأولى في فلسطين المحتلة، منذ القرن التاسع عشر، فإن الأمر لم يتوقف عند هذا الحد، بل تجاوزه إلى حد الارتباط المصيري مصلحياً بين الولايات المتحدة والكيان الصهيوني.

لقد برزت المساهمات الأمريكية في السعي لتحقيق الحلم الصهيوني مبكراً، من ذلك رحلة قام بها ضابط بحار أمريكي هو وليام لينش (W. Linsh) في نهر الأردن والبحر الميت سنة ١٨٤٧م، وكان يريد استطلاع واقع الحكم العثماني ومدى تماسك الوضع السياسي العربي في ظلّه، مما يعطي مؤشراً على إمكانية أو عدم إمكانية تنفيذ الحلم الصهيوني المدعوم أوروبياً وأمريكياً.

ومن نماذج الحركة الصهيونية في الجانب الديني المسيحي رموز ساهموا في تنفيذ الاستيطان، منذ أيامه الأولى، أبرزهم وليام بلاكستون (William Blackston) (١٨٤١م ـ ١٩٣٥م) «وهو رجل دين ومؤلف ورحّالة وثري، ومن أوائل من مارس الضغط المؤسسي والمنظم على صانعي القرارات الأمريكية لمصلحة أهداف الصهيونية اليهودية السياسية. فقد نشر بلاكستون عام ١٨٧٨م لأول مرة كتاب «عيسى قادم» (Jesus is coming)، والذي تُرجم إلى أكثر من ٤٨ لغة ـ ومنها اللغة العبرية ـ وطُبع عدة طبعات... وكان أخطر منشور للدعوة الصهيونية المتعلقة بالاستعادة الأبدية لأرض كنعان من قبل الشعب اليهودي. وقد أشاد بلاكستون، في طبعة كتابه في عام ١٩٠٨م، باليهود وعودتهم إلى

فلسطين كإشارة إلى نهاية الزمن»[1].

أما على الصعيد الرسمي فإن الرؤساء الأمريكيين تبنوا، في وقت مبكر، المشروع الصهيوني، «ويعتبر الرئيس الأمريكي جون آدامز (١٧٦٧م ـ ١٨٤٨م) أول رئيس أمريكي يدعو إلى استعادة اليهود وطنهم وإقامة حكومة مستقلة. وقد كتب رسالة إلى الصحفي الصهيوني مانويل نوح عام ١٨١٨م يقول فيها: أتمنى أن أرى ثانية أمة يهودية مستقلة في يهودا»[2].

وتوالى بعد ذلك تسلم السلطة الأمريكية من قبل رؤساء مؤمنين بالصهيونية منهم ولسون المسيحي الإنجيلي، وصولاً إلى كارتر، وريغان، وجورج بوش، وكلينتون، وكلهم لم يخرجوا عن المنهج السياسي الأمريكي الذي ارتبط ارتباطاً وجدانياً ثقافياً بين الأمريكيين ويهود من خلال التشابه في المشروع السياسي الذي ينوي إبادة أهل البلاد الأصليين، هذا عطفاً على المصالح الأمريكية التي تشكل دولة إسرائيل الحارس لها.

إن الإبادة التي يمارسها يهود في الأرض المحتلة مقبولة أمريكياً، فلقد «كانت مطاردة مهاجري أوروبا للهنود الحمر، في العالم الجديد الأمريكي، مشابهة لمطاردة العبرانيين القدماء للكنعانيين في فلسطين. وقد خلق التشابه في هذه التجربة قناعة وفلسفة ووجداناً متشابهاً ومشتركاً

---

(١) الحسن، د. يوسف، البعد الديني في السياسة الأمريكية تجاه الصراع العربي ـ الصهيوني، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ط ١، سنة ١٩٩٠م، ص ٤٢.

(٢) الحسن، د. يوسف، م.س، ص ٤٠.

بين إسرائيل والولايات المتحدة الأمريكية في العصر الحديث. فالذين هاجروا إلى هذه البلاد، في القرنين السابع عشر والثامن عشر، أبادوا معظم سكانها الأصليين من الهنود الحمر واستوطنوا مكانهم، والذين هاجروا، وما زالوا يهاجرون، من يهود العالم إلى فلسطين المحتلة، في العصر الحديث، استخدموا أساليب متطورة في طرد سكانها العرب الفلسطينيين الأصليين واستوطنوا أراضيهم، بل حاولوا إبادتهم»[1].

يضاف إلى جملة الأنشطة الأمريكية لقيام دولة صهيونية في أرض فلسطين وما حولها، والتي شارك فيها الأمريكيون على مختلف المستويات، قرارات رسمية عديدة جاءت تتبنّى، بالكامل، كل مشروع صهيوني. من هذا القبيل نرى أن «الكونجرس الأمريكي، تبنياً منه لقرار المؤتمر الصهيوني اليهودي، الذي عقد في نيويورك في العام ١٩٤٢م، اتخذ في العام ١٩٤٤م قراراً تتعهد الولايات المتحدة الأمريكية؛ بموجبه بذل قصارى جهدها من أجل فتح أبواب فلسطين أمام اليهود للدخول إليها بحرية لإتاحة الفرصة أمامهم لاستعمارها حتى يتمكن الشعب اليهودي من إعادة تكوين فلسطين يهودية ديمقراطية حرّة»[2].

والإرهاب ـ كما علمنا سابقاً ـ مفهوم يهودي للعمل، يشكل المرتكز الأساسي، لذلك تصرّف يهود، منذ أوائل الهجرات والمستوطنات إلى فلسطين المحتلة التي جاءت بدعم بريطاني وأمريكي وأوروبي عام، على أنهم مؤسسة عسكرية بجملتهم، ولهذا ترافق إنشاء

---

(١) الحسن، د. يوسف، م.س، ص ٤١.

(٢) السمّاك، محمد، الأصولية الإنجيلية، مالطا، منشورات مركز دراسات العالم الإسلامي، ط ١، سنة ١٩٩١م، ص ٧٣.

الفرق الإرهابية مع إقامة المستوطنات. «كانت أول منظمة إرهابية مسلحة قد أُنشئت في عام ١٩٠٧م باسم هاشومير، أي الحارس، وقد أسسها داڤيد بن غوريون وإسحٰق بن زفي، وهما من رواد الموجة الثانية للهجرة (١٩٠٤م ــ ١٩١٤م)، وكان شعار المنظمة: العمل والدفاع، وأعضاؤها من المقاتلين والبنائين.

وحينما نشبت الحرب العالمية الأولى وجد زعماء الصهيونية الفرصة مناسبة لإنشاء قوات مسلحة يهودية تعمل في ميدان الشرق الأوسط تحت إمرة القيادة البريطانية. وكان للحركة الصهيونية من ذلك غرضان: أولهما استخدام هذه المشاركة في المساومة السياسية مع بريطانيا من أجل إنشاء الوطن القومي اليهودي في فلسطين، وثانيهما إعداد قوة عسكرية يهودية تكتسب الخبرة والتجربة في القتال والقيادة... هكذا تمّ إنشاء (الكتائب اليهودية) التي عملت مع القوات البريطانية التي احتلت فلسطين»[1].

بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى كان للصهاينة ثلاث منظمات عسكرية هي: «هاشومير، وقوات الدفاع الذاتي، التي شكلها جابوتنسكي، وفرق العمال التي أسسها ترومبلدور، وقد تمَّ حلُّ هذه المنظمات إثر قرار الهستدروت بإنشاء الهاغاناه في حزيران ١٩٢١م، وتبع ذلك نشوء منظمات عسكرية، وشبه عسكرية وإرهابية مسلحة، مثل إرغون تسفاي لئومي، وشترن، وبالماخ، القوة الضاربة للهاغاناه.

وقد بلغ دعم سلطات الانتداب البريطاني الأهداف الصهيونية ومنظماتها الإرهابية حداً كبيراً حين سمحت لليهود، في عام ١٩٣٦م،

(١) الموسوعة الفلسطينية، م ٢، م.س، ص ١٢٨.

بإنشاء مجموعة نظامية مسلحة أطلقت عليها اسم شرطة المستعمرات اليهودية. . . وبلغ حجم هذه القوات، عام ١٩٣٧م، حوالي ٣٨٠٠ يهودي، ثم اتسع حتى بلغ نحو عشرين ألف رجل قبيل قيام (إسرائيل) »[1].

الهاغاناه، ومعناها الدفاع، كانت المنظمة العسكرية الأساسية التي ساهمت في التحضير لقيام الدولة الصهيونية في أرض فلسطين من العام ١٩٢١م، تاريخ تأسيسها، حتى عام ١٩٤٨م.

بعد ذلك وفي ٢٦/٥/١٩٤٨ أصدر بن غورين قراراً بإنشاء جيش الدفاع الإسرائيلي الذي يتألف من:

«١ ــ جيش نظامي محترف قوامه الرئيسي الضباط والاختصاصيون.

٢ ــ خدمة إجبارية يُجنَّد فيها الفتيان والفتيات من عمر ١٨ سنة.

٣ ــ قوات احتياطية تشكل القسم الأعظم من الجيش في زمن الطوارىء والحرب»[2].

القوة والعنف فلسفة يقوم عليها المشروع الصهيوني اليهودي، لكن البريطانيين وورثتهم الأمريكيين التزموا هذا النهج، وساهموا في تأصيله، ودعموه بكل ما يستطيعون خاصة لأن القوات الصهيونية، في الأرض المحتلة، قامت وفي نشأتها الاستعداد للعمالة، فكما عملت تحت إمرة الإنكليز منذ عهدها الأول لا مانع عندها أن تعمل بإمرة

---

(١) الموسوعة الفلسطينية، م ٢، م. س، ص ١٢٨.
(٢) الموسوعة الفلسطينية، م ٢، م. س، ص ١٢٩.

الأمريكي ولاحقاً مع أية قوة تكون لهم معها مصلحة.

لكن في أيامنا هذه تتبنى الولايات المتحدة الأمريكية، رسمياً وشعبياً، المشروع الصهيوني وتدعمه بكل ما يمكن، وأترك هنا للصحفية الأمريكية ذات النشأة الإنجيلية، أو النشأة الصهيونية المسيحية، غريس هالسل (Grace Halsell) تقص علينا بعض مشاهداتها في فلسطين المحتلة، حيث عاشت بصفة مراسلة صحفية منذ أواخر السبعينات.

تقول غريس هالسل: «في عام ١٩٧٩م قابلت فلسطينياً، لأول مرة في فلسطين المحتلة، أخبرني كيف أُجبر، بقوة السلاح، على مغادرة الأرض التي زرعها أبوه وجده وأسلافه منذ مدة طويلة.

أقمت في إحدى المستوطنات اليهودية اللاشرعية المسماة: تيكوا، في الضفة الغربية، عشت فترة من الوقت في بيت ليندا وبوبي براون من الجيل الثالث الأمريكي. وقد أخبراني أنهما استخدما بنادق ورشاشات عوزي لأخذ الأرض من الفلاحين الفلسطينيين»[1].

وتضيف هالسل، متحدثة عن الدعم الأمريكي الشعبي المسكوت عنه رسمياً لمنظمات الإرهاب اليهودية في فلسطين المحتلة، التي تمارس العنف لإبادة الفلسطينيين، أو على الأقل طردهم من أرضهم، فتقول:

«قال يهودا شفارتز، رئيس تحرير مجلة الصحافة اليهودية، أثناء جمع الأموال لصالح الإرهابيين اليهود: إنه عمل بالتعاون الوثيق مع

---

(١) هالسل، غريس، الفكر التوراتي والحرب النووية، ترجمة عبد الهادي عبلة، دمشق، ط ٣، سنة ١٩٨٨، ص ٩.

الحاخام آفي فايس رئيس المعهد العبري في ريفرديل في نيويورك. قال فايس: إنه جمع بمفرده ١٠٠,٠٠٠ دولار من اليهود الأمريكيين لدفع نفقات الإرهابيين القانونية، وقد دفع اليهودي الكهل شارلي فوكس من فلوريدا ٧٥,٠٠٠ دولار من هذا المبلغ»[1].

وتتابع هالسل: «إن حركة مستوطني غوش أيمونيم جنت الثمار عبر السنين في أمريكا حيث جمعت مئات الألوف من الدولارات كتبرعات خاصة، حسب رواية داني روبنشتاين مراسل داڤار في الضفة الغربية ومؤلف كتاب عن غوش أيمونيم.

يقول المؤلف إن أكثر متبرع لها كان ماركوس كاتس، تاجر السلاح المكسيكي، الذي مثّل صناعة السلاح الإسرائيلية في إيران، وفيما بعد في أمريكا الوسطى، كما ساعد كاتس أيضاً في تمويل معركة قانونية خاضها آرييل شارون ضد مجلة تايم. كما أن سيريل شتاين، المعروف بملك صناعة القمار في لندن، قدم أيضاً مبالغ طائلة إلى غوش إيمونيم، حسب رواية روبنشتاين.

تعتبر الخزانة الأمريكية أكبر مصدر لتمويل غوش إيمونيم ومستوطناتها اللاشرعية في الضفة الغربية»[2].

إن هذه التصريحات تعطينا فكرة واضحة عن الاتجاه الأمريكي الصحيح على مختلف مستوياته الرسمية والشعبية، حيال مسألة احتلال الأراضي وبناء المستوطنات، فإن الاتجاه الصهيوني والأمريكي واحد،

---

(١) هالسل، غريس، م.س، ص ١٤٤.
(٢) هالسل، غريس، م.س، ص ١٤٠.

إنه التوسع وإقامة المستوطنات واستخدام القوة لطرد السكـان العرب من الأراضي المحتلة.

وتأتي عند غريس هالسل مقابلة مع البروفسور غوردون ويلتي، من جامعة رايت الحكومية في ولاية أوهايو، وتقول هالسل إنها سألته «كيف يسوِّغ المسيحيون نفي وجود حوالي بليون مسلم ويمتدحون التبرع بملايين الدولارات لهدم أماكنهم المقدسة؟».

قال الدكتور ويلتي: الأصوليون الإنجيليون، الذين يجمعون الأموال لتدمير المسجد[1]، يمارسون نفس لاهوت القوة الذي مارسه الكثيرون من أجدادهم، لقد آمنوا أن من القوة والأخلاق والحق اكتساب الغرب وذبح الهنود والتقدم بحضارة البيض، وبعد ذهاب المنطقة الحدودية الأمريكية فإنهم يحاولون خلقها في مكان آخر، وهكذا أصبحت أحلام المستوطنين في صهيون الجديدة هي صهيون القديمة في فلسطين.

وتماماً كما سوَّغ بعض المستوطنين المسيحيين قتل الهنود، فإن بعض المسيحيين الآن يسوِّغون تقديم الأموال للصهاينة الذين يقتلون الفلسطينيين»[2].

إن أتباع الصهيونية المسيحية يقدمون للمشروع التوسعي الإسرائيلي كل الدعم الممكن، بما في ذلك الدعم من أجل تدمير مقدسات المسلمين، علماً أن النتائج تفيد أن يهود يهدمون المقدسات الإسلامية والمسيحية على حد سواء.

---

(١) المقصود المسجد الأقصى في القدس.

(٢) هالسل، غريس، م.س، ص ١٤٨.

إن يهود، الذين خاصموا المسيح عليه السلام نفسه، لا يمكن أن يكونوا أصدقاء لأي مسيحي، وقد صرحوا بذلك في أدبياتهم مرات كثيرة. من الكلام التلمودي في هذا الباب الذي ذكره الأب برانايتس ما يلي:

«اليهودي وحده يُحترم كرجل، كلُّ ما ومن في العالم له، وجميع الأشياء يجب أن تكون في خدمته، خصوصاً الحيوانات التي لها أشكال آدمية. . . . إنهم يعتبرون جميع أنواع التعامل مع المسيحيين مفسدة، وانتقاصاً من قدر كرامة اليهود، وعلى هذا، فالمفروض على اليهود أن يتعهدوا بالابتعاد، قدر المستطاع، في عيشهم وتعاملهم عن المسيحيين»[1].

إن الاستعلاء اليهودي المرتكز إلى عقيدة «شعب الله المختار» جعلت من يهود حالة شاذة، وجماعة تحترف العداء لكل من سواها، لذلك فالتوسع على حساب الآخرين هو ديدنهم، سواء أكان توسعاً استيطانياً في أرض محتلة، أم توسعاً اقتصادياً بالهيمنة على الشركات والمؤسسات، أم توسعاً ثقافياً باستبدال مفاهيم الآخرين بما يريدونه، كما حصل فنتجت الصهيونية المسيحية، وهكذا دواليك.

إن ما عانت منه الكنيسة الكاثوليكية في الغرب المسيحي سواء من المناهضة البروتستانتية أو من العلمانية، وما خلفَّته من فساد يعدُّه يهود نصراً لهم وفرصة كي ينقضوا على القدس، حيث لم يبقَ في مواجهتهم سوى المسلمين.

---

(١) برانايتس، الأب آي . بي، فضح التلمود، إعداد زهدي الفاتح، بيروت، دار النفائس، ط ٢، سنة ١٤٠٣هـ ــ ١٩٨٣م، ص ١١٢.

لقد جاء على لسانهم مقالٌ في صحيفة «المورنينغ نيوز» اللندنية، في ١٩٢٠/٩/٦، فيه: «لن يكون اليهودي، تحت أي ظرف، صديقاً للمسيحي أو المسلم قبل أن تحين اللحظة التي يشعّ فيها نور الإيمان اليهودي على العالم... ينبغي أن تنتشر التعاليم اليهودية في العالم بأجمعه. وكيفما قادنا القدر، وبالرغم من تشتت شملنا في جميع أنحاء الأرض، يجب أن نعتبر أنفسنا العنصر المجتبى... إن هدفنا عظيمٌ ونجاحه مؤكد، فالكاثوليكية، عدونا الدائم، مطروحة أرضاً، وإصابة زعامتها مميتة... لقد حان وقت جعل بيت المقدس مكان عبادة لكل الأمم والشعوب، وسترتفع راية التوحيد اليهودي خفّاقة في أكثر الشواطىء بعداً»(١).

إن ما عرضناه كافٍ ليدلِّل على النزعة التوسعية عند الصهاينة لتحقيق أحلامهم بإسرائيل صغرى، ومن ثمَّ إسرائيل كبرى، وإلاّ لماذا تكون إسرائيل دولة في الأمم المتحدة وليس لها حدود جغرافية واضحة؟ وهذه النزعة التوسعية تقوم على تبرير ديني أخذ به يهود، ومعهم قطاع واسع من المسيحيين الَّذين تأثروا بالأدبيات العبرية وباتوا يعتقدون أن الألف عام من السعادة الَّتي تبدأ بعودة المسيح المخلص، لا تكون إلاّ بعد تجميع يهود في أرض فلسطين وما حولها، وبذلك بات الصهاينة المسيحيون يعتقدون أن تجميع يهود في فلسطين، وفي الأرض العربية، واجباً دينياً، هذا عدا عن كونه يحقق لهم ما يريدونه من مصالح وأهداف اقتصادية وسواها.

---

(١) نقلاً عن: سبيريدو فيتش، شيريب، حكومة العالم الخفية، ترجمة مأمون سعد، تحرير وتقديم أحمد راتب عرموش، بيروت، دار النفائس، ط ٥، سنة ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م، ص ١٦٨، ١٦٩.

يضاف إلى ذلك، أن نزعة التوسع هذه، مقرونة بالاستعلاء والعنصرية، وبالتزام فلسفة القوة، وبتسويغ استخدام العنف بشتى وجوهه، المهم أن يتحقق التفوق المطلق لدولة إسرائيل، وهذه الفلسفة تحوّلت إلى مشروع استراتيجي أمريكي يلتزمه قادة أمريكا على تنوع أساليبهم وآخر ما سمعناه، في هذا المجال، تصريح كلينتون، الرئيس الأمريكي المنتخب، في أوائل تشرين الثاني من عام ١٩٩٢م حيث قال بأنه سيعمل من أجل تحقيق التفوق المطلق لدولة إسرائيل عسكرياً.

إن التوسع ومشروعه مقترن بالعنف، ولذلك نرى أنه قد «عمَّت فلسفة العنف المجتمع الصهيوني، فتحت شعار الأمن والدفاع، تستمر إسرائيل بالتوسع دون أن يكون لها حدود محددة ترضى بها، وصولاً إلى مزيد من التوسع والضم للأراضي العربية، وهذا ما أكد طبيعة الصراع العربي ـ الإسرائيلي في كونه صراعاً على الوجود، فإما أن تنتصر الأهداف الغربية ـ الإسرائيلية في إقامة إسرائيل الكبرى على حساب الأرض العربية، وعلى حساب تقدم العرب ووحدتهم، وإما أن يتمكن العرب من رد الغزوة الصهيونية المدعومة من قوى دولية كبرى»[١].

إن التوسع، هذه الأيام، يتخذ شكل مشروع ذي وجهين:

١ ـ وجه استيطاني يقوم على الاحتلال المباشر للأرض وطرد سكانها منها وبناء المستوطنات فيها، واستقدام يهود لها من هنا وهناك.

٢ ـ وجه تقسيمي يقوم على العمل من أجل تفتيت الأمة العربية إلى كيانات صغيرة عرقية، أو مذهبية، فهذه الكيانات الصغيرة توفر للعدو

---

(١) السيّد حسين، د. عدنان، عصر التسوية، بيروت، دار النفائس، ط ١، سنة ١٤١٠هـ ـ ١٩٩٠م، ص ٤٢.

التفوق المطلق إن لجهة عدم إمكـان المواجهـة معها أو لجهـة وضع كـل كيان منها في مواجهة الآخر، وتناحرها مع بعضها.

إن الصهيـونية، ومن وراءهـا من دعاة النـظم العالميـة كالـولايات المتحـدة، يـرون أن تحقيق الهـدف ـ الحلم على حسـاب العـرب لا يكون إلاَّ بامتـلاك القوة المـطلقة في المنـطقة التي لا يتمكن أحد من مواجهتها.

تأسيساً على ما تقدم نرى «أن الحركـة الصهيونيـة تدرك أن تحقيق غاياتها بإنشاء وطن قومي لليهـود، على أرض إسرائيـل الصغرى ومن ثم الكبرى، لن يتم ما لم تسلب العرب ـ أعداءهـا ـ كل مقـومات القـوة. فـالتفـوق النسبـي لا يكفـل تحقيق مـرامي الصهيـونيـة ولا يحقق الأمن النهائي لدولة إسرائيل، لأنه قابل للتغيُّر، أما العامل الوحيد، الَّذي يكفل تحقيق الحلم العنصـري اليهودي ويكفـل أمنه، فهـو بسلب العرب كـل مصادر القوة بحيث يكونون في موقع الضعف المطلق العاجز عن مواجهة أية خطوة إسرائيلية، أو التصـدي لأي عدوان صهيـوني، وبذلـك تمتلك إسرائيل القوة المطلقة في المنطقة.

وحتى تتحقّق هذه الغاية، فإن إسـرائيل تعتبـر أن تقويض الـوجود العربـي وإنهاءه، وتحويله إلى شراذم متصارعة متناحرة طائفياً وعنصـرياً ومنـاطقياً، هـو السبيل الـوحيد الَّـذي يقَوِّض الـوجود العـربـي، ككيان اجتماعي موحَّد، ويحقق الحلم الصهيوني في إيصـال المنطقـة العربيـة إلى موقع الضعف المطلق الَّذي تقابله القوة المطلقة»[١].

---

(١) طرابلسي، المهندس سمير مصطفى، الأهداف الاستراتيجيـة الصهيونيـة لغزو لبنـان. في: مجلة المـوقف (لبنـان) العـدد الثـاني، تمـوز ١٩٨٣م، شـوال ١٤٠٣هـ، ص ١٨.

وإذا كان التقسيم والتفتيت العرقي والمذهبي هو المشروع الصهيوني الحالي المدعوم أمريكياً، وهذا أمر صدرت فيه وثائق عديدة لا مجال لحصرها، وقد عمل الصهاينة والأمريكيون على إقامة مراكز الدراسات من أجل استكشاف البنى السكانية العربية تمهيداً لوضع الخطط للعبث بها، فليس من باب الصدفة أن تكثر الدراسات والأبحاث عن أمور الأقليات في الوطن العربي، وعن كل قرية ومدينة، ومن جملة ذلك إنشاء المركز الأكاديمي الإسرائيلي بالقاهرة الَّذي تمَّ توقيع بروتوكول إنشائه في أيار(مايو) ١٩٨٢م، تطبيقاً للمادة الثالثة من الملحق الثالث في ما يسمى «معاهدة السلام المصرية ـ الإسرائيلية الموقعة في واشنطن في ٢٦ مارس (آذار) ١٩٧٩م»[١].

إن مشروع التفتيت للمجتمع العربي إلى كيانات صغيرة على قاعدة السياسة الاستعمارية القديمة الجديدة «فرِّقْ تَسُدْ» هو مشروع تجندت له أقلام يهودية وغير يهودية وأمريكية بشكل خاص، وتصدى لمهمة تنفيذة مسؤولون صهاينة يهود، وفي هذا السياق برزت مقولة أمريكية ملخصها أن مجتمع الأمة العربية مجتمع قيد التكوين، ولم تكتمل شبكة العلاقات الاجتماعية فيه، لذلك من الواجب العمل لإطلاق صيغ الكيانات العرقية والطائفية فيه طالما أنه مجتمع غير مكتمل التكوين الوحدوي حسب زعمهم.

ولعل ساحة لبنان خلال سنوات الحرب الأهلية والاقتتال الداخلي فيه، الَّذي بدأ في نيسان ١٩٧٥م، والاجتياح الإسرائيلي للبنان في

---

(١) لمزيد من التفاصيل عن الموضوع يراجع: علي، عرفه عبده، جيتو إسرائيل في القاهرة، القاهرة، مكتبة مدبولي، ط ١، سنة ١٤١١هـ ـ ١٩٩٠م.

حزيران ١٩٨٢م، عرفت أكثر من أي قطر عربي آخر أبعاد المشروع التوسعي خاصة في وجهه التقسيمي الذي يحوِّل الأقطار العربية كلها إلى كيانات قزمة لا تقوى على مواجهة العدو.

إنطلاقاً من ذلك نستطيع تقرير ما يلي:

«١ ــ إن إسرائيل هي المسؤولة عن كل محاولات التقسيم الطائفي والمذهبي التي شهدها ويشهدها لبنان.

٢ ــ إنها تعمل على نسف وحدة لبنان وسيادته واستقرار أبنائه لتقول للعالم إن التعايش الإسلامي ـ المسيحي في لبنان بات مستحيلاً.

٣ ــ تريد الهيمنة الكاملة على لبنان. ومن خلاله على المنطقة العربية بحرب التقسيم»[1].

نخلص إلى القول، إنه في مواجهة المشروع التوسعي الصهيوني، تكون المواجهة باعتماد الخطوات التالية:

١ ــ تعزيز الوحدة الوطنية في كل قطر عربي لردع مشروع التفتيت الصهيوني، ويكون ذلك بإحلال الإيمان بدل التعصب، والتديُّن بدل الطائفية، مع البعد عن أساليب التطرف الديني الَّتي تؤدي إلى الفرقة.

٢ ــ الإعداد الدائم انطلاقاً من أمر الله تعالى: **﴿وأعدُّوا لَهُمْ ما**

---

(١) شاتيلا، كمال، القضية الوطنية التعادلية أمام التحديات، بيروت، المركز الوطني للدراسات والطباعة والنشر، سنة ١٤٠٥هـ ــ ١٩٨٥م، ص ٨٤.

اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾[1] لأن لغة العنف، التي يستخدمها العدو، لا تردعها سوى القوة العربية المدعومة من كل المؤمنين مسلمين ومسيحيين، ومن كل الأحرار في العالم، لأن المشروع الصهيوني يشكل تحدياً سافراً لكل القيم والأعراف والمواثيق.

٣ ــ إذا كانت ثمة عقبات تقوم الآن في طريق وحدة عربية واتحاد إسلامي عام، من أجل رص الصف للمواجهة، فليكن الآن تضامن عربي مقاتل، وفق خطة مدروسة تواجه مخططات العدو ومن وراءه في مختلف الميادين، لأن العدوان على أمتنا شامل، فهو عدوان على المقدسات، وعلى القيم وعلى الإنسان، وعلى الثروة، وعلى الوحدة الوطنية، وعلى كافة مقدارات الأمة.

٤ ــ إبعاد الفرقة والانقسام عن صفوفنا الشعبية والرسمية، لأنها سبيل تناحر بين أبناء القضية الواحدة تمكِّن العدو منَّا، وإحلال الروح الجامعة التوحيدية ضمن قاعدة: لنعمل معاً فيما اتفقنا عليه وليعذر بعضنا بعضاً فيما اختلفنا فيه.

٥ ــ إرساء حياة سياسية وفكرية على أُسس الحريات العامة المكفولة لكل أبناء الأمة طبعاً، على أساس أن لا حرية لأعداء الشعب والأمة، وما الحرية إلّا لأنها تولِّد الثقة بين أبناء الأمة حكاماً وشعباً وقادة رأي، وتولد الثقة بالمستقبل وتشحذ الهمة على التضحية، لأن حرية الأوطان لا يصنعها العبيد.

٦ ــ تفعيل الحركة الفكرية النابعة من قيم الأمة وحضارتها وعمادها الإيمان، لمواجهة محاولات الغزو الثقافي المتكررة، لأن الغزو

---

(١) سورة الأنفال، آية: ٦٠.

الثقافي من أكثر المسائل خطورة على الشخصية وعلى الأمـة، فبواسـطة الغـزو يعملون على تسويق المفـاسـد بين أجيـالنـا، وعلى ضـرب القيم والفضائل، ويعملون لجعل الاستيطان الصهيـوني والهيمنة الاستعمـارية على مقدرات أمتنا أمرين مقبولين.

٧ ـ إقامة المؤسسـات والصروح التي تشكـل أعمدة ومـرتكزات في بناء الأمة، وبذلك لا يجوز أن تبقى الأمور رهن المبـادرات الفرديـة، فالمؤسسات أطول عمراً من الأفراد، وفيها تُصهر الطاقات، ومنها تخـرج حركة المقاومة الشاملة للأعداء، لذلك قال لنا ربنا سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفّاً كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوص﴾[١].

٨ ـ إن يهود من جنسيات وقوميات متعددة، وكما مـرّ معنا سـابقاً لا عـلاقة لهم لا ببني إسـرائيل ولا بسـامية يـدَّعونهـا، لذلـك لا بـد من مـواجهتهم على قاعـدة مـا جـاء في الآيـة الكـريمـة: ﴿وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ﴾[٢].

● ● ●

---

(١) سورة الصف، آية: ٤.

(٢) سورة البقرة: ١٩١.

المصادر والمراجع

١ ــ الكتاب المقدس.

٢ ــ بروتوكولات حكماء صهيون، ترجمة وتقديم د. إحسان حقي، بيروت، دار النفائس، ط ١، سنة ١٤٠٨هـ ــ ١٩٨٨م.

٣ ــ شنودة، زكي، المجتمع اليهودي، القاهرة، مكتبة الخانجي، بدون تاريخ.

٤ ــ ظاظا، د. حسن، الفكر الديني الإسرائيلي، القاهرة، منشورات معهد البحوث والدراسات العربية التابع لجامعة الدول العربية، سنة ١٩٧١ م.

٥ ــ فريدمان، بنيامين، يهود اليوم ليسوا يهوداً، إعداد زهدي الفاتح، بيروت، دار النفائس، ط ٢، سنة ١٤٠٣هـ ــ ١٩٨٣م.

٦ ــ قاموس الكتاب المقدس، تحرير د. بطرس عبد الملك وآخرين، بيروت، صدر عن مجمع كنائس الشرق الأدنى، ط ٢، سنة ١٩٧١م.

٧ ــ كيستلر، آرثر، القبيلة الثالثة عشر ويهود اليوم، ترجمة أحمد نجيب هاشم، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة ١٩٩١م.

٨ ــ معجم اللاهوت الكتابي، بيروت، دار المشرق، ط ٢، سنة ١٩٨٦م.

٩ ــ الموسوعة الفلسطينية، دمشق، ط ١، سنة ١٩٨٤م.

١٠ــ الموسوعة الفلسطينية، القسم الثاني، الدراسات الخاصة، بيروت، ط ١، سنة ١٩٩٠م.

١١ ـ البار، د. محمد علي، المسيح المنتظر وتعاليم التلمود، جدة، الدار السعودية، ط ١، سنة ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م.

١٢ ـ برانايتس، الأب آي بي، فضح التلمود، إعداد زهدي الفاتح، بيروت، دار النفائس، ط ٢، سنة ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م.

١٣ ـ بوكاي، موريس، التوراة والإنجيل والقرآن والعلوم، ترجمة نخبة من الأساتذة، بيروت، دار الكندي، ط ١، سنة ١٣٩٨هـ ـ ١٩٧٨م.

١٤ ـ التلمود ـ رسالة عبدة الأوثان، ترجمة وتقديم نبيل فياض، دمشق، دار الغدير، ط ١، سنة ١٩٩١م.

١٥ ـ التميمي، د. عبد المالك خلف، الاستيطان الأجنبي في الوطن العربي، الكويت، سلسلة عالم المعرفة، محرم/صفر ١٤٠٤هـ ـ تشرين الثاني ١٩٨٣م.

١٦ ـ التوراة ـ تاريخها وغاياتها، ترجمة وتعليق سهيل ديب، بيروت، دار النفائس، ط ٤، سنة ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م.

١٧ ـ الحاج، يوسف، هيكل سليمان أو الوطن القومي اليهودي، لابلدنشر، بدون تاريخ.

١٨ ـ حبيب، د. رفيق، المسيحية والحرب: قصة الأصولية الصهيونية الأمريكية والصراع على الشرق الإسلامي، القاهرة، يافا للدراسات والنشر، ط ١، سنة ١٩٩١م.

١٩ ـ الحسن، د. يوسف، البعد الديني في السياسة الأمريكية تجاه الصراع العربي ـ الصهيوني، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ط ١، سنة ١٩٩٠م.

٢٠ ـ حلاق، د. حسّان، موقف الدولة العثمانية من الحركة الصهيونية، بيروت، منشورات جامعة بيروت العربية، سنة ١٣٩٨هـ ـ ١٩٧٨م.

٢١ ــ الحموي، ياقوت، معجم البلدان، بيروت، دار صادر ودار بيروت، سنة ١٣٧٥هـ ــ ١٩٦٥م.

٢٢ ــ خان، ظفر الإسلام، التلمود ــ تاريخه وتعاليمه، بيروت، دار النفائس، ط ٤، سنة ١٤٠١هـ ــ ١٩٨١م.

٢٣ ــ ديب، سهيل، التوراة بين الوثنية والتوحيد، بيروت، دار النفائس، ط ١، سنة ١٤٠١هـ ــ ١٩٩٨١م.

٢٤ ــ الزعبي، الأرقم، حقائق عن اليهودية، دمشق، الدار المتحدة، ط ١، سنة ١٩٩٠م.

٢٥ ــ سبيريدوفيتش، شيريب، حكومة العالم الخفية، ترجمة مأمون سعد، تحرير وتقديم أحمد راتب عرموش، بيروت، دار النفائس، ط ٥، سنة ١٤٠٣هـ ــ ١٩٨٣م.

٢٦ ــ السمّاك، محمد، الإرهاب والعنف السياسي، بيروت، دار النفائس، ط ٢، سنة ١٤١٢هـ ــ ١٩٩٢م.

٢٧ ــ السمّاك، محمد، الأصولية الإنجيلية، مالطا، منشورات مركز دراسات العالم الإسلامي، ط ١، سنة ١٩٩١م.

٢٨ ــ سوسة، د. أحمد، العرب واليهود في التاريخ، دمشق، العربي للإعلان والنشر، ط ٧، بدون تاريخ.

٢٩ ــ السيّد حسين، د. عدنان، التوسع في الاستراتيجية الإسرائيلية، بيروت، دار النفائس، ط ١، سنة ١٤١٠هـ ــ ١٩٩٠م.

٣٠ ــ السيّد حسين، د. عدنان، عصر التسوية، بيروت، دار النفائس، ط ١، سنة ١٤١٠هـ ــ ١٩٩٠م.

٣١ ــ شاتيلا، كمال، القضية الوطنية التعادلية أمام التحديات، بيروت، المركز الوطني للدراسات والطباعة والنشر، سنة ١٤٠٥هـ ــ ١٩٨٥م.

٣٢ ـ الشريف، ريجينا، الصهيونية غير اليهودية، ترجمة أحمد عبد الله عبد العزيز، الكويت، سلسلة عالم المعرفة، ربيع الأول ١٤٠٦هـ ـ كانون الأول ١٩٨٥م.
٣٣ ـ الشهرستاني، الملل والنحل، تحقيق محمد سيّد كيلاني، بيروت، دار المعرفة، سنة ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م.
٣٤ ـ عبود، القس بولس، اليهود في التاريخ إلى عهد السيِّد المسيح، يافا (فلسطين المحتلة)، سنة ١٩٢٠م.
٣٥ ـ علي، عرفه عبده، جيتو إسرائيلي في القاهرة، القاهرة، مكتبة مدبولي، ط ١، سنة ١٤١١هـ ـ ١٩٩٠م.
٣٦ ـ كارودي، روجيه، قضية إسرائيل والصهيونية السياسية، تعريب د. إبراهيم الكيلاني، دمشق، منشورات وزارة الثقافة، سنة ١٩٨٤م.
٣٧ ـ ليفي، كنوز التلمود، تقديم محمد خليفة التونسي، القاهرة، دار التراث، ط ٢، سنة ١٤١١هـ ـ ١٩٩١م.
٣٨ ـ محمود، د. أمين عبد الله، مشاريع الاستيطان الصهيوني منذ قيام الثورة الفرنسية حتى نهاية الحرب العالمية الأولى، الكويت، سلسلة عالم المعرفة، شباط ١٩٨٤م.
٣٩ ـ المسعودي، مروج الذهب، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، بيروت، دار الفكر، ط ٥، سنة ١٣٩٣هـ ـ ١٩٧٣م.
٤٠ ـ المسيري، د. عبد الوهاب، الأيديولوجية الصهيونية، القسم الأول، الكويت، سلسة عالم المعرفة، صفر/ ربيع الأول ١٤٠٣هـ ـ كانون الأول ١٩٨٢م.
٤١ ـ المغربي، السموأل بن يحيى، إفحام اليهود، تقديم وتحقيق د. محمد عبد الله الشرقاوي، القاهرة، دار الهداية، ط ١، سنة ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م.
٤٢ ـ مجلة الموقف (لبنان)، العدد ٢، شوال ١٤٠٣هـ، تموز ١٩٨٣م.

الفهرس

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

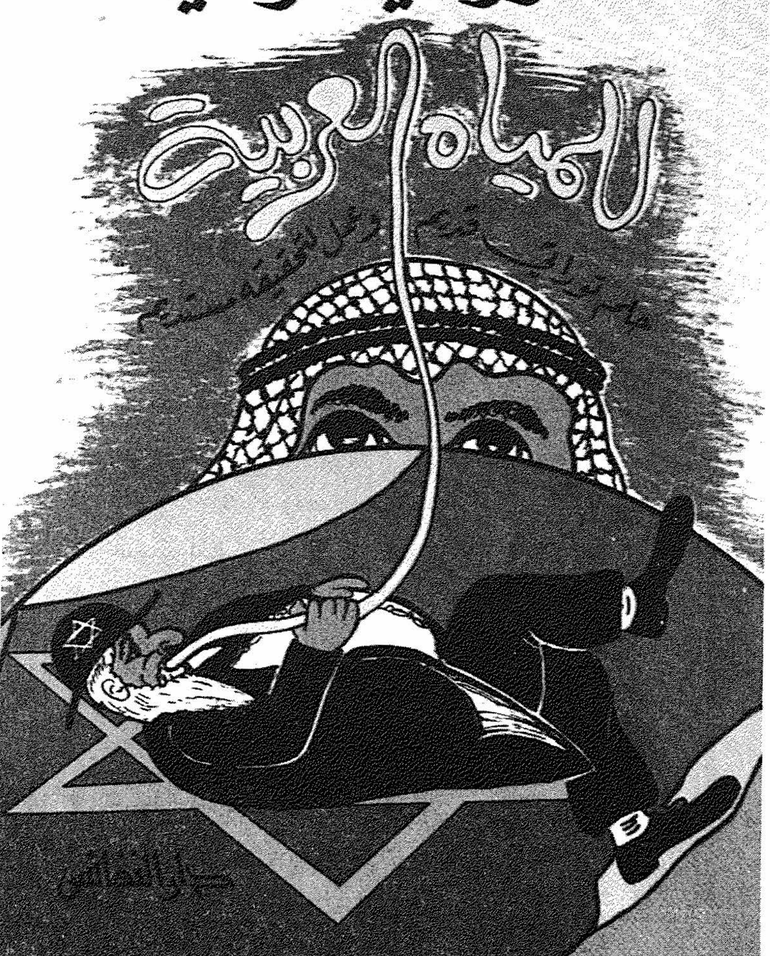
● ● ●

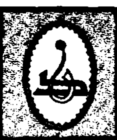
من مَنشورات «دَارالنَفائس»
للمؤلف

* مالك بن نبي مفكراً إصلاحياً.
* الاستبداد والاستعمار وطرق مواجهتها عند الكواكبي والإبراهيمي.
* طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد (تقديم وتحقيق).
* الإسلام بين المذاهب والأديان.
* سر تطور الأمم (ضبط وحواشي مع د. عدنان حسين).
* البهائية والقاديانية.
* التصوف منشؤه ومصطلحاته.
* تفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين. (تحقيق).
* الماسونية نشأتها وأهدافها.
* الأخلاق في الإسلام والفلسفة القديمة.
* المرأة في التاريخ والشريعة.
* العدل فريضة إسلامية والحرية ضرورة إنسانية.
* شهود يهوه ـ نشأتهم وأفكارهم.
* من اليهودية إلى الصهيونية.

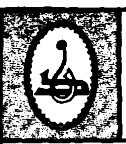
الأرقم الزعبي

الغزو اليهودي





من مَنشورَات دار النفائس



* **أحجار على رقعة الشطرنج**، وليام غاي كار.
* **حكومة العالم الخفية**، شيريب سبيرو دوفيتش.
* **بروتوكولات حكماء صهيون**، الدكتور إحسان حقي.
* **التوسع في الاستراتيجية الصهيونية**، د. عدنان السيد حسين.
* **الماسونية نشأتها وأهدافها**، د. أسعد السحمراني.
* **النشاط السري اليهودي في الفكر والممارسة**، غازي محمد فريج.
* **التوراة تاريخها وغاياتها**، سهيل ديب.
* **التوراة بين الوثنية والتوحيد**، سهيل ديب.
* **التلمود تاريخه وتعاليمه**، ظفر الإسلام خان.
* **فضح التلمود**، أي-بي، برانايتس.
* **يهود اليوم ليسوا يهوداً**، بنيامين فريدمان.
* **البهائية والقاديانية**، د. أسعد السحمراني.
* **دم لفطير صهيون**، نجيب الكيلاني.
* **عصر التسوية**، د. عدنان السيد حسين.
* **اليهود**، زهدي الفاتح.
* **الغزو اليهودي للمياه العربية**، الأرقم الزعبي.
* **الانتفاضة وتقرير المصير**، د. عدنان السيد حسين، تقديم د. أنيس صايغ.
* **الإرهاب والعنف السياسي**، محمد السماك.
* **الصهيونية المسيحية**، محمد السماك.
* **انتحار شمشون**، حسني الحايك.
* **من اليهودية إلى الصهيونية**، د. أسعد السحمراني.
* **قضية البوسنة والهرسك**، الأرقم الزعبي.